



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

مفهوم التظليل في القرآن الكريم

دراسة في ضوء نظريات الحجاج

رسالة تقدمت بها الطالبة

مروة كريم هيكل العبودي

إلى مجلس كلية الآداب - جامعة ذي قار ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة
الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور : حيدر برزاف

٢٠١٨ م

١٤٣٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ

صدق الله العلي العظيم

(سورة لقمان: الآية ٦)

إقرار أعضاء لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة
(مفهوم التظليل في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظريات الحجاج) وقد ناقشنا
الطالبة **(مروة كريم هيكل)** في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة
لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير (.)

التوقيع :

أ.د. عبد الحسن علي مهمل

(رئيسا)

التوقيع :

أ.د. حسين لفتة حافظ

(عضوا)

التوقيع :

أ.د. عبد الحسين عبد الرضا اعوج

(عضوا)

التوقيع :

أ.د. حيدر برزان سكران

(عضوا ومشرفا)

صادق مجلس كلية الآداب / جامعة ذي قار على قرار لجنة المناقشة

العميد

أ.م.د. جابر محيسن عليوي

كلية الآداب / جامعة ذي قار

التاريخ : / / ٢٠١٨

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذه الرسالة الموسومة بـ (مفهوم التضليل في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظريات الحجاج) التي قدمتها الطالبة (مروة كريم هيكل) ، قد جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية في كلية الآداب - جامعة ذي قار ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

أ . د. حيدر برزان سكران العقيلي

(المشرف)

التاريخ : / / ٢٠١٧م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة :

التوقيع :

أ . م. د. هادي شندوخ

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : / / ٢٠١٧م

الإهداء

إلى غائب ... ألم يأن أوان ظهورك ... فقد كثر التضليل والمضللون

إلى من لبوا نداء الوطن ... إلى كل شهيد ...

إلى مَنْ مَنَّ الله بهما علي ، فقد أخذنا بيدي لأكون من ضمن السالكين في طريق حبه وفي
ساحة التودد إليه ... إلى أمي وأبي

إلى كل من يقاسمني نشوة الفرح ... أخوتي .. أخواتي

إلى أصحاب القلوب الطيبة الذين لم يتوانوا يوماً عن مد يد العون لي فكان وجودهم دافعاً
وحافزاً مكثني من إكمال مسيرتي ... أصدقائي ... أحبتي

شكر وثناء

لزاماً عليّ شكر الخالق قبل الخلق ، فالحمد لله الذي هداني لهذا
وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله تعالى .

ومن الواجب أن أتقدم بجزيل شكري وتقديري لأستاذي المشرف
الدكتور حيدر برزان سكران العقيلي الذي أشرف على هذا البحث منذ
الحوار الأول على اختيار العنوان إلى إنجازه الأخير ، فكان لي بحق
أستاذاً ومرشداً وعالماً جليلاً ، فقد منحني الكثير من وقته وجهده ،
وكانت توجيهاته وملاحظاته القيمة سنداً لي في إنجازي لهذا البحث .
فله مني خالص الشكر وجميل الثناء ، والله أسأل أن يجزيه عني خير
الجزاء وأكرمه .

واتوجه بالشكر والامتنان لأساتذتي في قسم اللغة العربية على ما
شملوني من رعاية وتربية وتعليم .

واشكر كوكبة من قلوب طاهرة نقية رافقتني في طريق العلم ، واجزلوا
لي عطاء المصادر والمراجع ، فلم يبخلوا عليّ بجهد ولا كتاب ولا معونة
ولا دعاء .

المحتويات

ثبت المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤ - ١	المقدمة
٢٣ - ٥	التمهيد : مدخل مفاهيمي في التضليل
٦	التضليل (آفاق المفهوم في اللغة والاصطلاح)
١١	التضليل (الاجراء والتأسيس)
٢٠	المغالطات المنطقية (السفسطة)
٢١	أبعاد التضليل الحجاجية
٢٢	علاقة التضليل بالدراسات البلاغية
٧٨ - ٢٤	الفصل الأول : التنازع وأدأوه التضليلي
٢٥	تقديم
٤٧ - ٢٧	المبحث الأول : تضليل القرى الظالم أهلها
٢٨	التضليل بالتهكم والسخرية
٣١	التضليل بالتجريح ومحاولات التشويه
٣٣	التضليل بادعاء ثقة الخطاب
٣٥	التضليل بالمناقشات الجدلية
٣٨	التضليل العقائدي
٤٠	التمسك بنهج الضلال
٤٢	التضليل السلطوي والفكري
٤٥	التضليل بالتهديد والترهيب
٦٢ - ٤٨	المبحث الثاني : تضليل المشركين
٤٩	التضليل باتهام الرسول بالباطل
٥١	التضليل بالطعن في القرآن

٥٤	التضليل بأسلوب التشويش
٥٦	التضليل بالسخرية والاستهزاء
٥٨	التضليل بمسألة القدر والبعث
٥٩	التضليل بالطلبات التعجيزية
٦١	سُنن الآباء والأجداد
٦٣-٧١	المبحث الثالث : تضليل أهل الكتاب
٦٤	التضليل بالتشكيك في دين الإسلام
٦٥	التضليل بالأسئلة التعجيزية
٦٦	التضليل بتحريف كلام الله
٦٨	التضليل باللبس وكتمان الحق
٧٠	التضليل بالإشاعات
٧٢ - ٧٨	المبحث الرابع : تضليل المنافقين
٧٣	التضليل بالاستهزاء
٧٤	التضليل باتباع المنكر
٧٥	التضليل بالشائعة
٧٦	التضليل بالأيمان الكاذبة
٧٨	التضليل بالمخادعة
٧٩-١٢٩	الفصل الثاني : التضليل وعلاقته بالحجاج
٨٠	تقديم
٨٢-١٠٦	المبحث الأول : الأساليب اللغوية الحجاجية
٨٣	الأمر والنهي
٨٧	الاستفهام
٩٤	النداء
٩٧	النفي

١٠٠	الشرط
١٠٢	التوكيد
١٢٢-١٠٧	المبحث الثاني : الأساليب البلاغية الحجاجية
١٠٨	الاستعارة
١١٢	التشبيه
١١٥	المجاز
١١٧	الكناية
١٢٠	البديع
١٢١	التقابل
١٢٩-١٢٣	المبحث الثالث : تعدد الحجج
١٢٤	حجة التبرير
١٢٥	حجة الاتجاه
١٢٦	الحجة التواجدية
١٢٧	حجة السلطة
١٢٨	الحجة الرمزية
١٥٩-١٣٠	الفصل الثالث : التضليل المنطقي : طرقه وأساليبه
١٣١	تقديم
١٤٣-١٣٢	المبحث الأول : طرق التضليل الكلامي في القرآن الكريم
١٣٣	التضليل بالطريقة بالأقوال
١٣٦	التضليل بالطريقة بالأفعال
١٥٩-١٤٤	المبحث الثاني : الأساليب المنطقية للتضليل
١٤٥	الاستدراج
١٥٠	الإعلام
١٥٦	التسويق

١٦٣-١٦٠	الخاتمة
١٧٨-١٦٤	المصادر والمراجع
٢-١	ملخص باللغة الانكليزية

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم والتبيان ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

أما بعد ... فالقرآن يعدّ مصدراً ورافداً أساسياً للعديد من الدراسات ، وكلما استجذبت النظريات وجدت في القرآن منهلاً تغترف منه مادة خصبة ، إذ مهما شاب الزمن شبَّ القرآن ، وعلى الباحث أن يهيئ شراعاً متيناً كي يصل به إلى بر الأمان ، فالقرآن رهبة تترك الدارس وتجعله أكثر تردداً في اصدار الأحكام ، وتفرض عليه كثيراً من الحذر .

لقد نقل لنا القرآن الفكر الآخر وحواراته ، ومجادلاته ، والمخالفة الناشئة عن الخصومة ، وعناد كل من الكفار ، والمشركين ، والمعاندين للرسالات ، وتضليلاتهم وأباطيلهم ، وهي مما يحتاج تسليط الضوء عليه لكثرة شيوعها في عصرنا الراهن ، فجاءت هذه الدراسة الموسومة بـ ((مفهوم التضليل في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظريات الحجاج)) متناولة الكلام المنقول عن المضللين في القرآن الكريم ، أما الكلام الصادر عن الله تعالى ، أو عن الأنبياء (عليهم السلام) ، فلا يتعرض له البحث ؛ لأنّ كلام معتمد على البديهيات والمنطق ، ولا يضرر خداعاً أو تزيفاً .

أما سبب الدراسة الحجاجية ، فهي لما في هذا العلم من مجال رحب للدراسة ، واعتماد التضليل على المغالطات المنطقية التي هي نوع من أنواع الحجاج ، ولعدم تسليط الضوء في البلاغة العربية على التضليل ، واكتفاء الدراسات بتناول المغالطات بمجالها الضيق دون التوسع في غايتها الرئيسة التضليل ، فتناولت هذه

الدراسة الكلام المحكي في القرآن الكريم بالدرس والتحليل في ضوء المنهج الوصفي التحليلي ، إذ تم وصف ظواهر التضليل ثم تحليلها في ضوء نظريات الحجاج (البلاغية ، واللغوية ، والمنطقية) التي تتناسب وسياق النص المطروح .

وقد تضمن البحث تمهيداً وثلاثة فصول وخاتمة فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع .

أما التمهيد فقد درست فيه التضليل في اللغة والاصطلاح ، وجذوره وبداية نشأته عند العرب والغرب ، والسفسطة ، وابعاد التضليل الحجاجية وعلاقته بالبلاغة. وفي الفصل الأول تناولت التنازع وأداءه التضييلي ، إذ قسمته على أربعة مباحث ، تناولت في المبحث الأول تضليل القرى الظالم أهلها ، وفي الثاني درست تضليل المشركين ، وخصصت المبحث الثالث لدراسة تضليل أهل الكتاب ، وفي المبحث الرابع درست تضليل المنافقين .

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان (التضليل وعلاقته بالحجاج) وقد قسمته على ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول الأساليب اللغوية الحجاجية ، وفي الثاني تطرقت إلى الأساليب البلاغية الحجاجية ، وخصصت المبحث الثالث لتعدد الحجج .

وجاء الفصل الثالث بعنوان (التضليل المنطقي : طرقه وأساليبه) ، وقد تضمن مبحثين درست في المبحث الأول طرق التضليل ، وفي المبحث الثاني أساليب التضليل .

وذيلت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة ، وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع .

أما المصادر التي اعتمدتها الدراسة فشملت كتب التفسير واللغة والبلاغة وما تيسر من كتب الدراسات القرآنية والبلاغية والرسائل الجامعية ، وقد اعتمدت في دراستي على جملة من المصادر اعتماداً رئيساً ومن أشهرها (التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي لكلود يونان ، والحجاج والمغالطة لرشيد الراضي ، وتفسير من وحي القرآن لمحمد حسين فضل الله ، والتحرير والتأويل لمحمد الطاهر ابن عاشور) .

ومن المصاعب التي اعترضت طريقي ندرة مصادر هذا البحث فيما يخص التضليل ، لكونه موضوعاً يحرث أرضاً جديدة لم تينع بعد ، وتعاملني مع نصّ مقدس فرض عليّ نوعاً من الحذر والحرص .

ويدعوني واجب الاعتراف باليمن أن أقدم وافر الشكر ، وجميل العرفان إلى أستاذي ومشرفي (الأستاذ الدكتور حيدر برزان سكران) الذي اختار العنوان وتابع العمل حرفاً بحرف من بدايته إلى نهايته فكان لتوجيهاته وإرشاداته الأثر الكبير في تثبيت البحث على المسار العلمي الصحيح .

وأخيراً فإن الله سبحانه وتعالى كان من وراء توفيقي وسداي في هذا الجهد المتواضع ، ولا ادعي أنني بلغت فيه الكمال والاستيعاب الشامل ، فالكمال لله تعالى وحده ، وإنما هي محاولة أرجو أن أكون قد وفقت فيها ، فإن وفقت فبفضل من الله تعالى ، وإن قصرت فمن نفسي ، والله تعالى يعلم أنني بذلت قصارى جهدي ، وأرجو أن يكون لي من سلامة القصد وإخلاص النية عذر مقبول فما أنا إلا طالبة علم مبتدئة تحصى هفواتها ولا سيما في مثل هذه الموضوعات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي هدانا ، وإنّ من يهدي الله فلا مضلّ له ومن يضلل الله فلا هادي له .

التمهيد

مدخل مفاهيمي في التضليل

- (١) التضليل (آفاق المفهوم في اللغة والاصطلاح) .
- (٢) التضليل (الاجراء والتأسيس)
- (٣) المغالطات المنطقية (السفسطة) .
- (٤) أبعاد التضليل الحجاجية .
- (٥) علاقة التضليل بالدراسات البلاغية .

التمهيد

مدخل مفاهيمي في التضليل

إنَّ مفهوم التضليل يتطلَّب الوقوف على جملة من التساؤلات حول ماهيته ، وإجراءاته وتأسيسه ، وعلاقته بالمغالطة ، والحجاج ، والبلاغة لذا توجب علينا بيان ذلك وفيما يلي :

أولاً : التضليل (آفاق المفهوم في اللغة والاصطلاح) :

قبل أن نتحدث عن إجراءات التضليل وبداياته الأولى ومراحل تأسيسه ، لا بد لنا من التحدث عن ماهية التضليل في اللغة وفي القرآن الكريم وفي الاصطلاح .

يظهر من المعجمات اللغوية العربية إن لفظ (تضليل) يعني تزيين الباطل للإنسان ليضل^(١) ، وهو مصدر مشتق من الفعل (ضلَّ) ، والضَّلَّال والضَّلَّالة والإضلال ((ضد الهداية والرشاد ، يقال : أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق ... ويقال : أضللت الشيء إذا غيبته))^(٢) ، ويرى ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) إن التضليل يعني ((تصيير الإنسان إلى الضلال))^(٣) ، وهذا ما ذهب إليه الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) في القاموس المحيط حيث قال : ((ضلَّه تضليلاً وتضلالاً : صيَّره إلى الضلال))^(٤) ، والملاحظ من هذه التعاريف أن لفظ (التضليل) يعني قيادة الإنسان للميل عن الهدى والرشاد إلى الباطل والجهل

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت : ٤٢٥ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط ٤ ، ٢٠٠٩ : ٥١١ (ضلَّ) .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) ، أشرف دار النوادر الكويتية ، (د. ط) ، ٢٠١٠ : ٤١٥/١٣ (ضلل) .

(٣) المصدر نفسه : ٤١٨/١٣ (ضلل) .

(٤) القاموس المحيط ، مجد الدين مُحَمَّد الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) ، تحقيق : أنس مُحَمَّد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، (د. ط) ، ٢٠٠٨ : ٩٨٠ (ضلل) .

والتيه ، ومن معاني التضليل كذلك التضييع والتخسير^(١) ، ومن معاني أضلّ : الإغواء والإبعاد عن سبيل الهدى^(٢) ، أما لفظ (مُضَلَّل) فيعني من لا ((يوفق لخير أي ضال جدله ، وقيل صاحب غوايات وبطالات ، وهو الكثير التتبع للضلال))^(٣) ، و لفظ (مُضِلٌّ) يعني ((الموقِع في الضلال))^(٤) .

وقد جاء لفظ (تضليل) بصيغ متعددة في القرآن الكريم ، وجاء بدلالات متعددة كذلك ، ومن بين تلك الصيغ (ضلّ ، أضلّ ، يضلّ ، تضلّ ، ضلال ، ضال) وغيرها ، ومن مواقع ورود تلك المفردات :

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ كَتَبَتْهُ وَرُسُلِهِ الْيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥)

﴿لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٦)

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^(٧)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٨)

﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾^(٩)

(١) ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، د. أحمد مختار عمر - بمساعدة فريق عمل ، مؤسسة سطور المعرفة ، السعودية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ : ٢٨٩ (ضلل) .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨٨ (ضلل) .

(٣) لسان العرب : ٤١٨/١٣ (ضلل) .

(٤) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٢٨٨ (ضلل) .

(٥) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٧٧ .

(٧) سورة يس : الآية ٦٢ .

(٨) سورة محمد : الآية ٨ .

(٩) سورة الاسراء : الآية ١٥ .

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١)

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٢)

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾^(٣)

﴿إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤)

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥)

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ﴾^(٦)

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾^(٧)

﴿إِنْ أَتَمُّ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾^(٨)

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾^(٩)

أما لفظ (تضليل) فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾^(١٠) ، ومن ألفاظ التضليل الواردة في القرآن الكريم التي تتصل وموضوع

(١) سورة النساء : الآية ٦٠ .

(٢) سورة ص : الآية ٢٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٤) سورة يوسف : الآية ٨ .

(٥) سورة يوسف : الآية ٣٠ .

(٦) سورة يوسف : الآية ٩٥ .

(٧) سورة سبأ : الآية ٨ .

(٨) سورة الملك : الآية ٩ .

(٩) سورة الضحى : الآية ٧ .

(١٠) سورة الفيل : الآية ٢ .

الدراسة ، قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَا فُضِّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَأُضِلُّهُمْ وَكَأْمِيتُهُمْ وَكَأَمْرِهُمْ ﴾^(٢) ، فقد دلت هذا النصوص على ما معناه أن هناك من يتحرون ويبحثون عن السبل المتنوعة من الأقوال والأفعال قاصدين بها تضليل الناس^(٣) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾^(٤) أي الأصنام ، والمقصود أنهم ضلُّوا بسببها ، لأنها لا تفعل شيئاً ولا تعقل ، وإنما كانت وسيلة للتضليل^(٥) . وهناك نصوص عديدة في القرآن ينسب فيها التضليل والضلال إلى الله عز وجل ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾^(٦) ، إلا أن الإضلال المنسوب إلى الله يمكن إرجاعه إلى أمرين أحدهما : إن الله يهدي الذي يفتح عقله وروحه لآفاق الهداية ، أما من أثر الغفلة واللامبالاة على الاستعداد الفكري والروحي ، وأختار طريق الضلالة فإن الله سيحكم عليه بذلك في الدنيا ، وبذلك يكون الاختيار هو سبيل الإنسان ، أما الثاني ؛ فإن مثل هذه الآيات واردة على سبيل الإسناد المجازي في نسبة الضلال والهداية إلى الله للإيحاء بالرجوع إلى الله في كل الأفعال سواء أكانت تكوينية مباشرة كخلق السماوات والأرض وغيرها ، أم الأفعال غير المباشرة كالرزق ، والموت ، والحياة ، والضلال ، والهدى ، فينسب الفعل إلى الله عز وجل لكونه السبب الأول للأشياء ، أما الإنسان فهو السبب المباشر للهدى والضلال^(٧) .

(١) سورة النساء : الآية ١١٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٩ .

(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٥١١ (ضل) .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٣٦ .

(٥) ينظر : لسان العرب : ١٣/٤١٥ (ضلل) .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .

(٧) ينظر : تفسير من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت ، ط ٢ ،

١٩٩٨ : ٣٢٣/٩ - ٣٢٤ .

إن مصطلح التضليل ومنذ بداياته الأولى ارتبط بالسفسطة والمغالطات المنطقية ، ولم ينفصل عنها إلا في التضليل الإعلامي ، الذي افردت له دراسات خاصة به ومنها : (الإعلام التضليلي لعبد الحليم حمود ، والتضليل الإعلامي من صناعة الخبر إلى صناعة السينما للدكتور ذياب الطائي ، والدعاية والتضليل الإعلامي في الافلام الامريكية ، رسالة ماجستير لمجد نبيل عثمان) ، أما التضليل الكلامي فما زال يدرس ضمن دراسة المغالطة أو السفسطة على الرغم من كونها وسيلة له ، ولا يمكننا تحديد مفهوم التضليل في تحديدات حصرية ؛ وذلك لتداخل مفهومه بمفاهيم أخرى كالمغالطة والتمويه والخداع والتلاعب وغيرها ، إلا إنه يمكن وصفه بكونه ((تقنية اتصالية تطيح بالقضية التي من المفروض أنها تسعى إلى الدفاع عنها))^(١) ، أو هو تقنية اتصالية تتوسل بالمغالطات أو السفسطة لتمويه الحقائق وتزييفها ، بقصد اغواء وإغراء المتلقي وخداعه بإبطال الحق ، وإحقاق الباطل . وهو يركن إلى تقنيات التلفيق والتمويه والإيهام والتدليس ، بهدف خلق حالة ذهنية مشوشة تحير وتضيق المتلقي ، حتى يصعب معها تقبل الفكر الآخر^(٢) ، كما تُعد النية السيئة عاملاً أساسياً ، وركيزة أساسية في الكلام التضليلي ، فهو مبني قصداً على التدليس والإخفاء والتعتيم والتمويه^(٣) . و يركن التضليل الكلامي إلى الكلمة ومفاعيلها وهذا ما يمنحه قوة جبارة ؛ لأنّ الكلمة تسيطر على المعاني والمفاهيم^(٤) ، ف ((يتمظهر بواسطة التفكيريات اللفظية الفارغة وبواسطة الكلام القوي المتسلط حيناً أو المغري الاغوائي الذي يخفي في بطونه الخبث ، والرياء والخداع ، و ... يتأسس على القولية الجدلية التي تعتمد على المماحكة والمخاتلة والمراوغة والمواربة ، وعلى تلاعبية الألفاظ والمعاني والمفاهيم ، موظفة

(١) الحجاج في أدب الجاحظ كتاب " البخلاء " أنموذجاً ، فتيحة لعلاوي ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١١/٢٠١٢ : ١٠٤ .

(٢) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي ، فطمة يحي ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - كلية الآداب ، الجزائر ، (د . ت) : ١٢١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٧٨ .

(٤) ينظر : التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي (الحركة السفسطائية نموذجاً) ، د. كلود يونان ، منتدى سور الأزيكية ، (د . ط) ، (د . ت) : ١٥ .

تقنيات البلاغة والفصاحة والمتجسدة بالخطابة ((^(١) . فهو لا يستند على الحقائق العلمية والعقيلة ، ولا على البديهيات والمنطق .

ثانياً : التضليل (الاجراء والتأسيس) :

إنَّ التضليل نشأ مع نشأة الفكر السفسطائي ، وقام بقيامه ، حتَّى وسم المؤرخون السفسطائيين بأنَّهم (المضللون) أو (معلموا التضليل)^(٢) ، وتعود جذور هذا التيار إلى اليونان القديمة ، تحديداً في مدينة أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد^(٣) ، وبعد الإطاحة بالطاغيتين (جيلون ، وهيرودوت) إذ مهد هذا الحدث لميلاد السفسطة^(٤) ، وظهر عدد من الخطباء والفلاسفة الذين عدّوا ((أنفسهم سلاطين القول بلا منازع ، يتباهون بالقدرة على إقناع من يشاءون وبما يشاءون ومتى يشاءون ، كانوا كما أخبر عنهم جورجياس في محاورته لسقراط ، قادرين بلا شك على أن يتكلموا ويعارضوا الجميع ويتناولوا كلَّ الأشياء في حديثهم بصورة تنال رضا الجمهور أكثر من أي شخص ، فيقتنعونهم بأيِّ موضوع وقع عليه اختيارهم))^(٥) ، وقد سنَّ السفسطائيون مبادئ كان من أهمها تشريع الألاعيب القولية ، والحيل الخطابية في كسب القضايا^(٦) ، فقد استعملوا سلطة الكلمة لإقناع القضاة ببراءة موكلهم ، إضافة إلى تغيير رأي الجمهور ، وتأدية المهام على أفضل وجه ، ووضع القوانين وتأهيل الناس للتعامل مع الديمقراطية ، أيَّ أنَّهم كانوا يؤدون

(١) التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ٦٩ - ٧٠ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٨ .

(٣) ينظر : الحجاج عند أرسطو ، هشام الرفي ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب منوبة : ٥٤ .

(٤) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة ، التوجه التداولي الجدلي نموذجاً ، د. رشيد الراضي ، مجلة فكر ، م ٣٦ ، ع ٤٤ ، ٢٠٠٨ : ١٢٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١٣٠ .

(٦) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٧ .

عملاً سياسياً ؛ ولذلك أرتبط التضليل في بداياته بالسياسة والقضاء^(١) ، إلا أنه توسع ليشمل ممارسات عديدة منها : بين الأهل وأولادهم ، وبين الرجل والمرأة ، وبين الأحزاب ، وقد وظفته الدول والشركات لتحقيق مصالحها^(٢) ، أما التضليل في القرآن الكريم فقد كان تضليلاً عقدياً .

ويعد غورجياس أحد السفسطائيين البارزين ، أول من وضع ((قواعد التضليل السيكولوجي عندما كشف ازدواجية الشعور في النفس .. ووضع قواعد التلاعب به وتوجيهه بواسطة اللوغوس^(*) الكلامي))^(٣) ، وقد انطلق في وضعه هذا من منطلق أن النفس الإنسانية قابلة للتضليل ف ((النفس بصورة جوهرية وأساسية سلبية لا تقاوم ، انها بكلّيتها تستسلم لما تتلقاه من الخارج))^(٤) ، وقد شرح غورجياس ((علاقة اللوغوس الكلامي ب الذوكسا أي (الرأي) . وقد تطرق بتفصيل عن آليات سيطرة اللوغوس الكلامي على الرأي أكان فردياً أو جماعياً ، وصّف خصائص اللوغوس الكلامي معتبراً إياه رمزاً للقوة والسلطة والسيطرة والسحر والإغواء والاجتذاب والتضليل بتمظهراته كافة))^(٥) وهذا يكون بـ ((عكس (الذوكسا) الرأي المتشكل من الظن غير المتيقن ، ومن العجز ، وعدم القدرة والتناقض ، لقد أعلن غورجياس وأثبت سيطرة الكلام على الرأي ، فالكلام هو (الديناميكية المتحركة) إغرائية كانت أم تحريضية ، تفرض إرغاميتها

(١) ينظر : تاريخ نظريات الحجاج ، فيليب بروتون و جيل جوتييه ، ترجمة : محمد صالح ناحي الغامدي ، مركز النشر العالمي ، السعودية ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٢٣ .

(٢) ينظر : طرق التضليل السياسي ، كلود يونان ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ : ١٤ .

(*) اللوغوس : لفظ يوناني يعني الكلمة أو سلطة الكلمة ((يمارس قوته على النفس ، فيكون سحرياً وإغوائياً أو إغرائياً اجتذابياً ، ويكون حيناً آخر متسلطاً يهدف إلى التهويل والتخويف)) : طرق التضليل السياسي : ١٧ .

(٣) التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ١٨ .

(٤) طرق التضليل السياسي : ١٦ .

(٥) التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ١٢ .

على الرأي تؤثر فيه وتتلاعب به ، تقنعه ، تسحره ، تخيفه ، تجتذبه وتضلّله ((^(١) .

أما إيزوقراطس أحد أعمدة الفكر السفسطائي ، فقد قام بوضع ((قواعد التضليل الكلامي عبر الخطابة والتكيف الكلامي))^(٢) ، وقد اسهم زعيم السفسطائية بروتاغوراس في تأسيس التضليل الكلامي الموجه إلى العقول بواسطة الجدلية الكلامية ، التي قامت على طرق بارعة ومعقدة ، وأساليب لفظية ملتوية ، وقياسات مموهة ، تهدف إلى الإفحام والتبكيك والتسلط باستعمال قوة الكلام ، والجدلية القائمة على الخطاب الكلامي المزدوج المعاني ، وهناك طرق أخرى كثيرة أسسها السفسطائيون^(٣) .

جاء بعد ذلك الثالوث الفلسفي الأعظم في الفلسفة اليونانية القديمة (سقراط ، افلاطون ، ارسطو) ، الذين واجهوا التيار السفسطائي مواجهة حاسمة تركت أثراً كبيراً في المصير اللاحق لهذه الحركة^(٤) ، فقد ثار سقراط ((ضد السفسطائيين الذين زرعوا الشك والظن ، ودافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة))^(٥) ، وقد أدرج السفسطة ضمن المخادعة التي من صورها الطهي والزينة ، وهي عنده ممارسات خرقاء ، تخاطب النزوع نحو اللذة ، ولا تجلب الخير أبداً ، فهي في الحقيقة تضليل إلاّ أنّها تتخفى في صورة فعل نافع^(٦) ، وتابعه في ذلك تلميذه أفلاطون الذي صور السفسطائيون وعلاقتهم بالتضليل بقوله : ((قوم يجتمعون على تضليل الشباب ونشر الأوهام والأغاليط بين الناس ، عمدتهم في ذلك أسلوب التهيج العاطفي وشنن المشاعر لكي تغيب كل ملكات التفكير الهادئ

(١) التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ١٢ - ١٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

(٤) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٥٢ .

(٥) نظريات الحجاج ، جميل حمداوي ، شبكة الألوكة ، www.alukah.net ، (د. ط) ، (د. ت) : ١٠ .

(٦) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣٤ .

والمتمزن ، ويغيب الحس النقدي فيقعون في براثنهم بسهولة ((^(١)) ، وصنف الخطابات السفسطائية ضمن الخطابات المضللة للعقول ، وحصر البلاغة السفسطائية في إثارة أهواء المخاطبين وتحريك انفعالاتهم والإيقاع بهم^(٢) ، ثم جاءت المساهمة الأهم على يد أرسطو ، الذي عالج السفسطة والتضليل بصورة متكاملة ، ويعتبر صاحب أول عمل نسقي في دراسة هذا النوع من المخاطبة ، وقد أصبحت دراساته منطلق جميع الأبحاث التي تتناول السفسطة إلى اليوم ، فقد ميز في أعماله المنطقية (الأورغانون) التي جمعها ورتبها تلاميذه من بعده ، بين الخطابة والسفسطة ، ودرس أساليب الحركة السفسطائية ، وطرائقها في الاستدلال ، وحيلها في غلبة الخصوم وكسر معتقداتهم ، ووضع قواعد لأهم مرتكزاتها المنهجية^(٣) ، واعتبرها منهجيات تضليلية ، وقد أشار إلى تلك التضليلات وكيفية قيامها على المغالطة ، إلا أن حديثه الرئيس لم يكن عن التضليل ، بل عن السفسطة والأغاليط ، وبحث في الحجج السفسطائية المغالطة في مقالاتين عرف الغلط في المقالة الأولى ، وبحث في حل إشكالات الغلط في المقالة الثانية ، وأشار إلى أن الاستدلال السفسطائي يقوم على مقدمات كاذبة زائفة ، وسمى البرهان المموه بالسفسطة في كتابه التحليلات الأولى (انالوطيقا الأولى)^(٤) ، وبذلك فإن الحديث مع أرسطو يتحول من الحديث عن السفسطائيين بمعالجات تاريخية ، فكرية ، اجتماعية ، إلى الحديث عن السفسطة كظاهرة خطابية تؤدي إلى التضليل ، وإن الغرض من دراستها هو معرفة الحيل التي يلجأ إليها السفسطائيون^(٥) .

لقد كانت فلسفة التضليل المحفز الأساسي لنشوء الفكر الفلسفي عند افلاطون وأرسطو ، الذي مر بثلاث مراحل ارتبطت كلها بالتضليل ، وهذه المراحل هي :

(١) السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣٢ .

(٢) ينظر : الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، أمينة الدهري ، المدارس ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٤ .

(٣) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣٥ .

(٤) ينظر : التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ٣٠ .

(٥) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣٥ .

(١) مرحلة الكشف عن فلسفة التضليل ، وكشف قواعد التضليل التي سنتها الحركة السفسطائية^(١) .

(٢) مرحلة دحض هذه القواعد وتفكيك آليات التضليل ومناهجه المستعملة^(٢) .

(٣) مرحلة مواجهة فلسفة التضليل بوضع قواعد معرفية ومنهجية وأخلاقية^(٣) .

تراجعت الخطابة بعد أرسطو تراجعاً ملحوظاً مدة خمسة عشر قرناً بقيت خلالها حبيسة بعض الأبحاث النمطية الكلاسيكية ، واستمر هذا الوضع إلى فجر عصر النهضة الذي وضعت فيه الخطابة والسفسطة في سلة واحدة ، واصبحت السفسطة تدل على الكذب والخداع ، والبعد عن الحقيقة والغموض في عالم من الوهم الذي تغذيه اللغة بحيلها البلاغية واللغوية ، واجريت دراسات قامت بتحليل الآليات التي تشتغل بها هذه المعرفة المغلوطة والمخادعة خصوصاً الأدوات الحجاجية التي توظف في هذه الخطابات وتكون غايتها مخادعة المخاطبين^(٤) . وهكذا بقي التضليل التضليل مجرد إشارات متفرقة في بحوث السفسطة أو المغالطات دون الاهتمام به بكونه الغاية الرئيسة من توظيف تلك المغالطات .

أما التراث العربي فلم يكن بمنأى عن تناول السفسطة والتضليل ، ومخادعات الأقوال والأفعال ، ففي الفلسفة العربية ، لا سيما في ما نقل من آثار أرسطو إلى العربية إشارات صريحة إلى التضليل ، ومن ذلك ما نقله عبد الرحمن بدوي من ترجمات للتبكييت السفسطائي^(*) لمجموعة من النقلة من اللغات إلى اللسان العربي وهم :

(١) ينظر : التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ٢٠ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

(٣) ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

(٤) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣٩ - ١٤٠ .

(*) التبكييت السفسطائي : هو القياس الذي يوهم أنه قياس مبكت من غير أن يكون كذلك . والقياس المبكت : هو القياس الذي يلزم عنه نتيجة هي نقيض النتيجة التي وضعها المخاطب : ينظر : تلخيص السفسطة ، أبو الوليد ابن رشد ، تحقيق : محمد سليم سالم ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، (د. ط) ،

١٩٧٢ : ٥ .

(١) أبو زكريا يحيى بن عدي (ت : ٣٦٤ هـ) : الذي نقل كتاب (تبكيت السوفسطائيين) لأرسطو إلى العربية ، وعد التبكيات السوفسطائية ، أو التي بزى التبكيات ، تضليلات وليست بتبكيات^(١) .

(٢) أبو علي إسحاق بن زراعة : وهو كذلك عد التبكيات السوفسطائية ، تضليلاً لا تبكياتاً^(٢) .

(٣) ابن ناعمة الحمصي (القرن الثالث الهجري) : أما الناعمي فقد نقل أن التبكيت السفسطائي مغالطة لا حقيقة لها ، دون أن يذكر أنها تضليل^(٣) .

(٤) ثم ينقل ترجمة مجهولة المؤلف جاء فيها ، أن التبكيات السوفسطائية التي تُرى أنها مباكتات وإنما هي مضلات وليس بمباكتات^(٤) .

أما الفارابي (ت : ٣٣٩ هـ) فقد درس المغالطات ، واحصى الأمكنة المغلطة من الألفاظ والمعاني في كتاب (الأمكنة المغلطة) ، فقال : ((ينبغي الآن أن نقول في الأمكنة التي منها يغلط الناظر في الشيء وفي الأمور التي شأنها أن تزيل الذهن عن الصواب في كل ما يطلب إدراكه ، ويخيل الباطل في صورة الحق ، وتلبس على الإنسان موضع الباطل فيما يقصد علمه فيقع فيه من حيث لا يشعر . وهذه بأعيانها هي التي بها يمكن أن يغالط الإنسان من يخاطبه حتى إن كان مطالباً أو ملزماً أو هم أنه طالب وتسلم من غير أن يكون طالب وتسلم ، وبها يوهم أنه ألزم وعاند من غير أن يكون عاند في الحقيقة ، وإن كان مجيباً أو محامياً أو دافعاً أو هم بها أنه سلّم من غير أن يكون سلّم أو دافع من غير أن يكون قد دافع في الحقيقة ، فإنها إذا تبينّت لنا لم يخف علينا كيف الوجه في التحرز منها عند

(١) ينظر : منطق أرسطو ، عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ : ٧٧٣/٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٧٥/٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٧٧٦/٣ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٧٧٨/٣ .

النظر إما بيننا وبين أنفسنا وإما فيما بيننا وبين غيرنا ((^(١) ، لقد كانت غاية الفارابي الاهتمام بالغلط والتغليط ، وبيان وجوههما ، وكيفية اتقائهما والتحصن منهما^(٢) ، دون أن يذكر أنها مضللات . بينما أعتبر ابن سينا (ت : ٤٢٧ هـ) الحجاج السفسطائي (تضليلاً)^(٣) ، ثم جاء ابن رشد (ت : ٥٩٥ هـ) ليؤكد أن التبكيات السوفسطائية التي يظن أنها تبكيات حقيقة ، ما هي إلا مضللات^(٤) ، وبذلك فإنّ الفلاسفة العرب الذين تأثروا بالفكر اليوناني ، لا سيما اثار ارسطو في المنطق والفلسفة ، اعتبروا التبكيات السوفسطائية تضليل ، وقد اجمعوا على أنّها خداع للمتقّي ، وتلبس للباطل بالحق .

وبعد أن بيّنا الموقف الفلسفي العربي من التضليل ، لا بد لنا من بيان الموقف البلاغي العربي ، فالبلاغة العربية وإنّ لم تسلط الضوء على التضليل إلا إنّها لم تغفل معناه وتناولته بمصطلحات أخرى مثل (المماراة ، التدليس ، الاستدراج ، التمويه ، الإيهام ، الخداع) ، وابن وهب (ت : ٣٣٥ هـ) من أوائل العلماء الذين تحدثوا عن الجدل والمجادلة ، وعرف الجدل بأنّه ((قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب والديانات ، وفي الحقوق والخصومات وفي التسؤل والاعتذارات))^(٥) ، ثمّ قسمه إلى قسمين : أحدهما محمود ، والآخر مذموم ، وفصل في كل منهما قائلاً : ((المحمود ، فهو الذي يقصد به الحق ، ويستعمل فيه الصدق ، وأمّا المذموم ، فما أريد به المماراة

(١) المنطق عند الفارابي ، أبو نصر الفارابي ، تحقيق : د. رفيق العجم ، دار المشرق ، بيروت ، (د. ط) ، ١٩٨٦ : ١٣٢/١ .

(٢) ينظر : من منطق مدرسة بور رويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط فيها ، حمو النقاري ، ضمن كتاب التحاجج : طبيعته ، مجالاته ، وظائفه ، تنسيق : حمو النقاري ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط ١ ، ٢٠٠٦ : ١٩٢ .

(٣) الحجاج عند أرسطو : ٥٢ .

(٤) ينظر : تلخيص السفسطة : ١ .

(٥) البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، تحقيق : حفي محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، (د. ط) ، (د. ت) : ١٧٦ .

والغلبة ، وطلب به الرياء والسمعة))^(١) ، كما أنّه أشار إلى المغالطة في معرض حديثه عن القياس ، وبيّن إن للقياس ثلاث نتائج : ((إحداهما ما صدر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه ، فتكون النتيجة عنه برهاناً ... ، والأخرى ما صدر عن قول مشهور إلا أنّه مختلف ، فتكون النتيجة عنه إقناعاً ... ، والثالثة ما صدر عن قول كاذب وضع المغالطة))^(٢) ، وبذلك فإن المغالطة عنده مرتبطة بالقول الكاذب .

أما أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) فقد بيّن أنّ الكاتب حين يواجه عارضاً كهزيمة توجب الاعتذار ، أو رفع منزلة دنيء ، أو الحط من منزلة شريف فإنّه يلجأ إلى ((تحسين ما ليس بحسن ، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل ، ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير ، ليخفي موضع الإشارة ، ويغض موقع التقصير))^(٣) ، وهذا إن دل على شيء عنده فإنّه يدل على علو شأن الكاتب ، وعلى قدرة البيان على التمويه ، والخداع ، والاحتيال ، والتحيل ، وهذا ما تقوم عليه البلاغة إذ أصبحت تعرف على أنّها ((كشف ما غمض من الحق ، وتصوير الحق في صورة الباطل))^(٤) ، وبذلك فإن التمويه ، والخداع ، والتضليل ، جزء من البلاغة والبيان .

أما ابن الأثير (ت : ٦٣٧ هـ) ، والعلوي (ت : ٧٤٩ هـ) فقد تحدثا عن الاستدراج كونه أسلوباً كلامياً يستطيع المتكلم بوساطته استدراج المتلقي والاحتيال عليه وقيادته إلى الإذعان والتسليم ، وذلك بوساطة مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال ، أو الكلام اللطيف اللين ، إلّا أنّ الاستدراج عندهما لا يكون في الحجاج التضليلي

(١) البرهان في وجوه البيان : ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٨ - ٦٩ .

(٣) كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر ، أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٥٢ : ٥٣ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

فحسب ، بل يوظف كذلك في الحجاج الصحيح ، وقد ورد في آيات عديدة في القرآن الكريم موظفاً من قبل الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين لاستدراج خصومهم^(١) ، وبذلك فهو وإن اعتمد على المخادعة ، قسمان : قسم موظف في الخير ، وآخر موظف في التضليل ، وأشار ابن الأثير إلى أن الكاتب حين يوظف الاستدراج فإنه يتصرف في المغالطات اللفظية ، وهو بعمله هذا يشبه صاحب الجدل الذي يتصرف في المغالطات القياسية^(٢) . نلاحظ أن الاستدراج يمكن يمكن عده أسلوب من أساليب الحجاج التضليلية وهذا ما سنبينه في طيات البحث .

وبعدّ حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) من أهم البلاغيين الذين تناولوا التضليل ، وإن لم يطلق هذه التسمية إلا أنه ذكر مرادفها إذ أطلق عليه (التمويهات) وارجعها إلى الأقوال فقال : ((التمويهات تكون في ما يرجع إلى الأقوال... (و) تكون بطي محلّ الكذب من القياس عن السامع أو باغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباها بما يكون صدقاً ، أو بترتيبه على وضع يوهّم أنّه صحيح لاشتباهاه بالصحيح ، أو بوجود الأمرين معاً في القياس أعني أن يقع فيه الخلل من جهتي المادّة والترتيب معاً ، أو بإلهاء السامع عن تفقده موضع الكذب وإن كان إلى حيّز الوضوح أقرب منه إلى حيّز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محلّ الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادّة أو من جهة ترتيب أو من جهة المادّة والترتيب معاً))^(٣) ، فالتمويهات إذاً هي الحجج التي تبني على مقدمات توهم أنّها صادقة ، إلا أن غايتها إلهاء السامع عن معرفة مواقع الكذب ، وقد أشار كذلك إلى

(١) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تقديم وتعليق : د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانه ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، (د. ت : ٢٥٠/٢ - ٢٥١ ، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ : ٩٤/٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد حبيب ابن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ : ٥٦ .

الاستدراجات وفرقها عن التموهيات بكونها تتضمن كلّ ما ((يثير به المتكلم متلقيه بوصفه ومدحه والتقرب إليه))^(١) ، وقد أشار كذلك إلى حاجة الشاعر والكاتب للتمويهات والاستدراجات لكونها وسائل حجاجية إقناعية يصير بواسطتها ((القول الكاذب مقنعاً وموهماً أنّه حقّ ، ... وتلك التموهيات والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها))^(٢) ، وبذلك فإنّ التموهيات والاستدراجات يمكن عدها إطاراً يزين القول الكاذب ، ويصور الباطل في صورة الحقّ ، وهذا ما يقوم به المضللّ .

نستطيع القول من خلال ما تقدم أنّ التضليل بدأ عند اليونان وانتقل إلى العرب بفعل الترجمات ، وارتبطت بداياته بالفلسفة والمنطق ، ثمّ أهتمت البلاغة العربية في المدرسة الكلامية بمصطلحات قاربت في معناها لفظ التضليل ، متأثرة بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، لكن دون الإشارة الصريحة للفظ (التضليل) .

ثالثاً : المغالطات المنطقية (السفسطة) :

المغالطة والسفسطة لفظان مترادفان يعني كلاهما ((قياساً مركّباً من الوهميّات ، الغرض منه تغليب الخصم وإسكاته))^(٣) ، وهي عبارة عن ((خطاب محرج تلاعبى ومخطر يُتقبّل على أنّه خاطئ بدهاة ، لكنّه عسير الدحض))^(٤) ، وهو خطاب

(١) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ١٩ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٥٦ .

(٣) معجم التعريفات ، الشريف الجرجاني ، تحقيق : مُحمّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) : ١٠٢ (السفسطة) .

(٤) معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو - دومنيك منغنو ، ترجمة : عبد القادر المهيري - حمّادي صمود ، دار سيناترا ، تونس ، (د. ط) ، ٢٠٠٨ : ٥٢٢ (سفسطائية) .

يخرج لقصد التدليس والإخفاء والتعتيم والتمويه ، غايته الأساس تضليل المتلقي^(١) ، وخدمة مصالح المتكلم وأهوائه بنية خبيثة^(٢) ، وقد تحررت المغالطة بعد مدة طويلة من التهميش ، لتصبح ((حركة فكرية أساسية للحجاج البلاغي))^(٣) ، وتتمتع بخصائص حجاجية ، حتى اعتبرت نوعاً من أنواع الحجج غير الصالحة التي لها مظهر الصلاحية ، يلجأ إليها المتكلم لإيهام المتلقي ، وخداعة ، وبالنتيجة يحكم سيطرته عليه فكراً ، وعقائدياً ، وفعلياً^(٤) .

رابعاً : أبعاد التضليل الحجاجية :

إنَّ الغرض الرئيس الذي يوظف لأجله الحجاج هو الإقناع ، وجعل العقول تذعن وتسلم ، وذلك على وفق طرق متعددة ومختلفة^(٥) ، وسواء أكانت تلك الطرق مشروعة أم غير مشروعة ، فالحجج يمكن أن تكون صالحة أو غير صالحة ، وإنَّ صلاحية الحجاج لا تعتمد على معايير منطقية متعلقة بصحة المقدمات ، وإنَّما تعتمد على معايير جدلية ، أي أنَّ الحجاج ليس مسألة صواب أو انتساب لهذا الصواب ، وإنَّما هو اعتقاد . وهذا يرجع إلى هدف الإقناع الذي يبحث عنه الحجاج^(٦) ، ولا بد لنا من معرفة أنَّ أيَّ ((نشاط حجاجي هو من حيث طبيعته النوعية يكون في العادة مرشحاً للانزلاق إلى ممارسة غير سليمة ، بسبب ما يحيط به من معطيات نفسية واجتماعية))^(٧) ، ومن هنا يمكن عد التضليل خطاباً حجاجياً يوظف الحجج المغالطة ، ويهدف إلى استمالة عقل المتلقي والتأثير فيه ،

(١) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ١٤ .

(٢) ينظر : معجم تحليل الخطاب : ٥٢٢ (سفسطائية) .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ١ .

(٥) ينظر : اللغة والمنطق بحث في المفارقات ، د. حسان الباهي ، دار الأمان ، الرباط ، ط ١ ، ٢٠٠٠ : ١٣٨ .

(٦) ينظر : تاريخ نظريات الحجاج : ٧٥ .

(٧) السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٤٧ .

وإن ((كانت غاية الحجاج الإقناع من أجل التأثير ، فإن المغالطة تنزاح عن غاية الإقناع لغاية التضليل))^(١) ، إذا فالتضليل هو الوجه السالب للحجاج ، وفيه يأخذ الحجاج ((منحى منحرفاً ويسلك طرقاً ملتوية ، يحيل إلى نية مبيتة للإيقاع بالآخر وتضليله ، فنجد هذه المكونات تتلون بمظاهر البراءة والشفافية في حين أنها تضم أهدافاً خفية تسعى إلى إرسائها عن طريق الادعاء بالالتزام بالمعقولية والمصادقية))^(٢) إلا أنها لا تكون كذلك .

إذاً الحجاج إقناع ، قد يكون حقيقياً باعتماده على البديهيات والمنطق ، وقد يكون تضليلاً وهنا يعتمد على المغالطات والتزييف .

خامساً : علاقة التضليل بالدراسات البلاغية :

إنَّ الغاية الأساسية التي تتوخاها البلاغة الجديدة هي (الإمتاع والإقناع) ، وقد عرفت البلاغة قديماً بأنها ((صناعة تفيد قوة الإقناع على ما يريده الإنسان أو يراود منه ، يتمكن من إيقاع التصديق به وإذعان النفس له))^(٣) ، وكذلك قيل بأنها تصوير للحق بصورة الباطل ، وكلّ هذه المقاربات (الإقناع ، وإيقاع التصديق ، والإذعان) تنطبق على الحجاج بصورة عامة ، والحجاج المغالط بصورة خاصة ، وقد كانت البلاغة والخطابة مرادفات للفسطاطة عند أفلاطون وأرسطو وهي مرادفة كذلك لتحريك أهواء المخاطب وتضليل العقول^(٤) ، وذلك لأنَّ البلاغة والخطابة تأسست على يد السفسطائيين ، ويعدّ جورجياس مؤسس البلاغة الذي بحث في الجوانب الجمالية والبيانية للخطاب^(٥) ، كما أنَّهم ((استولوا على البلاغة ،

(١) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٠ .

(٣) التنبيهات على ما في التبيان من التمهيدات ، أحمد بن عميرة ، تحقيق : أحمد ابن شريفة ، دار النجاح ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩١ : ١١٣ .

(٤) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة : ٢٠ .

(٥) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣١ .

وأدخلوها في مدوّنة أوسع من المعارف ، وكانوا أول من ... وضع نظرية لقوة الكلام ، وقد قاموا بذلك من خلال : أولاً : الاهتمام بجمالية وقدرة اللغة الإقناعية ، وثانياً : بالنظر للكائن الإنساني ككلّ يحتويه القول ((^(١) ، ولا بد من الإشارة إلى أنّ التضليل نمط من أنماط البلاغة الحقيقية ، يقوم على المغالطات وهو لا يعتمد على التخيل بقدر ما يعتمد على الإحكام والتركيز^(٢) .

إذاً ومن خلال ما تقدم فإن العلاقة واضحة بين التضليل والبلاغة ، بل إنّ البلاغة في نشأتها الأولى كانت تضليلية تهدف إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه بالخداع والتزييف .

(١) تاريخ نظريات الحجاج : ٢٣ .

(٢) ينظر : المغالطات في ردود منكري الرسالات في القرآن الكريم ، د. أيمن أبو مصطفى ، مجلة سياقات ، مصر ، عدد ٥٤ ، أبريل ٢٠١٧ : ١٣٥ .

الفصل الأول

التّازع وأداؤه التّليلي

المبحث الأول : تليل القرى الظالم أهلها

المبحث الثاني : تليل المشركين

المبحث الثالث : تليل أهل الكتاب

المبحث الرابع : تليل المنافقين

الفصل الأول

التنازع وأدأؤه التضليلي

تقديم :

يتحتم علينا بداية بيان معنى التنازع لغة : فهو من ((نَزَعَ الشيء : جذبه من مقره كنزع القوس من كبده))^(١) ، وقد جاء في لسان العرب ((المنازعة في الخصومة مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان وقد نازعه منازعة ونزاعا جاذبه في الخصومة ... والتنازع التخاصم وتنازع القوم اختصموا أو بينهم نزاعة أي خصومة))^(٢) ، والتنازع من الألفاظ التي قاربت لفظ الخصومة والمجادلة من ناحية المعنى والدلالة^(٣) . كما أنه يتطلب رأيين ، ((رأي السامع ورأي القائل ، إذ التنازع تقابل بين نزوعين ، نزوع السامع الذي يراد الصرف عنه ونزوع القائل الذي يراد الصرف إليه))^(٤) .

يعدّ التنازع واحداً من الاطوار التي يمر بها الحوار الحجاجي^(٥) ، إلا أنّ ما يميز المحاورّة الحجاجية العادية والمحاورة الحجاجية التضليلية هو أن المحاورّة الحجاجية العادية تمر بأطوار عديدة ، وتصل في نهاية المطاف إلى الطور الختامي الذي ينتهي خلاله النزاع ، ويتقبل الخصم وجهة نظر خصمه . أما المحاورّة الحجاجية التضليلية فإنها تنتقل من حيلة إلى أخرى ، ومن مغالطة إلى أخرى دونما توصل إلى حل ؛ لأنّ المضللّ يعلم ان الحق مع خصمه إلا أن الحسد والعناد والنكران تضع حجباً أمام بصره فيحول دون الاعتراف بالحقائق ودون التوصل إلى الطور الختامي .

(١) مفردات ألفاظ القرآن : ٧٩٨ (نزع) .

(٢) لسان العرب : ٢٢٩/١٠ (نزع) .

(٣) ينظر : الخصومة في القرآن الكريم . دراسة في دلالة البنية التركيبية ، مصطفى حامد يعقوب ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة . كلية التربية ، ٢٠١٢ : ٢٥ .

(٤) أبحاث في فلسفة المنطق ، د. حمو النقاري ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط ١ ، ٢٠١٣ : ٧١ .

(٥) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٥١-١٥٢ .

إن للتنازع علاقة وثيقة بحركية التضليل ، إذ إنَّ شروط الخطاب التنازعي تنطبق على الخطاب التضليلي ، فالتنازع يتطلب أطرافاً متعددة ، إضافة إلى كون المخاطب يسعى إلى التأثير في جمهور دون الاكتفاء بالخصم فقط ، كما يتصف فيه المخاطب (المضلل) بموقفه السلبي المتمثل في رفض الحجج دون مناقشتها أو تنفيذها^(١) ، فعلى الرغم من أنَّ كلا من الطرفين المتنازعين يسعى إلى فض النزاع لصالحه ، إلّا أنَّ الطرف المضلل ، يسعى بالوسائل المخادعة ، والتمويه ، والإيهام ، وما إلى ذلك للإيقاع في خصمه ، ويكون سبيله في ذلك كله الكلام .

فالنزاع كثيراً ما يتخذ الخطاب وسيلة له ، ويكتنف هذا الخطاب حجج وشبهات وإطلاق تهم متبادلة ، وحين لا يجد الطرف المضاد ما يدحض به حجج خصمه ، يعمد إلى السفسطة ، وتمويه الحقائق ، والتدليس مستغلاً سلطة الكلمة وما تؤديه من اغراض توقع الخصم في فخاخ المغالطات وتؤدي به إلى الضلالة .

إنَّ أهم ما يميز التنازع في الخطاب القرآني المنقول على لسان المضللين هو كونه خطاباً عقدياً ، وإنَّ التنازع الدائر بين الأطراف المتنازعة نزاع عقدي إذ إنَّ الدافع الاساسي له هو العقيدة ، يضاف إلى ذلك دوافع أخرى مثل السلطة ، والعناد ، والكبر ، وغيرها .

وقد تنوع الخطاب التنازعي الذي يهدف إلى التضليل الوارد في القرآن الكريم ، إذ نقل لنا الله عزَّ وجلَّ نماذج من سفسطات المضللين مع أنبيائهم ، ليكشف لنا تلك السفسطات ، ويفندھا بالحجج الصحيحة ، ومن المغالطات المحكية في القرآن الكريم ما كان بين القرى الظالم أهلها ، ومنه ما كان بين المشركين والمؤمنين ، وخطاب أهل الكتاب ، وخطاب المنافقين . والجامع بينهما هو الضلال والانحراف الذي شكل ظاهرة متكررة مع كل الأنبياء ، وفي ما يأتي نفصل الحديث عن هذه الأنواع .

(١) ينظر : حجاج موسى (عليه السلام) في النصِّ القرآني . دراسة تداولية . ، كهينة زموش ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري ، كلية الآداب ، الجزائر : ٦٥ و ٦٧ .

المبحث الأول

تضليل القرى الظالم أهلها

تقديم :

نظراً لانفتاح النص القرآني وابتعاده عن الانغلاق ، ((نجده عز وجل قد وقف عند دعوة الرسل لأقوامهم وما لاقوه من عوائق))^(١) فقد أفسح الأنبياء (عليهم السلام) مجالاً للناس للدخول معهم في محاورات ومجادلات ، وأثاروا المواجهة بينهم وبين هؤلاء الذين سألوا واحتجوا وشتّموا وتمردوا وهددوا ، لا ليصلوا معهم إلى اتجاه سلبي للرسالة وإنما ليصلوا معهم إلى قناعات فكرية^(٢) إلا أن أتباع الخط المعادي للخط الإلهي تعالى حاولوا جهدهم للحيلولة دون إيمان أقوامهم متخذين شتى وسائل التضليل والتشكيك والضغط سبيلاً في إيهام الناس ، حتى اخذوا يصورون الباطل بصورة الحق .

لقد شغل خطاب القرى الظالم أهلها مساحة واسعة من القصص القرآني ، إذ إنَّ القص من الأساليب التي وظفها القرآن لنقل حجج القرى المتمردة على الله تعالى ، والشبهات التي عرضها أهل الباطل ، ومما نقله القرآن حركة الدعوة في دور النبي (عليه السلام) ، وتمرد القرية وأهلها عليه والحوار الدائر بينهما إذ إنَّ ((كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها))^(٣) ، ووظف الطرف المضاد لدعوى الأنبياء (عليهم السلام) الحجج المغالطة ، وأساليب اللف والدوران والخداع لتضليل أقوامهم ، وإبعادهم عن عبادة الله عز وجل ، حتى أخذهم الله لتكبرهم وعنادهم و لشدة ذنوبهم . قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ

(١) الحجاج في خطابات النبي إبراهيم ، سعدية لكحل ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، (د . ت) : ٧ .

(٢) ينظر: الحوار في القرآن ، قواعد - أساليبه - معطياته ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٩٦ : ٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٣٠ .

مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾

وقد وظّف خطاب الأطراف المضللة في نزاعات القرى الظالم أهلها مغالطات شتى كلاً حسب المناخ الطبيعي الذي يحكم الخطاب ، وتتمثل هذه المغالطات فيما يأتي :

أولاً : التضليل بالتهكم والسخرية :

لقد شغل التهكم والسخرية مساحة غير قليلة من الخطاب التضليلي في النص القرآني ، فقد كانت القرى المضللة تتصنع الجهل لما ينبئهم به الأنبياء (عليهم السلام) ، ويلقون عليهم أسئلة مطبوعة بلون التحدي الساخر ؛ لتوقع التناقض والشك لدى الجمهور وتؤدي بالنتيجة إلى إثارة غضب الناس وإخراجهم عن طورهم وتضليلهم ، ويصف رشيد الراضي هذا النوع من المغالطات بقوله : ((يلجأ المتكلم إلى التوسل بإغابة المخاطب قصد التأثير في موقفه من الدعوى ... من خلال استثارة مشاعر الغضب والغیظ بالوجه الذي يجعله يتنكر لكل المعطيات التي قد تكون في صالح الدعوى))^(٢) ، والتهكم هو استهزاء واستخفاف^(٣) ، أما السخرية فهي استهزاء^(٤) ، والمضلل يعمد إلى هاتين الطريقتين مستهزئاً ومستخفاً بالخصم لإثارته وإزعاجه ، ويتجلى لنا ذلك في الآيات الكريمة التالية :

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٠ .

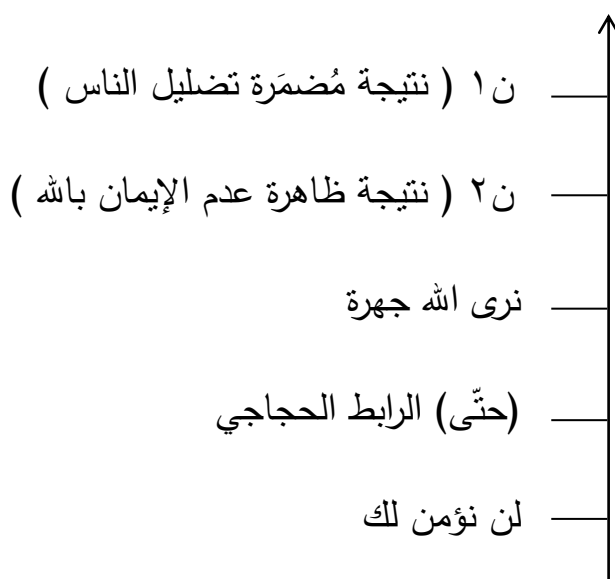
(٢) الحجاج والمغالطة ، من الحوار في العقل إلى الحوار في الحوار ، رشيد الراضي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الصنائع ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ٣٠-٣١ .

(٣) ينظر : لسان العرب : ١٦/١٠٠ (هكم) .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٦/٦ (سخر) .

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١)

أي أن قوم موسى (عليه السلام) طلبوا رؤية الله عيانا ، كما يشاهد أحدهم الآخر ، وكان الغرض من طلبهم هذا ؛ استفزاز موسى (عليه السلام) وإيقاعه في دائرة العجز ، فهم على دراية تامة بعدم قدرة النبي موسى (عليه السلام) على تلبية طلبهم ؛ وبذلك يصلون إلى غايتهم التي تكمن في إبعاد الناس وتشويش عقولهم ليباعدوا بهم عن وعي الرسالة وإيقاعهم في غياهب التضليل^(٢) ، ولغرض التضليل جيء بحجتين أحدهما أقوى من الأخرى وأستعمل الرابط (حَتَّى) التي ربطت بين الحجتين (لن نؤمن لك) ، والثانية (نرى الله جهرة) ، وهما تخدمان نتيجة ظاهرة هي عدم الإيمان شريطة رؤية الله جهرة ، والأخرى حجة مُضمرة هي تضليل الناس . ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :



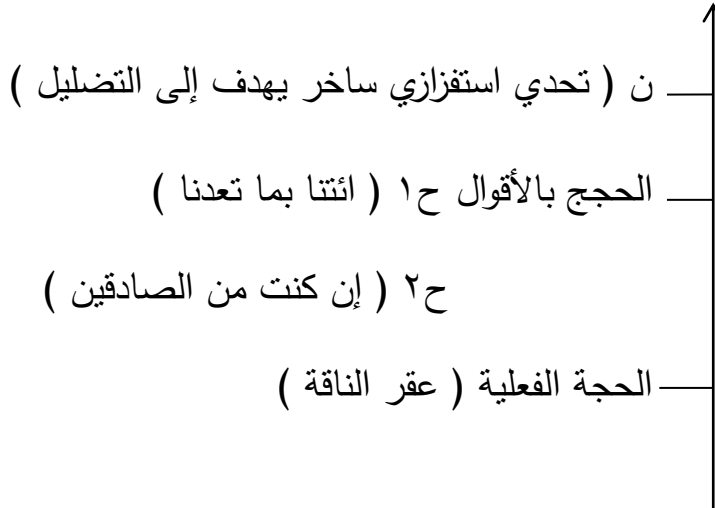
كان الطلب الاستفزازي ، أحد أهم المغالطات التي أتبعها القرى الظالمة لتحدي أنبيائها وخداع البسطاء من الناس ، إذ إنها وردت في آيات عديدة منها :

(١) سورة البقرة : الآية ٥٥ .

(٢) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٥٢/٢ .

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(١)

إنَّ قوم النبي صالح (عليه السلام) تمردوا على أمر الله عزَّ وجلَّ وعقروا الناقة ، وبهذا الفعل قد مهدوا للحجاج الكلامي بعوامل غير لفظية ، جيء بها لتدعيم الكلام ، إذ إنَّ الأفعال لا تخلو من صلة ((يقيمها المتكلم بين أفعاله الواقعية وبروزها حجة على أقواله وعملية التضليل))^(٢) فالأفعال حيلة تضليلية تعضد وتساند الكلام لتعزز حركية التضليل . ويمكن تمثيل الحجج كما يلي :



إنَّ التركيب اللفظي مكون من إيراد حجتين ؛ الحجة الأولى مثلتها صيغة الطلب بوساطة فعل الأمر (آت) ، أما الحجة الثانية فهي حجة شرطية المكونة من (إن + فعل الشرط) . إنَّ الانتقال من الحجج الفعلية إلى الحجج الكلامية ، تخلق من خلاله جوا من التحدي ، يتوارى خلفه نوع من الاستفزاز لشخص النبي صالح

(١) سورة الأعراف : الآية ٧٧ ، وينظر (سورة الشعراء : الآيات ٣١ و ١٥٤ و ١٨٧) و(سورة الأعراف :

الآية ١٠٦) (سورة العنكبوت : الآية ٢٩) و(سورة الأحقاف : الآية ٢٢) .

(٢) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٦٦ .

(عليه السلام) ، والنتيجة هي تمويه وخداع عقول الناس ، وهذا يعد جزءاً من عملية التضليل .

ثانياً : التضليل بالتجريح ومحاولات التشويه :

لقد شكلت سفسطة التجريح بما هي استراتيجية تضليلية و ((أشهر السفسطات على الإطلاق))^(١) أحد أهم أقنعة المضللين في خطابات التنازع بين القوى المضللة والأنبياء (عليهم السلام) ، وقد اتخذ التجريح أشكالاً عديدة منها : الاتهام بالجنون ، والسحر ، والسفاهة ، والكذب ، والضلالة ، والافتراء ، بغية تشويه الصورة لدى المتلقي ، إذ ((يقوم المتكلم ببناء صورة مخصوصة للخصم يطبق خلالها مختلف الاستراتيجيات التي تمكنه من تشويه صورته وإلحاق أكبر قدر من الأذى به ... فعوض أن يركز المتكلم على محتوى الخطاب (الحجة) يعتمد إلى التركيز على الشخص في حد ذاته بهدف الوصول إلى استخلاص تناقض بين ما يدعيه وحقيقة شخصه))^(٢) ، بحيث يعتمد المحاور إلى الهجوم على أصحاب الدعوة واتهامهم بتهم فكرية^(٣) وخلقية ، و((ينتقل بعد ذلك ليدعي ادعاء صريحاً ، أو يومئ إيماء خفياً ، إلى أن هذا العيب ينسحب على فكرته أيضاً ، أو يطعن في صدق دعواه))^(٤) ، وقد وردت الصفات الجارحة في القرآن الكريم بعدة نصوص ، ففي قوله تعالى :

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٥)

(١) الحجاج والمغالطة : ١٩ .

(٢) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٥٣ - ٥٤ .

(٣) ينظر : الحجاج والمغالطة : ١٩ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩ .

(٥) سورة الشعراء : الآية ١٨٥ - ١٨٦ .

عمد قوم النبي شعيب (عليه السلام) إلى استعمال استراتيجية تضليلية مدججة بالألفاظ الجارحة فعدوه مرة من المسحورين الذين فعل السحر فعلته في عقولهم حتى بات لا يميز بين الأشياء ، وأخرى من الكاذبين الذين يسعون للحصول على امتيازات شخصية^(١) .

لجأوا إلى استعمال صيغة المبالغة في قولهم (من المسحورين) تمادياً ومبالغة في تكذيبه ، وليشدوا الناس إليهم وليبعدوا دعوته عن سائر القوم^(٢) ، وكذلك استعمال صيغة فاعل التي دلت على الصفة المشبهة في قولهم (من الكاذبين) وهذا يدل على ثبات ودوام الصفة ، وبذلك تكون هذه ((الكلمات وسيلة لتوليد التأثيرات في الآخرين))^(٣) ، وزاد في قوة التأثير مجيء صفة التجريح بعد أداة القصر (إنما) إذ إنها منحت الصفة قوة وثباتاً وتوكيداً ؛ لأنها تعد من أدوات السلم الحجاجي التي تجعل ما بعدها حجة قوية^(٤) .

ومن الألفاظ الجارحة الأخرى ، الاتهام بالسفاهة في قوله تعالى على لسان قوم عاد :

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٥)

لقد سعى الذين كفروا من قوم النبي هود (عليه السلام) إلى تشويه صورته ، وذلك بالصاق التهم الباطلة ، فهو عندهم يدعي ((أن الله أرسله ، وهذا في زعمهم

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٥٦/١٧ .

(٢) ينظر : الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية - ، يوسف عمر لعساكر ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ : ٢٣٤ .

(٣) اللغة بين الدلالة والتضليل ، دراسة نقدية على هامش (معنى المعنى) ، د. كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الصنائع ، ط ١ ، ٢٠١٥ : ٤٢٠ .

(٤) ينظر : استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ : ٥٢٠ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٦٦ .

تعمد كذب وسفاهة عقل وادعاء محال^(١) فكلمة السفاهة توحى بالحمق والخفة^(٢)، وبهذه الصفات أرادوا تشويه شخصية المرسل وبالنتيجة تمويه عقول الناس وتضليلهم ، وقد جاءت الحجج مؤكدة بأداة التوكيد (إن) لتنزل الكذب منزلة اليقين وبذلك يقوى أثرها التضليلي ، ويرى الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) إن التوكيد يؤتى به وجوباً حين يكون المخاطب منكراً للخطاب^(٣) ، وبما أن الخطاب هنا قائم على المغالطة خارج عن نطاق الحقيقة فلا بد من الاستعانة بالمؤكدات لترسيخه في ذهن المتلقي ، مثلما إن الرابط الحجاجي (الواو) أدى دوراً حجاجياً لا يقل أهمية عن التوكيد إذ إنه ((يستعمل حجاجياً .. وذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض ، بل وتقوى كل حجة منها الأخرى))^(٤) وبذلك يكون قد ربط بين حجتين بصورة تراتبية (ح ١ - ح ٢) لتدعم النتيجة ذاتها وكالاتي :

ح ١ ← إنا لنراك في سفاهة

ح ٢ ← إنا لنظنك من الكاذبين

ثالثاً : التضليل بادعاء ثقة الخطاب :

كثيراً ما يلجأ المضلل إلى خداع الناس بالخطاب الواثق ، وهذا إن دل على شيء فإنه ((يدل على قدرة المتكلم على ادعاء الصدق والحرص على الظهور بالصورة الملائمة لمقام الخطاب))^(٥) ، فيتحدث بثقة ليوهم السامع انه صادق

(١) الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته : ٢٣١ .

(٢) ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٢٣٩ (سفة) .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : أبو الفضل الديماطي ، دار الحديث ، القاهرة ، (د . ط) ، ٢٠٠٦ : ٥٥١ .

(٤) الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، حسين بويلوطة ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة - ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠١٠ : ١٢٠ .

(٥) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٢٧ .

وبالنتيجة يصعب على ((المخاطب أن يدينه بأية محاولة للتضليل))^(١) ، و يتجلى ادعاء الخطاب الواثق في القرآن الكريم في خطابات فرعون والسحرة ، وذلك في قوله تعالى على لسان فرعون والسحرة :

(١) ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾^(٢)

(٢) ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٣)

(٣) ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٤)

(٤) ﴿ فَالْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾^(٥)

بعد إن هياً فرعون الأجواء ليوم الزينة الذي أعده للإطاحة بموسى (عليه السلام) ، كان للسحرة الأثر الرئيس في تأجيج نار الخطابات المدّعية الثقة ، وقد سلك الحوار مسارين ، فمرة توجهوا بالخطاب إلى فرعون ، ثمّ التفتوا بعد ذلك إلى موسى (عليه السلام) ، وعلى الرغم من تفرع الحوار إلا أنه كان ينبع من رافد واحد ، رافد الذات الواثقة .

ابتدأت المواجهة مع فرعون وكان الخطاب الموجه إليه مدّع الثقة وذلك ((إشعاراً بجدارتهم بالغلب ، وثقتهم بأنهم أعلم الناس بالسحر))^(٦) ، ويقر لهم فرعون بما أرادوا ، من ثمّ ((ابتدأ السحرة موسى في التقدم إظهاراً لثقتهم بمقدرتهم وإنهم الغالبون ، سواء ابتدأ موسى بالأعمال أم كانوا هم المبتدئين))^(٧) وبهذه

(١) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١١٤ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١١٥ .

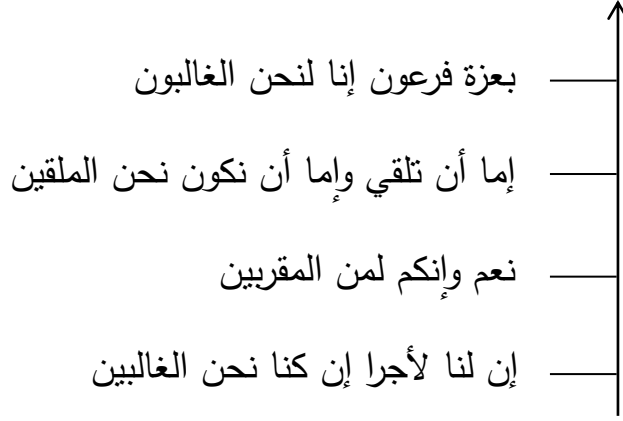
(٥) سورة الشعراء : الآية ٤٤ .

(٦) التحرير والتنوير ، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د. ط) ، ١٨٨٤ :

٤٦/٩ .

(٧) المصدر نفسه : ٤٧/٩ .

الطريقة يصبح بمقدورهم استدراج الملاء وتحقيق انقيادهم وتضليلهم^(١) ، ويمكن التحقق من حاجية الكلام التضليلي بالتمثيل له في السلم الآتي :



يبين السلمُ الحجاجي وجه التضليل والحيلة التي لجأ إليها السحرة ، وكيف تدرجت الثقة إلى أن وصلت ذروتها حين ((أقسموا بغزة فرعون على أنهم يغلبون ثقة منهم باعتقاد ضلالهم أن إرادة فرعون لا يغلبها أحد لأنها إرادة آلهتهم))^(٢) .

رابعاً : التضليل بالمناقشات الجدلية :

يسوق المضلل في هذه الطريقة من التضليل ، حججاً واهية تخالف القيم المنطقية والعقلانية ، فتكثر فيها المكابرة والمعاندة^(٣) ، ولا ((يقصد بها إظهار الحق ، إنما التعتت))^(٤) فهو لا يسلك الطريق الصحيح للمناقشة والجدل ، إنما يلجأ إلى الجدل المحض ، فيهرب من الحق إلى الباطل ، ويشير الضباب حول

(١) ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ م : ٥٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢٧ / ١٩ .

(٣) ينظر : الحجاج والمغالطة : ١١٤ .

(٤) الحجاج في مناظرة الحيدة والحذر ، ليتيمي مراد ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - ، كلية اللغات والآداب ، الجزائر ، ٢٠١٢ : ١٠١ .

الحق ، موظفاً أساليباً مختلفة من المغالطة وأمثالها^(١) . ويستمد هذا الخطاب شرعيته من شهرة مقدماته وليس من صدقها^(٢) ، فالمضلل يلجأ إلى المحاوراة والمناقشة الجدلية ، ليبعد الخطاب عن فحواه مستعرضاً أفكاراً متناقضة تبعد النقاش عن الغرض الذي جيء به للضلال والإضلال^(٣) ، وفي هذا النطاق دار النقاش بين النبي موسى (عليه السلام) وفرعون بعد أن دعاه لعبادة الله ، يقول الله تعالى :

- (١) ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾^(٤)
 (٢) ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾^(٥)
 (٣) ﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾^(٦)

نحى فرعون بالمناقشة منحى آخر محاولاً إثارة شك المأ واستثارة عقولهم بإلقاء الأسئلة تاركاً علامات استفهام يتوارى خلفها نسقاً مضمرّاً فظاهرها ((طلب الحقيقة وباطنها إرادة التضليل ، للإيحاء إليهم بأن عليهم إعادة النظر في قناعاتهم ، على أساس أن القضية تشمل الأخذ والرد ، ولا ترقى إلى مستوى الوضوح الكامل ، ليكتشفوا أنها لا تمثل الحقيقة اليقينية))^(٧) . وتتجلى لنا في علامات الاستفهام التي عرضها فرعون ثنائية الظاهر والباطن ، فظاهر الكلام الرغبة في الوصول إلى الحقيقة ، ومعرفة صفات الرب الذي يدعو إليه موسى (عليه السلام) ، وما آلت إليه القرون الأولى . إلا أن الإشارات المتخفية في طيات النص ، التي يثيرها الاستفهام تخلق جواً من الإثارة لدى المتلقي فالاستفهام يخاطب العقل ، ويحرك الذهن ويجعله

(١) ينظر : الحوار في القرآن : ٥٩ .
 (٢) ينظر : الحجاج في مناظرة الحيدة والحنر : ١٠٥ .
 (٣) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د. ط) ، ٢٠١٤ : ١١ .

(٤) سورة طه : الآية ٤٩ .
 (٥) سورة طه : الآية ٥١ .
 (٦) سورة طه : الآية ٥٧ .
 (٧) الحوار في القرآن الكريم : ٢٥٢ .

في رغبة عارمة للوصول إلى الحقيقة ، وبذلك يكون الاستفهام حيلة تضليلية لاسيما أن التخلف الفكري ، والإيمان بالأشياء الملموسة كانت الصفة الغالبة على ذهنية القوم آنذاك ، فأقحم موسى (عليه السلام) في بيان جنس الرب الذي يدعو إليه ^(١) ، على اعتبار أن القوم لا يؤمنون بالغيبيات ، فمن هذا الرب الذي تدعوان إليه ؟ أين هو؟ ((وبما أن فرعون ادعى الربوبية ، فادعاء ربوبية شيء آخر كان يخالف هواه))^(٢) ، ولذلك نجده يبرهن على ربوبيته بالحسيات حين يخاطب قومه ﴿ وَكَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٣) ، ويأتي الرد الصادم من موسى (عليه السلام) حين يجيبه ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^(٤) واصفاً الله تعالى بأفعاله ، مما حدا بفرعون عرض سؤال آخر ليعيد سلطة النقاش لصالحه بعد أن عجز عن الرد على موسى (عليه السلام) فيسأل عن حال الأمم الماضية ، محاولاً إثارة الملا وتأليبهم ضد موسى (عليه السلام) وكما السؤال الأول يجيب موسى (عليه السلام) بحكمة فلم يدع له ((مجالاً للتشبث بأية حجة (وإن كانت واهية) يريد بها زلزلة موقفه ، أو صرف الحديث عن خطه وغايته))^(٥) ، وعلى الرغم من كل الحجج والبراهين التي جاء بها موسى (عليه السلام) ، نجد فرعون يعرض سؤالاً جديداً أراد به التضليل ، فيعرض سؤالاً غيره موهماً الجمهور بانتمائه إليهم ((ليقفوا في وجه موسى بطريقة عدوانية على أساس الدفاع عن وجودهم في أرضهم التي يخیل

(١) ينظر : عقود المرجان في تفسير القرآن ، السيد نعمة الله الجزائري ، إحياء الكتب الإسلامية ، قم المقدسة ، (د. ط) ، (د. ت) : ٢٤٧/٣ .

(٢) القصص القرآنية - دراسة ومعطيات وأهداف ، آية الله جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ : ٦٦/٢ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٥١ .

(٤) سورة طه : الآية ٥٠ .

(٥) القصص القرآنية : ٦٨/٢ .

إليهم أن موسى يريد اقتلاعهم منها ، وإبعادهم عنها بسحره))^(١) ، لقد عمد فرعون إلى استعمال اللوغوس أو سلطة الكلمة للتأثير على المستمعين ، فعمد على ربط كلامه بالخطاب ((الداخلي التفكير التذهني المتمظهر بأعمال العقل ونشاطاته))^(٢) ، عامداً إلى استغلال التخلف الفكري لقومه ساعياً إلى تضليلهم .

خامساً : التضليل باستثارة العاطفة :

قد يتوارى المضلل خلف ستار العواطف ، فيخاطب عواطف الناس ليدفعهم إلى ((الاعتقاد بصحة الفكرة التي يطرحها ... فعامة الناس ينقادون وراء عواطفهم أكثر مما يستجيبون لنداء العقل ومنطقه))^(٣) ، والأسلوب الذي يثير العاطفة ويؤججها بطريقة لا تخلو من التضليل يؤثر في المتلقي ، إذ إنَّ عامة الناس وحسب قول أرسطو : ((يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم ، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة ، فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله كما ينبغي))^(٤) ، فأرسطو يرى أنَّ العاطفة ليست مجرد حجة ، بل هي ظاهرة مقصودة ، لا تخلو من أهداف تضليلية . ويصطلح أرسطو على الحجج التي تخاطب العاطفة بـ ((الباتوس))^(٥) ، والتعويل على الباتوس كونها وسيلة تضليلية ورد في آيات عديدة في القرآن الكريم على لسان المضللين ، منها قوله تعالى على لسان فرعون :

(١) تفسير من وحي القرآن : ١٢٥/١٥ .

(٢) التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي : ٦٠ .

(٣) الحجاج والمغالطة : ٢٨ .

(٤) في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ : ٩٧ .

(٥) ينظر : منزلة العواطف في نظريات الحجاج ، د. حاتم عبيد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، عدد ٢ ، المجلد ٤٠ ، ٢٠١١ : ٢٤١ .

(١) ﴿ قَالَ أَلَمْ نُنْزِلْكَ فِيْنَا وَلِكِدَا وَكِشْتَ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سَيْنَ ۖ ﴾^(١)

(٢) ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾^(٢)

تظهر محاولة فرعون في التمويه على القوم من خلال تصوير نفسه بصورة الأب المربي الذي يستحق العطف ، ويصور موسى (عليه السلام) وكأنه الابن العاصي الجاحد الذي يتمرد على أبيه ، ويعد هذا التصوير الذي أظهر فرعون فيه نفسه بصورة المسكين البائس ، ذكر القوم بما فعله موسى (عليه السلام) حين قتل القبطي في محاولة لتأجيج العاطفة وتأليب الناس ضد موسى (عليه السلام) ، وبذلك عرف فرعون كيف يحرك عواطف قومه ويوظفها لخدمة أهدافه التضليلية ، فقد ((استطاع أن يؤثر في أحكامهم وما يحملونه حول تلك القضية من وجهات نظر))^(٣) ، و الاحتجاج بالعاطفة هاهنا احتجاج مغالطي ؛ لأنّ فرعون أهمل الغرض الرئيس من رسالة موسى (عليه السلام) ، ولجأ إلى الصياغة المنطقية لحججه ، وبنى مقدماته بناء يفضي إلى نتائج معقولة ، فقد انشأ خطابه لغرض إثارة الإحساس واستدرار العواطف^(٤) ، وبذلك ابعد الحوار عن الغرض الرئيس ((بمجموعة من الحيل العاطفية التي تضمن لها استجابة من الطرف الآخر))^(٥) ، وبالنتيجة إغواء الجمهور وتضليلهم .

(١) سورة الشعراء : الآية ١٨ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٩ .

(٣) الباتوس : من الخطابة إلى تحليل الخطاب - من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف ، الدكتور حاتم عبيد ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته ، د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ٦٥/٢ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٧١/٢ .

(٥) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٦١ .

سادساً : التضليل العقائدي :

تعدّ عقيدة الآباء إحدى أهم المسالك الحجاجية التي استغلها المضللون لإقناع الناس و ((قد أوضح القرآن الكريم أن تقليد الآباء هو السبب المشترك للضلال بين الأمم))^(١) ، فأخذ المضللون يدعون إلى التمسك بهذا النهج الضال ، الذي يعدّ أحد أوجه السلطة ، وجعله أداة مساعدة في التوصل إلى التضليل ، ويطلق رشيد الراضي على هذا النوع من السفسطة (ما جرى العمل به) ، إذ يستثمر المضلل حجة الأغلبية أو الأكثرية وإيمانهم بعقيدة الآباء والأجداد ليدعي مشروعية ما يدعو إليه ، فلا يعقل أن يُدين بعقيدة الآباء ويجعل منها عملاً باطلاً ويشوه صورتهم^(٢) ، وبالنتيجة يدعوا إلى التمسك بهذا النهج الضال ، و ((قد أشار القرآن كثيراً إلى هذا الضرب من السفسطة باعتباره متكاً لمنكري الإسلام))^(٣) ، والرسالات السماوية في القرى الظالمة كما نجد في جواب قوم عاد لنبيهم هود (عليه السلام) في الآيات التالية :

(١) ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٤)

(٢) ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾^(٥)

(٣) ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٦)

(٤) ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾^(٧)

(١) المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام ، أحمد دعدوش ، منشورات السبيل - دار ناشري للنشر الإلكتروني ، ط ١ ، ٢٠١٤ : ٢٦ .

(٢) ينظر : الحجاج والمغالطة : ٥٧ . ٥٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٩ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٧٠ .

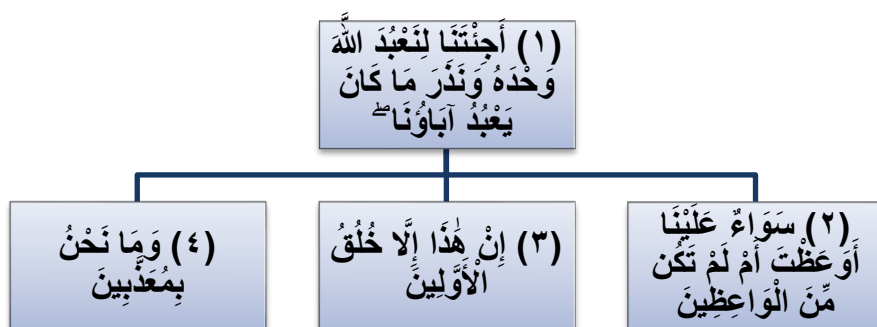
(٥) سورة الشعراء : الآية ١٣٦ .

(٦) سورة الشعراء : الآية ١٣٧ .

(٧) سورة الشعراء : الآية ١٣٨ .

إنّ قوم عاد عوضاً عن التأمل العقلي للحقائق المقبولة ، والاستدلال المنطقي ، لجأوا إلى حجج ((باطلة بالموازن الحجاجية المعقولة))^(١) ، ومنحوا حججهم المشروعية بحجة أنّها سنّة الآباء ، فهم لم يناقشوا أسباب الرفض بل عاندوا ومضوا في عقيدة عبادة الأصنام ، دونما نقاش أو جدل ، فهذه العقيدة ثابتة لا تتغير مهما حاججهم هود (عليه السلام) ، ومهما حاول إقناعهم فهم متمسكون بهذا النهج الضال . وهذا يعد مغالطة لأنّ أساس عقيدة آبائهم باطل .

لقد كانت الحجة الأولى الأساس الذي انبثقت منه الحجج الأخرى ، ويمكننا تمثيلها على النحو الآتي :



فكانت عقيدة الآباء هي الأساس الذي انطلقوا منه باعتباره مبدأ حجاجياً و ((فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع))^(٢) ، إذ جعلوا منها قاعدة للعناد والتمسك بالنهج الضال ، وعلى الرغم من يقينهم بصدق دعوى هود (عليه السلام) إلا أنّهم عاندوا ، فضلّوا وأضلّوا^(٣) .

(١) الحجاج والمغالطة : ٥٨ .

(٢) نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٨٠ .

(٣) ينظر : تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط ، الدكتور حسان الباهي ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته : ٨١٢ .

سابعاً : التضليل السلطوي والفكري :

يمثل هذا المسلك الحجاجي دليلاً على ((إفلاس صاحبه في التدليل والاحتجاج على صحة رأيه ، فيلجأ إلى سبيل القوة والسلطة من أجل إثبات قدرته على الإقناع مهما كانت الوسيلة ، لأن الغاية الأولى والأخيرة لهذا المتسلط هي فرض رأيه على الطرف الآخر حتى وإن كان ادعاؤه خاطئاً ، ورأي الخصم صائباً))^(١) ، ويبين القرآن الكريم في آيات عديدة إن أغلب مظاهر التضليل والحيلة من نتاج أصحاب السلطة^(٢) ، والسلطة تعني هنا ((سلطة الأشخاص المعترين بموقعهم الاجتماعي أو المهني أو بصفتهم العلمية أو أي اعتبار آخر))^(٣) وقد ذكرهم القرآن الكريم بوجوه عديدة منها : الكبراء ، الملأ ، المترفين ، المستكبرين^(٤) .

لقد تنوع الخطاب السلطوي الهادف إلى التضليل في القرآن الكريم وعلى سبيل المثال لا الحصر ادعاء الربوبية ، وأكثر ما تظهر ملامح ذلك عند فرعون ، وقد نقلها القرآن الكريم في قوله تعالى :

- (١) ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾^(٥)
- (٢) ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾^(٦)
- (٣) ﴿ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ بِبَشَرٍ مِّثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾^(٧)

(١) حجاج موسى (عليه السلام) في النص القرآني . دراسة تداولية : ٨١ .
(٢) ينظر : خطاب السلطة في القرآن ، رياض العمري ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد (د. ط) ، ٢٠١٤ : ٩٠ .
(٣) السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٤٢ .
(٤) ينظر : خطاب السلطة في القرآن : ٨٧ .
(٥) سورة النازعات : الآية ٢٤ .
(٦) سورة القصص : الآية ٣٨ .
(٧) سورة المؤمنون : الآية ٤٧ .

نظراً لصدق دعوى موسى (عليه السلام) ، وخشية فرعون من أن تلامس قلوب قومه وعقولهم ، اخذ يسعى بشتى الوسائل لتضليلهم ، ومن بين الطرق التي انتهجها ادعائه للربوبية ، على الرغم من أنه لم يكن في مزية مما يدعو إليه موسى (عليه السلام) إلا أنه يصدر الأوامر منطلقاً من سلطته بعدم إتباع ((الأرباب الآخرين مما يلتزمهم الناس من الآلهة ، لأن ربوبيتهم لا ترتقي إلى مستوى الربوبية الذي أنا فيه ، ولا تستمعوا إلى كل الادعاءات الأخرى التي تحاول النيل من مقامي العظيم . قال هذه الكلمة ، وهو يحسب حساب النتائج التي يمكن أن تكون لمصلحة موسى (عليه السلام) ، ليضع في داخلهم حاجزاً نفسياً ضد التأثير به والانجرار إليه))^(١) ، وبذلك يخرس فرعون الألسن ، ويلجم الوعي ويشلّه باستعمال السلطة والإرهاب الفكري .

إن المنتبِع للآيات السابقة يلاحظ تنوع إيراد الحجة ، فقد جاءت الحجة بصيغ عديدة على الرغم من إن الفكرة واحدة ، وفي كل مرة جاءت لتتناسب مقام الحال ، وليكون وقعها أكثر في التضليل ، ففي الآية الأولى جيء بها أسمية ، مثبتة ، قالها فرعون يوم الزينة ، ليؤكد سلطته من جديد بعد أن كاد يفقدها أمام تحدي موسى (عليه السلام) ، وليوحي للناس أنه مازال يملك زمام السلطة والقوة ، ليرهبهم ويبقيهم في دائرة التضليل^(٢) ، وفي الآية الثانية جاءت الحجة منفية ، معتمدة على استراتيجية الحصر ، ففرعون بقوله هذا قد حصر الألوهية بنفسه ونفاها عن سواه ، إذ نفى ((وجود إله غيره ، والمقصود بنفي وجود إله غيره نفي الإله الذي أثبتته موسى))^(٣) ، وهذه الحجة المغالطة صاغها فرعون ليحقق بواسطتها هدفه التضليلي ، من خلال استراتيجية السلطة التي كفلت له ضمان التأثير والإقناع ، أما الآية الثالثة فقد وردت بصيغة الاستفهام الإنكاري ، والقول هنا يعود إلى فرعون

(١) تفسير من وحي القرآن : ٣٩/٢٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

(٣) التحرير والتنوير : ١٢١/٢٠ .

وقومه باعتبارهم الهرم الأعلى للسلطة ، ولو تأملنا الآية فيما تضره من نسقية
سلطوية لرأيناها تكشف عن جانبٍ من الاستعباد والاستكبار الفكري و ((استعباد
الآخرين خطاب فعال لما يمتلكه من سلطة تمنع الرعية من القيام بأي تحرك مضاد
للطاغية وما ينتجه من بث اليأس والقنوط في نفوسها))^(١) ، ومهما حاول موسى
(عليه السلام) تحريرهم من النسق السلطوي لفرعون وقومه فإنهم سيقعون أسرى
للتضليل والتمويه . ومن أنواع الخطاب السلطوي الأخرى الاستكبار ، ومثل هذا
نجدّه عند قوم النبي نوح (عليه السلام) في الآيات الكريمة :

- (١) ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا
الَّذِينَ هُمْ أَمَرَدُنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ
كَاذِبِينَ ﴾^(٢)
- (٢) ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ ﴾^(٣)

يسيطر على خطاب قوم النبي نوح (عليه السلام) في الآيات السابقة النظرة
الدونية ، من خلال تقسيم المجتمع إلى طبقات ، ونسبة من امن بنوح إلى طبقة
(الأرذلون) أي ((أهل ضِعة وخسة))^(٤) ، ووضعوا أنفسهم في طبقة النخبة التي
تمثل طليعة المجتمع ، فهم يملكون السلطة والمال والنفوذ^(٥) . وتصنف هذه الحجة
ضمن المغالطات غير الصورية ، التي يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي :

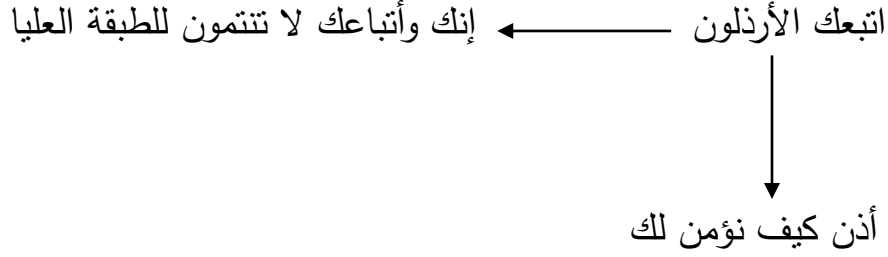
(١) خطاب السلطة في القرآن الكريم : ١٥٦ .

(٢) سورة هود : الآية ٢٧ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ١١١ .

(٤) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٢٠٦ (رَدُّل) .

(٥) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٣٥/١٧ .



يتضح لنا من خلال المخطط الاستدلالي الدائري المتكون من (مقدمة كبرى ، مقدمة صغرى ، نتيجة) كيف صاغ المضللون حجتهم لتؤدي دورها التضليلي عن طريق الإيهام بأن أتباع نوح (عليه السلام) ما هم إلا أرذل القوم ويجدر بالطبقة العليا أن لا تؤمن به .

ثامناً : التضليل بالتهديد والترهيب :

يعدّ هذا المسلك الحجاجي التضليلي مكماً للسلطة وتابعا لها ، يلجأ فيه المضلل إلى استراتيجية ((التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي))^(١) ، بعد أن يصل الإقناع إلى طريق مسدود . فيعمد المضلل من أجل إثبات دعواه إلى طرق مغالطيه ، فالتهديد حجاج مغالطي يعتمد فيه المضلل إلى توظيف التخويف بدلاً من القناعة الفكرية والأدلة المناسبة^(٢) .

وقد زحرت نزاعات الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) مع خصوم رسالتهم بأنماط متعددة من وسائل التهديد والترهيب ، وسلطة فرض الرأي ، حتى غدت ميزة أساسية لنزاعات القرى المتمردة^(٣) ، وتنوعت العقوبات بين تهديد بالقتل ، والرجم ، والإخراج من الأرض ، والسجن ، وغيرها . كما نجد في الآيات الكريمة :

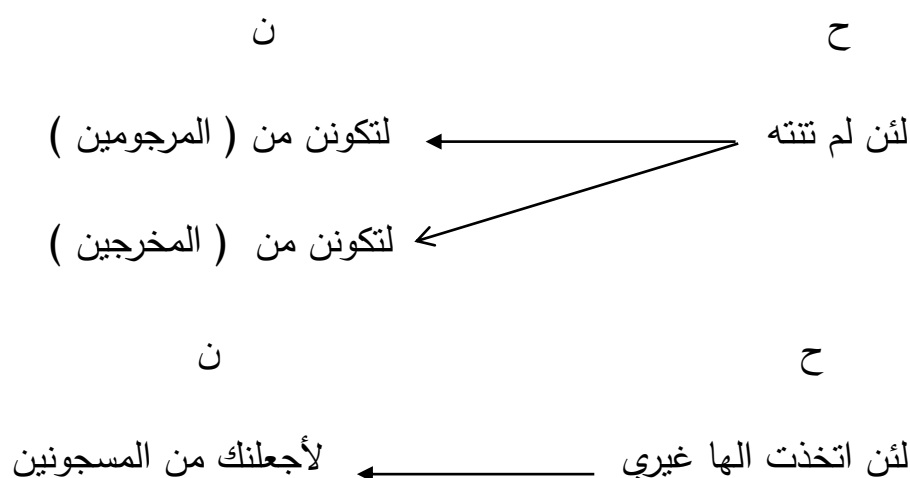
(١) حجاج موسى (عليه السلام) في النص القرآني : ٨٩ .

(٢) ينظر : المغالطات المنطقية ، عادل مصطفى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ : ١١٢ .

(٣) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٤٢ .

- (١) ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾^(١)
- (٢) ﴿ قَالَ لَنْ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾^(٢)
- (٣) ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾^(٣)
- (٤) ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْتَغُونَ ﴾^(٤)

إنَّ القرى الظالمة بعد إن عجزوا وأعياهم ((الاستدلال صاروا إلى سلاح المبتلين وهو المناضلة بالأذى))^(٥) فعوض الاستدلال بالحجج لجأوا إلى استراتيجية التهديد بالرجم مع النبي نوح (عليه السلام) ، وهدد فرعون النبي موسى (عليه السلام) بالسجن ، وتأمروا على نفي النبي لوط (عليه السلام) ، ويمكن أن نرسم للعلاقة الحجاجية بالشكل التالي :



(١) سورة الشعراء : الآية ١١٦ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٢٩ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٦٧ .

(٤) سورة النمل : الآية ٥٦ . وينظر : (سورة الأعراف : الآية ٨٢) .

(٥) التحرير والتنوير : ١٦٣/١٩ .

ويضيف قوم النبي لوط (عليه السلام) حجة أخرى تناقض المنطق العقلي ، على اعتبار أنها من الأخلاقيات المسلم بها ، إلا أنهم جعلوا منها ((علة للأمر بالإخراج))^(١) وهي قولهم ﴿ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطَرُونَ ﴾ ، أي يقفون ضد أساليب المحرمات التي كانوا يمارسونها ، ووجود هذه الفئة الخيرة من آل لوط يمثل تحدياً لرغباتهم غير المشروعة ، إلا أنهم في عرضهم هذا لا يملكون الحجة المقنعة التي تلامس العقل والفكر ، فهم في حالة من الضعف الفكري ؛ لذلك كانت انجع السبل هي ممارسة التهديد لإحداث التضليل^(٢) .

يرتبط التهديد بوشيجة قوية مع السلطة وما تضرره من دوافع للتضليل ، إذ إنها تصدر المطلوب وتتجاهل الهدف الأساس للدعوة ، أضف إلى ذلك عدم الاعتبار لما يفكر به المخاطب ، ساعية جهدها لتحقيق هدفها الأساس المرسوم لتنفيذ مخطط التضليل .

(١) التحرير والتنوير : ٢٣٥ / ٨ .

(٢) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٧٧ / ١٠ و ٢٢١ / ١٧ .

المبحث الثاني

تضليل المشركين

تقديم :

شغل التنازع الذي كان دائراً بين المؤمنين والمشركين مساحة واسعة من آيات الذكر الحكيم ؛ إذ ورد في القرآن الكريم العديد من النصوص الدالة على مناقشات المشركين ومجادلاتهم ومعارضاتهم ونزاعاتهم ، وما اثاروه من شبهات ودعاوى باطلة ، رواها القرآن وبين فسادها وما تنطوي عليه من ضلال ، فقد اصر المشركون على العناد والمكابرة وخاطبوا الرسول بقولهم : ﴿ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾^(١) ((ماضون في موقفنا المضاد الذي يرفضك ويرفض رسالتك . لذلك فإننا سنواجهك بكل ما نملك من وسائل المواجهة ، ولن نمكنك من تغيير تقاليدنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وتضليل شبابنا ، مهما كلفنا من جهد وتضحية وقوة))^(٢) ، فلم يجادلوا ، ولم يناقشوا لغرض الفهم والإقناع ، ولأجل فهم مضمون الرسالة ، والتأمل في مراميها ، والتوصل إلى الحق ، بل كان الغرض من جدالهم خارجاً عن هذا الاطار ، منصب في العند والمكابرة ، والضلالة والتضليل^(٣).

وقد تنوعت السفسطات التي انتهجها المشركون في ابعاد الناس عن الدين والصد عن سبيل الله ما بين اتهامات للرسول ، والطعن في القرآن ، والهزئ والسخرية ، وغيرها من السفسطات الموظفة لغاية التضليل .

(١) سورة فصلت : الآية ٥ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ٩١/٢٠ .

(٣) ينظر : الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته : ٤٣ .

أولاً : التضليل باتهام الرسول بالباطل :

كثيرة هي التهم التي ألصقها المشركون بأشرف الخلق مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد أن أعياهم الرد عليه ، فاتهموه بالسحر ، والجنون ، والافتراء ، والكذب ، والشعر ، والكهانة ، خاضعين للجو الانفعالي الذي سيطر عليهم حتى باتوا لا يملكون الحجة والبرهان الصادق لإثبات ادعائهم ، وظلت أفكارهم عاجزة عن الاقناع^(١) ، فلجؤا إلى سفسطة التجريح باعتبارها آلية من آليات التضليل . وذلك كقوله تعالى :

(١) ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَفَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ ﴾^(٢)

(٢) ﴿ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾^(٣)

(٣) ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤)

تعددت أشكال الاتهام التي توجه بها المشركون للرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليشغلوا الساحة بتلك التهم الباطلة ، فيبتعد الناس عن القضايا الحية للدعوة . فجعلوا من شخصية الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بؤرة و ((حاولوا اغتيال شخصيته ليسقطوه من أعين الناس))^(٥) ، فاخذوا ينتقلون من تهمة إلى أخرى ، وهم في تلك التهم التي لا اساس لها انما ارادوا التمويه والتضليل .

(١) ينظر : الحوار في القرآن : ٧٥ .

(٢) سورة الطور : الآية ٢٩ - ٣٠ .

(٣) سورة ص : الآية ٤ .

(٤) سورة النحل : الآية ١٠١ .

(٥) مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ط ٣ ، (د.ت) : ١٤٢/٧ .

وإذا ما عدنا للمعجمات العربية نرى أنَّ هناك عاملاً مشتركاً بين تلك النعوت ، فكلمة (ساحر) اسم فاعل دال على من يعمل في السحر . والسحر هو إيهام وخداع^(١) ، وكلمة (شاعر) اسم فاعل دال على من يقول الشعر . والشعر هو ((قول مؤلف من أمور تخيلية ، يقصد بها الترغيب أو التنفير))^(٢) ، ودلّ لفظ (كاهن) الذي على زنة اسم الفاعل ، على من ((يخبر بالأخبار الماضية ، والأمور الغيبية على سبيل الظن))^(٣) ، أما لفظ (كذاب) فهو صيغة مبالغة دالة على من أخبر بخلاف الواقع^(٤) على وجه الكثرة والمبالغة ، ودلّ قولهم مجنون على من ذهب عقله^(٥) ، وهو اسم مفعول . أما كلمة مفترى أيّ ((كاذب متقول على الله))^(٦) فهي اسم فاعل كذلك . والعامل المشترك بين تلك النعوت هو كونها دالة على إيهام وخداع الرسول لهم . اصف إلى ذلك كونها صفات ، والصفات على حد قول عبد الله صولة صيغتها أبلغ في التعبير عن الحكم التقويمي من الأفعال والأسماء ، ويقصد بالحكم التقويمي كون تلك الكلمات اللامسؤولة ، التي أطلقها المشركون تحمل خصائص تقويمية ؛ إذ انها ذات شحنة اخلاقية موصوفة بالتقبيح وقد نزلت منزلة اللقب الذي يحمل في طياته ذما للرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم)^(٧) وتلك الخصائص التقويمية منحت الصفات بعداً حاجياً ، اسهم اسهاماً فعالاً في عملية التضليل ، وإن كان منشؤها الافتراء والكذب المحض الصريح ، وغلفت بحيلة من حيل التشويه والإيهام ، بقصد التمويه والتضليل^(٨) .

ويمكن استكشاف قوة الصفات وأثرها في التضليل في القياس الآتي :

- (١) ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٢٣٢ (سَحَر) .
- (٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ : ٤٨٤ (شَعَرَ) .
- (٣) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٣٩٨ (كَهَنَ) .
- (٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣٨٩ (كَذَبَ) .
- (٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٣٠ (جُنَّ) .
- (٦) المصدر نفسه : ٣٥٣ (فَرَى) .
- (٧) ينظر : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ : ١٤٥ .
- (٨) ينظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط ٤ ، ١٩٩٣ : ٣١٢ .

مقدمة صغرى مذكورة ← اتهامات باطلة (ساحر ، شاعر ، كاهن، كذاب،

مجنون ، مفترى)

مقدمة كبرى مُضمرة ← الرسول يريد خداعهم وتضليلهم

نتيجة ← صد الناس عن الرسول ودين الإسلام

نلاحظ أنَّ تلك الكلمات أكبر من كونها وصفاً ، إنّما هي وسائل لتوليد التأثيرات ف ((ما دامت الكلمات تتداخل مع الأفكار وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً بحيث يتعذر عزل أحد الطرفين عن الآخر ، فلا مناص من تأثير الكلمات في الأفكار إلى حد بعيد))^(١) ، وبذلك شوش المشركون فكر الناس ، بالتعرض لشخصية الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ووجهوا التهم الباطلة لشخصه الكريم ، لصرف الناس وتضليلهم عن دين الحق .

ثانياً : التضليل بالطعن في القرآن :

الطعن في القرآن حيلة تضليلية سلكها المشركون بعد أن عجزوا عن الاتيان بالحجج المقنعة ، فبات التضليل وسيلتهم الوحيدة ، والقرآن الذي تحداهم هاجسهم الأكبر ، والنيل منه غايتهم الأولى . فعمدوا إلى النيل منه والطعن فيه ، والطعن في القرآن بالقول أو بلسان هو ثلّبه والاعتراض عليه^(٢) ، والطعن هو العيب والقدح^(٣) ، فعابوا القرآن وطعنوا به ؛ لأجل تضليل الناس ، من خلال تشويه صورته ، موظفين في حجاجهم التضليلي ، ألفاظاً ملقمة (مشحونة) باطلة ، فهي لا تمس القرآن الكريم من قريب ولا من بعيد ، بل إنّها كذب وافتراء ، تختزن في داخلها مضمّرات تمويهية ؛ لتصادر على المطلوب ، بعد أن

(١) اللغة بين الدلالة والتضليل : ٣٤٧ .

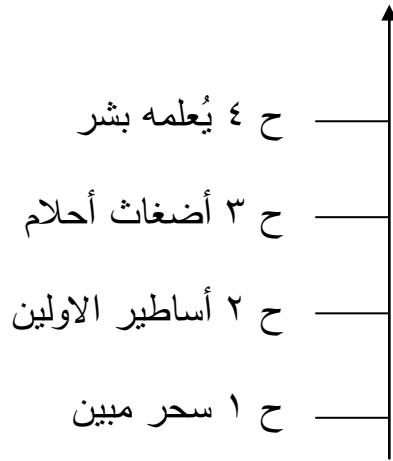
(٢) ينظر : المعجم الوسيط : ٥٥٨ (طَعَنَ) .

(٣) ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : ٢٩٣ (طَعَنَ) .

فشلوا في حمل عبء البرهان^(١) ، ومن بين تلك النعوت قولهم (سحر ، أساطير الأولين ، أضغاث أحلام ، قول بشر) التي وردت في الآيات الآتية :

- (١) ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢)
- (٢) ﴿إِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣)
- (٣) ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾^(٤)
- (٤) ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾^(٥)

إنَّ الشبهات التي أطلقها أهل الباطل ، تعبر عن تخبطهم وعدم امتلاكهم للرشد ، فهم يطلقون عبارات مقصودة وغير مسؤولة ، لا تعبر عن أية مسؤولية فكرية ، ولم يلتزموا تهمة واحدة ، بل تعددت الاتهامات ، وتنقلوا من تهمة إلى أخرى في سلمية حاجية يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي :



(١) ينظر : المغالطات المنطقية : ٢٨ .

(٢) سورة الاحقاف : الآية ٧ .

(٣) سورة المطففين : الآية ١٣ . وينظر سورة القلم : الآية ١٥ .

(٤) سورة الانبياء : الآية ٥ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٠٣ .

إنَّ التعدد في الحجج هنا لا يكمن في التدرج والانتقال من حجة إلى حجة أقوى منها فحسب . بل إنَّ للتقل أسبابه ؛ فانتقاء الحجة الأولى وبهتانها جعل من المشركين ينتقلون إلى حجة أخرى ، والانتقال من حجة إلى أخرى باطلة لا تعضد وتساند الأخرى بل ترد بوصفها حجة جديدة ، ويبقى العامل المشترك بين تلك الحجج ، هو النتيجة المضمرة ذاتها وهي ابعاد القرآن عن القداسة .

حين عجز المشركون عن الاتيان بمثل القرآن قالوا عنه سحر ، ونتيجة علمهم ببطلان هذه الدعوى ، فهم يعلمون على الرغم مما تعنيه كلمة سحر من إيهام وخداع ، إلا أنه ((عملية تنطلق من خلال لعبة تخدع أعين الناس ، فهو ليس حقيقة ، إنما حالة تخيلية لا أساس لها في الواقع))^(١) ، والقرآن حقيقة ماثلة أمام أعينهم ، انتقلوا إلى حجة أخرى ، فقالوا أساطير الأولين ، والأساطير هي اباطيل أو احاديث لا نظام لها^(٢) ، وبذلك يصدر عن حكماء على القرآن بأنه ليس سوى مضمون خرافي ، كما هي القصص الاسطورية الخرافية ، التي تناقلتها الاجيال من الأمم الماضية^(٣) ، ولا تختلف هذه اللفظة عن سابقتها بكونها ((مجرد كلمة استهلاكية للهروب من الحوار القائم على التفكير الجدّي المسؤول))^(٤) ، إلى ((إثارة الضباب وتشويه صورة الدعوة من خلال شعارات تتفاعل في نفوس البسطاء من الناس ، فينفصلون عن خط الدعوة ، ويبتعدون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)))^(٥) ، ولأنَّ ما نقله القرآن تاريخاً وليس اسطورة ، حقيقة وليس خرافة ، لجأوا إلى حجة أخرى ، فقالوا أضغاث أحلام ويرى الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) أنَّ قولهم هذا لا يختلف عن قولهم أساطير الأولين ، إلا أنَّ غيره يرى أنَّ الاضغاث هي أحلام مختلفة ملتبسة لا تفسير لها ، والاضغاث هو كلام لا خير فيه^(٦) ، ونتيجة خشيتهم أن لا يؤدي هذا الطعن أثره في التضليل ف ((أضغاث الأحلام لا تأتي بهذا الإحكام والتنظيم والإعجاز

(١) حركة النبوة في مواجهة الانحراف : ١٣٧ .

(٢) ينظر : لسان العرب : ٢٨/٦ (سطر) .

(٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٤٦/٢٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٠/٩ .

(٥) المصدر نفسه : ٦٥/٩ .

(٦) ينظر : لسان العرب : ٤٦٩/٢ (ضغث) .

والبلاغة))^(١) ، أضربوا عن قولهم هذا . و قالوا بل هو قول بشر وإنَّ الرسول تعلّمه من شخص ما ، على اعتبار أنَّ الرسول امي لا يجيد الكتابة ، وهذا مما لا ينكره أحد من المشركين . فأحاطوا حجتهم بإطار تمويهى تضليلي ، ولفظة (يُعلّمه) هي ذلك الاطار الذي وضعوا الحجة في داخله ، فاختيار لفظة التعلّم دون غيرها ، له دلالتان : إحداهما : اشراك الرسول في وضع القرآن ؛ لكون لفظة تعلّم ((أقرب إلى المعاني منه إلى الألفاظ))^(٢) ، فالرسول كان يتعلّمه بالمعنى ثم يصيغه لفظاً ، والأخرى : إنَّ لقولهم (يُعلّمه بشر) والاكتفاء بهذا القول يجعل من جوابهم للسائل عن هذا المعلم ، مفتوحاً غير مقيد بشخص معين ، ففي كلّ مرة سيضعون الجواب الذي يتناسب والسائل^(٣) .

وبذلك كانت محاولة تضليل الآخرين وتشويش قناعتهم ، هي الاهم عند المشركين ، بغض النظر عن الوسائل المستعملة للوصول إلى عقل الناس ، فكانوا يتخبطون في انتقاء الحجج التي تسيء إلى القرآن ؛ لأنّ تنازعهم لم يكن يهدف للوصول إلى قناعات فكرية بل يهدف إلى تمويه الناس وخداعهم .

ثالثاً : التضليل بأسلوب التشويش :

تعني كلمة التشويش ((التخليط))^(٤) . فقد كان المشركون يعمدون في نزاعاتهم مع المسلمين إلى خلط أصوات مع صوت تلاوة القرآن ، كي يصعب سماعه ، إذ تشكل الاصوات الصادرة منهم عائقاً يحول دون سماع القرآن ، كما تشكل عائقاً نفسياً لدى المتلقي يصعب معه فهم الرسالة صحيحاً .

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، الدكتور عبد المحسن بن زين المطيري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٦ : ١٧١ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، أشرف الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ت لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧ : ٣٤٨/١٢ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٨٧/١٤ .

(٤) لسان العرب : ٢٠٠/٨ (شيش) .

ويندرج أسلوب التشويش ضمن سفسطة العنف ، والقوة ، فهو عنف لكنه خفي و غير مرئي ، إنه عنف رمزي لا يحس به المتلقي ^(١) ، ونجد ذلك في الآية الكريمة :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢)

تتجلى ملامح السلطة في النصّ بوساطة النهي والأمر ، الصادر من الذين كفروا ، وهم ((أئمة الكفر)) ^(٣) ، إلى عامة الناس من الذين لم يؤمنوا بعد . وذلك بتوظيف الأساليب الضاغطة المتعسفة ، وهذا هو أسلوب العاجزين عن استعمال المنطق ، فالحقائق الماثلة امامهم لا يمكن دحضها ، ولا تفنيدها ، لذا يلجأون إلى استعمال القوة ، وإثارة الضوضاء ، كي لا يصل صوت القرآن إلى مسامع الناس فيعرفوا أنه الحقّ من ربّهم ^(٤) .

لقد جاء القول الأوّل (لا تسمعوا لهذا القرآن) كمقدمة مهدت للتشويش ، فالمشركون لا يريدون لأتباعهم الاستماع للقرآن ، كي لا ينفذ إلى مشاعرهم فيؤمنوا به . ثمّ جاءت بعدها فرضية التشويش باستعمال اللغو، واللغو ((مالا يعتدّ به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع)) ^(٥) ، فكانوا يعمدون على خلط صياح وصخب عند تلاوة القرآن وبذلك يصنعون جلبة ، تحول دون التأمل والتدبر في آيات الذكر الحكيم ، ثمّ يختم القول بنتيجة مفادها الغلبة (لعلمكم تغلبون) وجاءت الحجج كما يأتي .

ق ١ لا تسمعوا لهذا القرآن ← عدم ايمان الاتباع
ق ٢ الغوا فيه

لقد كانت النتيجة عاملاً من عوامل الاغراء ، فقد اضرّ المشركون القصدية الحقيقية ، وظهروا نتيجة اخرى ، فالغلبة ليست هي النتيجة الحقيقية إنّما التمويه والتضليل هو الغاية

(١) ينظر : الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي ، د. علي أسعد وطفة ، مجلة مدارك ، مؤسسة مدارك للأبحاث والدراسات، العراق ، عدد ١٧ - ١٨ : ١١١ - ١١٢ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٢٦ .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٧٧/٢٤ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١١٢/٢٠ .

(٥) لسان العرب : ١١٦/٢٠ (لغا) .

الحقيقية من وراء التشويش . وهذه طريقة من طرق خداع المشركين وألأعييهم ، في انتقاء الخطابات التحريضية والتعبوية لتضليل الآخرين وتحريضهم على العنف والتضليل .

رابعاً: التضليل بالسخرية والاستهزاء :

السخرية والاستهزاء كلمتان مترادفتان ، فالسخرية هي الهزاء^(١) ، والاستهزاء هو السخرية^(٢) . وهي طريقة غير مباشرة للنيل من الآخرين ، تنبع من نفس حاقدة ، رغبة في الانتقاص وتقليل شأن الخصم^(٣) ، وقد استعملت هذه السفطة من قبل المشركين ، في التضليل ؛ لأنهم عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة^(٤) ، والبرهان بالبرهان . وقد وردت السخرية في قوله تعالى :

(١) ﴿ وَإِذَا مَرَأَتْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾^(٥)

وقوله تعالى :

(٢) ﴿ وَإِذَا مَرَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ مَرْسُولاً ﴾^(٦)

وظَّف المشركون الاستفهام في خطابهم الساخر ، فالاستفهام هنا لم يكن الغرض منه طلب الفهم كما هو الاستفهام الحقيقي ، بل هو مجازي أدى معنى السخرية ، فقد كان المشركون يسيرون وفق خطة تضليلية ، تسعى إلى تهوين موقع الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) ينظر : لسان العرب : ١٦/٦ (سخر) .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٧٨/١ (هزأ) .

(٣) ينظر : النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين ، إيمان طبشي ، رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٠/٢٠١١ : ١٢ .

(٤) ينظر : الحجاج والمغالطة : ٣٠ .

(٥) سورة الانبياء : الآية ٣٦ .

(٦) سورة الفرقان : الآية ٤١ .

وسلم) والخط من شأنه ، باستعمال الأسلوب الساخر اللاذع ، ليثيروا جواً من الضحك والهزء في ساحة الصراع ، كي ينفذوا خطط الدعوة المحمدية^(١) . فكان خطابهم ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ خطاباً ساخراً فيه من التعجب والتحقير ما يترك أثراً بليغاً في نفس سامعه ، ف ((الاستفهام مستعمل في التعجب ، واسم الإشارة مستعمل في التحقير ، بقرينة الاستهزاء))^(٢) ، وكذلك في قولهم : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ممزوجاً ما بين الإنكار والاستصغار ، فالاستفهام أفاد الإنكار من كون مُحَمَّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) هو المبعوث من قبل الله عزَّ وجلَّ ، أما الاستصغار فقد دل عليه اسم الإشارة^(٣) . وهذه الحجج المغالطة لا تفند الأفكار ، ولا تقدم الدليل الذي يقدر بآراء المحاور ، فالمضلل هنا لا يسوق الحجج التي تبطل الدعوى ، بل يعتمد إلى أساليب مشاغبة من استهزاء ، وتحقير واستصغار وإنكار وتعجب ، وهذه كلها ((معان تأتي منها السخرية فإذا خرج إليها الاستفهام أكسبها قوة وتأثيراً ، لأنَّ الاستفهام البلاغي فيه قوة وانفعال ، فإذا كان ساخراً جاء في أغلب الأحيان عنيفاً))^(٤) ، وهكذا كان خطاب المشركين ساخراً ، عنيفاً ، ومثلما يلعب الاستفهام ((دوراً كبيراً في الإقناع وخاصة في العملية الحجاجية نظراً لما يعمل من جلب المتلقي إلى فعل الاستدلال ؛ بحيث إنه يشركه بحكم قوته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب ، ويلعب دوراً أساسياً في الإقناع بالحجة))^(٥) ، فهو كذلك يؤدي دوراً تضليلياً إذا اقترن بأحد السفسطات المشهورة .

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٥٣/١٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦٦/١٧ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٣٢/١٩ .

(٤) أساليب السخرية في البلاغة ، شعيب بن أحمد بن مُحَمَّد عبد الرحمن الغزالي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، السعودية ، ١٤١٤ هـ : ٧٤ .

(٥) الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار ، نماذج من القرآن والحديث ، د. آمنة بلعلي ، مجلة التراث العربي ، عدد ٨٩ ، ٢٠٠٣ ، دمشق : ٢١٤ .

خامساً : التضليل بمسألة القدر والبعث :

إن مسألة القدر والبعث من الوسائل المهمة التي استغلها المشركون في تضليلهم الكلامي ، ولم يكن استغلالها من قبل المشركين فحسب ، بل لم تخلو رسالة سماوية إلا وقد تعرضت لها . إلا أنها قد بلغت أوجها في زمن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، حيث وردت في القرآن الكريم في مواضع عديدة وبصيغ متنوعة منها : الانكار والعناد ، والتحدي والاستهزاء والسخرية ، إلا أن كثرة ورودها جعلنا نعدّها مغالطة منفردة . والمقصود بالقدر هو الوقت والأجل^(١) ، أما البعث فهو ((إحياء بعد موت))^(٢) وكلاهما يدل على القيامة . لم يكن لأصحاب هذه السفسطة من حجج منطقية تثبت قولهم سوى الظن والاستبعاد^(٣) ، والنكران حتّى اعتبروها اسطورة لا وجود لها ، كما نقل عن لسانهم في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٤) ، فلو كانت حقيقة لم لم تحدث إلى الآن؟ هذا التساؤل الذي عرضه المشركون لإثارة الجانب العاطفي للجمهور ومن ثمّ التضامن معهم فيتنازل المخاطب عن أفكاره التي يؤمن بها ؛ وبهذا يحقق حجاجهم غير المنطقي ، ما كان سيحققه الحجاج المنطقي لكن بفارق التمويه والتضليل^(٥) ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٦)

أكد المشركون حجتهم بقسم تصدر الخطاب ، وسبب لجوء المشركين إليه ؛ هو عدم امتلاكهم لدليل عقلي ، وحجة منطقية يثبتان استحالة البعث ، لذلك اجهدوا انفسهم بذلك

(١) ينظر : المعجم الموسوعي : ٣٦٥ (قدر) .

(٢) المصدر نفسه : ٩٧ (يبعث) .

(٣) ينظر : الحوار في القرآن : ١١٥ .

(٤) سورة النمل : الآية ٦٨ .

(٥) ينظر : عندما نتواصل بغير ، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، . عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د . ط) ، ٢٠٠٦ : ١٦٩ .

(٦) سورة النحل : الآية ٣٨ .

القسم ، بوصفه طريقة لإيحاء نفسي بكون ما ينكرونه يمثل الحقيقة^(١) ، إن استهلال الحجة بالقسم جعلها مؤثرة حجاجياً ، إذ إنَّ القسم فعل اضطراري ، ينتج حين يكون المخاطب منكراً لأقوال المتكلم ، وهو كذلك حصن أخير يلجأ إليه المتكلم في حجابه ليؤكد صدق ادّعاءه ، وينفذ بحججه إلى مشاعر المتلقي فيخدعها . إلا أنَّ سلطة القسم لا تنتهي نزاعاً ، ولا تكون حجة ودليلاً منطقياً على صدق الدعوى المعروضة ، وبالنتيجة فالمخاطب بحاجة إلى حجج أخرى تغير من موقفه وتثبت له عكس ما يؤمن به^(٢) ، فالقسم ليس سوى حجة داعمة للحجة التي تليه ، وقد تلتته حجة نفي البعث بعد الموت التي كان لها المجال الأوسع في التضليل ؛ إذ إنَّ قولهم : (لا يبعث الله من يموت) ظاهره انكارٌ للحشر ، وإنَّ الموت هو نهاية الحياة ، أما النتيجة المضمرة فهي إن الحياة تنتهي بالموت وليس هناك حساباً أو عقاباً فما الحاجة إلى الإيمان ؟ وترك الملذات الدنيوية ؟ وبهذا يخدع الرأي العام ، وتشوش العقول ، وتدلّس الحقائق ، ويدفع بالناس إلى الضلال .

سادساً : التضليل بالطلبات التعجيزية :

تقوم هذه السفسطة على ((إفحام المخاطب انطلاقاً من تعجيزه))^(٣) ، إذ يسعى أصحاب هذه السفسطة إلى إعطاء مبرر علني لمن لا يرغب بالإيمان ، أو لمن أراد الردة . كما أنَّها مبرر لنكران رسالة النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، من خلال تعجيزه بطلبات أشبه بالمستحيلة ، لا من خلال الدفاع بالحجج الصحيحة ، فعدم استجابة الرسول لطلباتهم ، ليس بحجة صحيحة تثبت بطلان الدعوة ، وقد لجأ المشركون إلى هذا الأسلوب في التضليل لعلمهم بعدم قدرة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على تنفيذ تلك الطلبات ، فهو عبد مأمور بإمرة الله تعالى . وبالنتيجة فإن كلماتهم ستنفذ إلى مشاعر المتلقي فيستجيب لتضليلهم ، ومن التعجيز ما ورد في قوله تعالى :

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٢٣/١٣ .

(٢) ينظر : في حجاج النص الشعري ، مُحَمَّد عبد الباسط عيد ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د. ط) ، ٢٠١٣ : ٦٢ .

(٣) عندما نتواصل نغير : ١٦٦ .

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْعُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُرَعَتْ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُرْخُوفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مَرْسُومًا ﴾^(١)

يعرض المشركون قائمة من الشروط ، ويمنحون الرسول حرية الاختيار من بينها ، وكأنهم في موقع المتحري عن الحق الراغب في نفع الناس . ولكي تتطوي حيلتهم التضليلية وتمر كلماتهم على المأى وكأنها كلمات حق صادقة . كان خطابهم المباشر للرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ، دون أن يجعلوا منه وسيلة بينهم وبين الله تعالى ((فلم يقولوا لن نؤمن لك حَتَّى تسأل ربك أن يفعل كذا وكذا))^(٢) ، بل جاءت صيغة الطلب بالأفعال (تفجر ، تسقط ، تأتي ، ترقى ، تنزل) التي فاعلها الضمير (أنت) العائد على رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ، فهي توحى بطريقة أو بأخرى إلى الاعتقاد السائد بين الناس ، بأن النبوة حالة غير عادية وأن النبي (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) بإمكانه صنع المعجزات والخوارق^(٣) ، فتثير مخيلة المتلقي محدثة تفاعلاً بين ما يعرضه المضلل من كلمات ، وما يضمنه من معانٍ ، فيكون مرتقباً للرد ، أو بانتظار ما سيصنعه الرسول ، ولأنَّ المشركين لا يخفى عليهم بشرية الرسول وعدم قدرته على صنع ما هو خارج عن المألوف ، ستتطوي حيلتهم على الناس ، ويحقق حجاجهم غرضه التضليلي ، كما وتنوعت حجج المشركين المعروضة للتعجيز ، ما بين خوارق فيها منافع للرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ولهم ، و خوارق فيها مضرة لهم^(٤) ، ولا تخلو هذه المفارقة من حيلة تضليله ، فيها خداع للمتلقي . ويمكن توضيح هذه الشروط وكما يلي :

(١) سورة الاسراء : الآية ٩٠ - ٩٣ .

(٢) الميزان : ١٩٩/١٣ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ٢٣٢/١٣ .

(٤) ينظر : التحرير والتثوير : ٢٠٩/١٥ .

تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً
يكون لك بيت من زخرف
ترقى في السماء

طلبات فيها منفعة للرسول

تفجر لنا من الأرض ينبوعاً
تأتي بالله والملائكة قبيلاً
تنزل علينا كتاباً نقرؤه

طلب فيه منفعة لهم

تسقط السماء علينا كما زعمت كسفاً ← طلب فيه ضرر لهم

تكن الحيلة والخداع في تنوع الحجج ، وكل نوع من هذه الحجج قد اضر حيلة تضليلية . فحين كان تعجيزهم منصباً لمنفعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ليبينوا أنهم ليسوا ممن يسعى لتحصيل النفع ، إنما هم بمقام الباحث عن الصدق . وحين طلبوا النفع لأنفسهم ، فليست المنفعة شخصية إنما هي عامة لفائدة الجميع . وحين خاطبوه خطاب التحدي والتعجيز كان هدفهم اظهار صدق دعواهم ، وإنهم لا يخشون شيء ، وما تخويف وتهديد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم إلا مزاعم ادعاها . وبهذا يخدع عقل المتلقي الذي يعيش الصراع النفسي بين صدق الرسالة وبين بطلانها ، ويبقى مشوش الفكر، وهذه هي سياسة المشركين التضليلية التي تسعى إلى تشويش الافكار ، وخلق نوعاً من الشك والحيرة لدى المتلقي .

سابعاً : سنن الآباء والأجداد :

التمسك بنهج الضلال ، وسنن الالاء والأجداد ، والعصبية الذاتية ، والعاطفة الساذجة ، كلها مصطلحات وتسميات لسفسطة واحدة تعمل على تقديس الماضي ، واستغلال العاطفة

((التي تشد الإنسان إلى آبائه وأجداده))^(١) ، وقد تحدثنا عن هذه السفسة في المبحث الأول ، وبيننا كيف اتكأ عليها مضللو القرى الظالمة ، وعلى خطاهم سار مضللو قريش واتبعوا نهجهم الاعمى المفتقر للعقلانية ، ونقل لنا القرآن الكريم هذه الصورة في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا لَنَا آبَاءُ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٢)

حاول المشركون استغلال الماضي ((الذي تُستدعى قوته التحفيزية ذات السطوة البالغة في نفوس عموم الناس الذين يميلون إلى تقديس الآباء والأسلاف في الغالب))^(٣) ، إذ إنَّ قداسة الماضي هو مما تعجز العاطفة عن التخلي عنه ، وترتبط فيه العاطفة بالعند والنكران ارتباطاً وثيقاً ، ويحول العند دون الفصل بين العاطفة والعقل ، وهذا ما يخدم مصالح المضللين ، ويحقق لهم غاياتهم التضليلية .

إنَّ اصرار المشركين على الاتباعية أو السير في أثر الآباء والأجداد ، والإخلاص لانتمائهم العقدي ، يُعدّ ((أسلوباً انفعالياً عاطفياً هدفه خلق أجواء الإثارة وتحريكها وهو منطق يعتمد المترفون في مواجهة الفكر لتأكيد التقليد ، والمحافظة على مواقفهم))^(٤) ، ولأجل استمالة الناس بحجة باطلة في المقاييس العقلية ، لكونها مجرد تقليد غير واعٍ ، إلّا أنَّ تلك الحجج تنقر على وتر العاطفة ، فيسير ذوو التفكير المحدود خلفها ، حتَّى يقعوا في شباك التضليل والمضللون .

(١) تفسير من وحي القرآن : ٣٦٧/٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٠ .

(٣) الحجاج والمغالطة : ٦٠ .

(٤) تفسير من وحي القرآن : ٢٢٦/٢٠ .

المبحث الثالث

تضليل أهل الكتاب

تقديم :

اشتهر أهل الكتاب بمعاداتهم للإسلام وللمسلمين ؛ لأنهم طُبعوا على الحسد ، وتعصبوا لدينهم ، ورأوا في المسلمين منافساً قوياً ، وجوده يعني القضاء على سيادتهم الدينية ، وقد ((كان من المفترض بهم أن يكونوا الشهاداء على صحة دعوة النبي مُحَمَّدٍ باعتبارهم من أهل الكتاب الذي يعرفون ما فيه ، فإذا بهم على العكس يتحولون إلى عناصر مضلّة ، تصد الناس عن سلوك الطريق المستقيم))^(١) ، لقد كانت ساحة النزاع قبل الهجرة بعيدة عن تضليل أهل الكتاب ، ف ((قد كان المجتمع المكي مجتمعاً وثنياً مشركاً))^(٢) ، وحين هاجر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) واجه أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، إلا أنّ النزاع بلغ أوجه مع اليهود الذين اضمروا الحقد والحسد والعداوة للرسول وللمسلمين ، فقد ((استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكم والنبوة))^(٣) ، أما النصارى فقد كان وقعهم التضليلي اخف وطأةً ، وهذا ما أكدّه الله عزَّ وجلَّ في قوله : ﴿ تَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَمَرْهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾^(٤) ، وبذلك واجهت ساحة النزاع فكراً تضليلاً آخر أَسْتَغْل سلطه الكلام ، وسعى إلى الخطاب المشحون المُلغَم ، أضف إلى ذلك تعمية الحقائق وإخفائها أطول مدة ممكنة ، وأساليب أخرى عديدة التي تعد جزءاً من لعبة التضليل ، وفيما يأتي نفضّل الحديث في هذه الأساليب :

(١) الحوار في القرآن : ١٦٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٣٩ .

(٣) البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني ، قدور عمران ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ،

ط ١ ، ٢٠١٢ : ١٨٣ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

أولاً : التضليل بالتشكيك في دين الإسلام :

لم يكتف أهل الكتاب بعدم الهداية ، بل حاولوا تضليل المؤمنين بوسائل شتى ، وكان التشكيك بالدين الإسلامي من بين تلك الوسائل التي اتخذها اليهود حجة للتأثير في ذهن المتلقي ، والتشكيك هو ((اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما))^(١) ، إذ اجتمع عندهم الدراية التامة بدين الإسلام ، والنكران لنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودين الإسلام ، وباجتماع النقيضين أختلط الحق بالباطل ، وخالج الشك نفوس الناس ، حتى تشوه وجه الصورة الحقيقية ، وبذلك حصلت الفائدة من التشكيك ، إذ أدى أثره الحجاجي في التضليل. ومن التشكيك ما ورد في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢)

حين يطعن أهل الكتاب بدين الإسلام ، ويثيرون الشبهات حوله ، في الوقت الذي يتوقع منهم مساندة هذه الدعوة ، وتأبيدها ، سيؤدي ذلك إلى إثارة شكوك الناس ، لأنهم أصحاب عقيدة واحدة ، وقولهم إِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ وَآخِذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمَوَاقِيقَ ، أَنْ لَا يُؤْمِنُوا لِنَبِيِّ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ مِنْ مَفْتَرِيَاتِهِمْ وَأَبَاطِيلِهِمْ ، التي حاولوا من خلالها ((أَنْ يَمَارِسُوا عَمَلِيَّةَ الْإِيحَاءِ بِالْعِلْمِ الْغَامِضِ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ عَنِ الدِّينِ فِي مَا يَجْهَلُهُ الْبَسْطَاءُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي مَجْتَمَعِ الرِّسَالَةِ الْأَوَّلِ ، مِنْ أَجْلِ الْمَزِيدِ مِنَ التَّشْكِيكِ وَالتَّضْلِيلِ))^(٣) ، لقد مهدوا لحجتهم بمقدمة تمويهية تثير انتباه المتلقي ، إضافة إلى كونها إيماءً لما يتمتع به اليهود من سلطة دينية نالوها من الموروث الديني المتمثل بالتوراة والأنبياء من بني إسرائيل ، فقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ خطاب سلطوي عقائدي يوحي بمنزلة اليهود عند الله ، ثم كانت الحجة السببية : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ مبرراً لنتيجة مفادها : ﴿ أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ ﴾ ، و ((هكذا جعلوا الإيمان مشروطاً بالإتيان بقربان ، والعلاقة بين الحجة والنتيجة هي علاقة

(١) مفردات ألفاظ القرآن : ٤٦١ (شكك) .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٣ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ٤٢٣/٦ .

اقتضاء وتبرير ضمنها الرابط الحجاجي ﴿ حَتَّى ﴾ المستعملة للحجاج والتبرير ((^(١)) ، أيّ أنّ الحجة أمر واجب لحصول النتيجة ، ومن السفسطة أن يحاول أهل الكتاب التشكيك في دين الإسلام وهم يعلمون الوصف الكامل لهذا الدين ، إلاّ أنّ هذا الأسلوب هو سبيل أهل الكتاب لإثارة الشبهات حول الدعوات المضادة لهم ، وغايتهم من ذلك تكمن في خلق الاجواء القلقة في نفوس المسلمين ؛ لتسهل في حركة التشكيك والتضليل^(٢) .

ثانياً : التضليل بالأسئلة التعجيزية :

وظّف أهل الكتاب الأساليب التعجيزية ، على غرار ما قام به المشركون من إفحام الرسول وتعجيزه ، انطلاقاً من قاعدة مؤداها : إذا لم تأت بما هو مطلوب منك فهو دليل على أنّ دعوتك باطلة^(٣) ، وغايتهم من هذا التحدي والتعجيز لا لمعرفة الحقّ ، ولا لحل النزاع ، بل ليظهروا عجز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام البسطاء من الناس^(٤)، ويثيروا جواً من الصراع النفسي عند المتلقي ، ومن ثمّ يوقعوا الناس في تضليلهم ، وقد حكى الله جلّ وعلا وذكر ذلك على لسانهم في قوله :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَمَرْنَا اللَّهَ بِهِ فَاتَّخَذَهُمُ الصَّاعِقَةُ غَضَبًا فَهُمْ يُسَاءَلُونَ ﴾^(٥)

إنّ سؤال أهل الكتاب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن سوى ((فخ يسعى إلى الإيقاع بالمخاطب ، لأنّ صاحبه لا يطلب جواباً وإنّما يريد إحراج

(١) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني : ٢١٣ .

(٢) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٤٢٤/٦ .

(٣) ينظر : عندما نتواصل بغير : ١٦٦ .

(٤) ينظر : الحوار في القرآن : ١٥٨ .

(٥) سورة النساء : الآية ١٥٣ .

المخاطب ((^(١)) ، إذ إنَّ طلبهم هذا بمثابة طعم يخفي وراءه هدفاً لئيماً ، فهم يعلمون ((أن الله لا يستجيب للتحديات التي تطلق من أجل التعجيز والإثارة))(^(٢)) ، وما طلبهم هذا إلا محاولة لامتحان النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) وإحراجهم أمام الملأ ، فقد عرضوا حجتهم على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) بطلب انزال كتاب من السماء ، ليكون برهاناً على صدق نبوته ، ويعنون بالكتاب ((صحيفة فيها كتابة))(^(٣)) ، وفي هذا تجاهل صريح للقرآن ، الذي كان نزوله سابقاً لطلبهم ، إذ كانت بداية نزوله في مكة ، ونزاعهم مع الرسول كان في المدينة ، وقد تحداهم في آيات سبق نزولها سورة النساء على أن يأتوا بمثله(^(٤)) ، إلا أنهم كانوا يمارون ، ويحاولون خداع الناس مع تمسكهم بسمة الكبر والتعنت ، متجاهلين إعجاز القرآن ، وصفات النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) التي وردت عندهم في التوراة ، محاولين تشويش الأفكار لإيهام الناس ، وما كان مقصدهم إلا الحيلة و التضليل .

ثالثاً : التضليل بتحريف كلام الله :

يعتمد هذا النوع من التضليل على تحريف كلام الله وتغيير كلماته وتحويرها ، وقد يكون ذلك بالتصرف في حركات الكلمة أو حروفها (^(٥)) ، أو باستعمال ((الأساليب الخادعة التي تستغل غموض الكلمة وقابليتها للحمل على أكثر من معنى ، فتبعدها عن معناها الأصل ومصاديقها الصحيحة))(^(٦)) ، والتحريف أحد التصرفات المنحرفة التي مارسها أهل الكتاب من أجل تضليل المسلمين ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك صراحة في قوله تعالى : ﴿ أَقْطَعُكُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

(١) عندما نتواصل نغير : ١٥٩ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ٥٣١/٧ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن : ٦٩٩ (كتب) .

(٤) ينظر : الميزان : ١٣١/٥ .

(٥) ينظر : المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام : ١٥ .

(٦) تفسير من وحي القرآن : ١٢٣/٦ .

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، محذراً المسلمين من محاولة اليهود القضاء على الروح القرآنية داخل نفوس الناس ، وقد أشار القرآن إلى تحريفهم للقرآن في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السِّتْرَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢﴾

لقد اختلف المفسرون في ما إذا كان المقصود بالكتاب القرآن أم التوراة ، وفي كلتا الحالتين فإن الذي يعنينا هو استغلال أهل الكتاب لسفسطة التحريف لغرض التضليل ، لقد مارس أهل الكتاب سفسطة التحريف بليّ اللسان ، واللّي هو قتل الحبل إذ يقال لويت الحبل ألويه لياً^(٣) ، ولي اللسان كناية عن كذب اليهود وتحريفهم لكلام الله ، فقد كانوا ((يميلون عن الاستقامة إلى الاعوجاج من خلال التحريف في التفسير والزيادة والنقصان))^(٤) ، وتعتمد هذه السفسطة على التلاعب بالألفاظ المفردة والمركبة ، فيلعب المسفسط على اللفظ المفرد الذي يدل على أكثر من معنى لاسيما عند التفسير ، أو يعتمد إلى التقديم والتأخير أو حذف جزء من اللفظ . أما الالفاظ المركبة فيحتال المسفسط عن طريق إفراد الأقوال المركبة أو إسنادها إلى شيء آخر ، لإيهام المخاطب بما يخدم حركية التضليل^(٥) ، وساعد على ذلك ((الأساليب الفنية التي يتقنونها، بحيث يعطون الكلمة المحرّفة بالزيادة أو النقصان ، جوّاً يقترب بها من أجواء التوراة ، فيخيّل للسامع أنّها من الكتاب لشبهها بكلماته وأجوائه))^(٦) ، ويمكن التمثيل لهذه السفسطة بمخطط تولمين الحجاجي وكما يأتي :

(١) سورة البقرة : الآية ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

(٣) ينظر : لسان العرب : ١٣٠/٢٠ (لوى) .

(٤) تفسير من وحي القرآن : ١٢٠/٦ .

(٥) ينظر : السفسطات في المنطقيات المعاصرة : ١٣٧ .

(٦) تفسير من وحي القرآن : ١٢١/٦ .

(م) قولهم : هو من عند الله ← (ن) كذب وخداع

(ض) يلوون السنتهم

نظرا إلى قوله كذا

فقد كانوا يلوون ألسنتهم ويحرفون كلام الله ، فيأتون بكلام باطل بوصفه ضمان لحجاجهم التمويهى ، ثم يزعمون صراحة أنه من عند الله ، أما النتيجة التي اضمروها وذكرها القرآن هي كذبهم وخداعهم . وبذلك يحاولون الإقناع بالحجج غير السليمة فخرج حجاجهم عن الاستدلال الصحيح إلى السفسطة التي تهدف دائماً إلى التضليل .

رابعاً : التضليل بالبس وكتمان الحق :

يعد اللبس وكتمان الحق أسلوباً من أساليب اليهود في الخداع والتمويه ، فقد سعوا إلى الباس الحق ثوب الباطل ، وتزييف الحقائق ، حتى يصعب على الناس التفريق بين الحق والباطل ، كما عمدوا إلى التستر على الأدلة والمعلومات التي تؤكد وتنبت صدق الدعوة المحمدية ، واخفوا واحتكروا الحقائق ولم يظهروا منها إلا ما يصب في صالحهم^(١) ، فهم يعرفون من كلام الله المنزل على انبيائهم في التوراة ما لا يعرفه غيرهم ، فاخذوا يتاجرون به ، فيخفون بعضه ويخلطون بعضه الآخر بالباطل ، ويضلّلون الناس بأساليبهم الملتوية وألاعيبهم الخادعة^(٢) ، وإنّ تسترهم على الحقائق نابع من سوء النية التي ادت بهم إلى اضمار القصدية التي تعد بمثابة حجة قوية على خديعة المخاطب وإيقاعه في فخ

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٥/٢ - ١٦ .

(٢) ينظر : الحوار في القرآن : ١٦٥ .

مغالطاتهم ومكرهم وخداعهم وبالنتيجة تضليلهم^(١) . وقد قال الله تعالى في شأنهم هذا في سورة آل عمران : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)

يعدّ اللبس من أنواع التضليل الإعلامي الذي يعني الخلط والتضليل الذي يقوم به أهل الكتاب ، بأن يجعلوا الباطل لباساً للحق يسترون به تمويههم وخداعهم . أما الكتمان فهو من أنواع التعتيم الإعلامي الذي يعني الشر والإخفاء^(٣) ، والأسلوبان يعتمدان على استغلال سلطة الكلمة ، فاللبس يكون بخلق كلام مزيف مكون من اختلاط الحق بالباطل فيظهر بصيغة خادعة ، أما الكتمان فيتمثل ((في إخفاء الألفاظ التي يتم بها الاستدلال على نبوة الرسول))^(٤) ، وبالنتيجة فالكلام هو وسيلة التضليل في اللبس والكتمان سواء كان في اضماره أم في تزيفه ، ويتضح أسلوب اللبس وكتمان الحق عندما تتناقض أقوالهم أفعالهم ، ففي قوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾^(٥)

على الرغم من العقيدة المشتركة بين أهل الكتاب والمسلمين إلا أنهم خرجوا عن ضوابط الشريعة والإيمان الخالص لله عزّ وجلّ ، فعوض الإيمان بالله آمنوا بالجبت والطاغوت . والجبت يعني ((كلّ ما عبد من دون الله))^(٦) ، أما الطاغوت فهو ((عبارة عن كلّ متعبد ، وكلّ معبود من دون الله))^(٧) ، اذن فكلّ ما عبّد دون الله هو جبت وطاغوت ، وأهل الكتاب آمنوا بما هو دون الله ، خلافاً لما يدعونه من عبادة الله الواحد الاحد ، وهذه

(١) ينظر : الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج ، مُحمّد النويري ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : ٤٤٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧١ . و ينظر : سورة البقرة : الآية ٤٢ و الآية ١٤٦ .

(٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٩٤/٦ .

(٤) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني : ٢٢٨ .

(٥) سورة النساء : الآية ٥١ .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن : ١٨٢ - ١٨٣ (جبت) .

(٧) المصدر نفسه : ٥٢٠ - ٥٢١ (طغى) .

((حجة قائمة على التناقض وعدم الاتفاق ، ... حيث يفترض أن أهل الكتاب باعتبارهم أهل علم ومعرفة يؤمنون بالله ورسوله))^(١) ، إلا أنهم كنتموا الحق وأظهروا خلافه ، ثمّ البسوا الباطل ثوب الحق في قولهم (أهدى) فجعلوا من المشركين أهدى من المؤمنين ، وأقربهم إلى طريق الرشاد ، وبذلك كانت لفظة (أهدى) بمثابة لباس الرشاد الذي ستروا به حقائق الكتاب الذي تحول ((عندهم إلى مجرد شعار يستغلونه لتضليل الناس ، وسلعة يتاجرون بها في أسواق الربح والخسارة))^(٢) ، وعرض الافكار المتناقضة التي تخالف قيم الكتاب وتعاليمه ، حتّى تتناقض الأقوال والأفعال في محاولة واعية للتضليل .

خامساً : التضليل بالإشاعات :

لقد تطبع اليهود على الاستكبار والتسلط ، فهم شعب الله المختار كما يزعمون ، وهم صفوة الله ، فهم يرون أنفسهم افضل الخلق وأنّ لهم من الحق ما ليس لغيرهم^(٣) ، وبما أنّهم أنّهم لم يتركوا طريقة إلاّ استغلوها لأجل التضليل ، فقد استغلوا سلطتهم الباطلة ، وافتراءاتهم الكاذبة و ((ما تحدثه من تغيير وإفساد لمعتقدات الناس وأفكارهم ، فمن خلالها يتم ممارسة الضغط النفسي والمعنوي مستهدفة بنية المجتمع في قيمه وأفكاره وعقله))^(٤) ، فينتج التضليل عن طريق مضمون الأقوال التي يقدمها أهل الكتاب على أنّها صادقة لكن حقيقة الأمر هي أباطيل وأكاذيب وافتراءات لا صحة لها^(٥) ، ومن شائعاتهم التي توحى بسلطتهم الباطلة ما ورد في قوله تعالى :

﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾^(٦)

(١) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني : ٢٣٠ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ٣٠٣/٧ .

(٣) ينظر : الخصومة في القرآن الكريم : ٢٣ .

(٤) خطاب السلطة في القرآن : ١٣١ .

(٥) ينظر : تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط : ٨١٠ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٢٤ ، وينظر : سورة البقرة : الآية ٨٠ .

وظف أهل الكتاب اشاعة مفادها عدم خلودهم في النار للإيحاء بسلطتهم المزعومة ، كما توحى بـ ((اغترارهم بفريتهم التي افترتها أنفسهم مع أن الإنسان لا يندفع عن نفسه مع العلم بأنها خدعة باطلة))^(١) ، فقولهم حجة باطلة لا يندعون بها انفسهم ؛ لأنهم يعرفون بطلانها ، وهم يعلمون أن قولهم مفترى ولا صحة له ، إلا أنه حيلة تنطوي على عامة الناس ، فيخدعهم خطاب السلطة الزائفة ، ويحقق أهل الكتاب رغبتهم في الوصول إلى غايتهم في التضليل ، ولكي يوظفوا الحجاج في اشاعاتهم استعملوا العامل الحجاجي (القصر) المكون من الاستثناء المسبوق بالنفي ، لما له من تحريك حجاجي للنص . فبدأت الحجة بالنفي والجحود ، لتنفيذ الحجة المقابلة ، والنفي ((يصور لنا مدى عناد المخاصمين وكبرهم وافترائهم في مواجهتهم للأنبياء))^(٢) ، ويأتي الاستثناء بما لا يدع مجالاً للاعتراض من قبل المتلقي ، إذ إنه ((يحصر فعالية الحجاج في وجهة حجاجية واحدة ؛ ليضيف للكلام قوة حجاجية تزيد من طاقته في توجيهه نحو النتيجة المضمرة))^(٣) ، فقد قصروا العذاب على أيام معدودة للوصول إلى نتيجة مضمرة توحى بسلطتهم وعلو منزلتهم عند الله تعالى ، ومن ثمّ تسديد القصد المنشود من الحجاج الذي خرج من الإقناع إلى التضليل لكون الحجة مغالطة .

(١) الميزان : ١٤٣/٣ .

(٢) الخصومة في القرآن الكريم : ٣٧ .

(٣) الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) ، د. عايد جدوع حنون ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، العراق ، ٢٠١٣ : ١٠٢ .

المبحث الرابع

تضليل المنافقين

تقديم :

المنافقون هم النموذج الرابع من نماذج المضللين في ساحات النزاع التي ذكرها لنا القرآن الكريم ((وقد عايش الإسلام هذا النموذج في عصره الأول ، وعانى كثيراً من دسه وتضليله ولفه ودورانه))^(١) ، وما يزال إلى الآن هناك نفاق ومنافقون ، وبعد خطر المنافقين أشد وطأة من غيرهم ؛ وذلك لأن صورة المشرك أو الكافر أو من كان على عقيدة أخرى ، واضحة مكشوفة ، أما المنافق فصورته مزدوجة ، يظهر خلاف ما يضر ، حتى يصعب تمييزه ، كما يصعب كشف حيله وتضليله^(٢) . والنفاق على حد قول الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) هو ((إظهار الإيمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب))^(٣) ، والنفاق مرض فتاك تقشى في المجتمع الإسلامي ، وحاول نخر جسد الأمة ، وزعزعة صفوف المسلمين ، و ((شخصية المنافق شخصية متناقضة ومنحرفة ولا تقيم وزناً للمثل والمعايير والقيم والمبادئ والقواعد الأخلاقية والاجتماعية ، يغلب على سلوكها العدوان والتدمير والتخريب ، وضعف الضمير الأخلاقي والرغبة في الاستغلال والغش والخداع والنصب والاحتيال والكذب والرغبة في الانتقام))^(٤) ، فيستغلون الفرص ويوظفون الحدث لما يخدم فكرهم ، ويشبع سعيهم وراء المال والجاه والمنصب والمركز الاجتماعي .

ويمكن لنا تقسيم المغالطات التي اتبعتها المنافقون على خمسة مغالطات بعد استقراء السور التي قصت لنا نفاقهم وحيلهم وأباطيلهم التي قادوا بها ضعاف النفوس إلى ضلالهم وتضليلهم .

(١) تفسير من وحي القرآن : ١٣٨/١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) معجم التعريفات : ٢٠٦ (النفاق) .

(٤) السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، جملات محمود نايف الجرايدة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، كلية التربية ، غزة ، ٢٠١٠ : ٢٠ .

أولاً : التضليل بالاستهزاء :

لم يختلف المنافقون عن غيرهم من المضللين باعتماد سفسطة الاستهزاء كوسيلة للتضليل ، فقد عمدوا إلى اظهار الجد في كلامهم ، إلا أنهم اضمروا الهزاء والسخرية ، ولم يكن استهزاؤهم مقتصرًا بمن حولهم من المسلمين ، بل تجاوز ذلك إلى الله ورسوله ، وقد تأصلت هذه السمة في نفوسهم حتى صارت من أخطر وسائل المنافقين في التضليل^(١). وقد ورد الاستهزاء في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ نَزَّادُتُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَكَمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾^(٢)

يعرض المنافقون خطابهم التضليلي بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي خرج لغرض ((التهوين من شأن القرآن وإبطال أثره في نفوس الناس ، ومحاولة الإيحاء لهم بأنه لا يمثل شيئاً في موضوع التنمية الروحية والتوعية الإيمانية ، لأنه كلام عادي ، تماماً كأي كلام آخر من كلام المخلوقين ، وذلك من أجل إقناعهم بأنه ليس وحياً إلهياً في ما يعنيه الوحي من أسرار خارقة للعادة من خلال ما يقتضيه من نتائج غير طبيعية على مستوى التغيير والتأثير))^(٣) ، ويأتي الخطاب بصيغة ساخرة هازئة من الله عز وجل لكون الآيات النازلة هي كلام الله جلّ جلاله ، ومن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ إنه كان يخبر أن القرآن يصلح القلوب ويعمرها بالإيمان ، سواء أكان الإنسان يستمع إلى القرآن بقلب مهين للصالح أم لا يستمع^(٤) . وقد وظف المنافقون الاستفهام المشحون بالهزئ ، الذي يحمل بعداً حجاجياً ، يجعل من الناس يهونون من شأن القرآن ، وقد منح اسم الإشارة (هذه) الخطاب بعداً ساخراً أسهم في التقليل من شأن السور ، لما يحمله من شحنة حجاجية مستعملة في التحقير ، وبذلك أسهم الاستفهام الإنكاري ، وأسم الإشارة مجتمعين

(١) ينظر : السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية : ١٤٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٤ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ٢٤٨/١١ .

(٤) ينظر : الميزان : ٤٢٤/٩ . ٤٢٥ .

في إضفاء صبغة حجاجية ساخرة منحت الخطاب بعداً تضليلياً ؛ لإثارتها جواً من الشك والحيرة لدى المتلقي ، ابعده عن التفكير في السورة .

ثانياً : التضليل باتباع المنكر :

الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف حيلة تستر بها المنافقون ، ليوهموا الملاءمة بأنهم يؤدون دور المحبّ النصوح ، وفي حقيقة الأمر كلامهم ليس سوى حيلة تضليلية ، يتوهمها السامع نصحاً وإرشاداً إلاّ إنّها تضر سوء النية ، ويعد خطابهم هذا من أقدر الخطابات على تحقيق الغايات وإدراك المقاصد لكونه مبنياً على ثنائية الظاهر والباطن ، يظهر الإرشاد والمعروف ويضمّر الأمر بالمنكر^(١) ، يقول الله جلّ وعلا حكاية عنهم :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾^(٢)

إنّ قول المنافقون للمؤمنين ﴿ لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ هو نهى صريح عن معروف أمرهم به الله عزّ جلّ وهو الجهاد في سبيل الله . فبعد تخلفهم ، سعوا جاهدين ((في تشبيط الناس عن الخروج للجهاد))^(٣) ، وقد عمدوا إلى استعمال أسلوب النهي في عرض حجتهم ؛ لأنّه أسلوب ((نابض بالإثارة ، قادر على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المرسل تحقيقه في المتلقي من تأثير وانفعال))^(٤) ، فهو يحمل طاقة حجاجية هامة قادرة على تحقيق الإقناع و توجيه المتلقي إلى سلوك معين ، باعتباره صنفاً من أفعال الكلام الإنشائية التي حددها

(١) ينظر : في بلاغة الخطاب الأدبي ، بحث في سياسة القول ، عبد الله البهلول ، منتديات سور الأزبكية ، ط١ ، ٢٠٠٧ : ٥٤ . ٥٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٨١ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ١١/١٧٧ . ١٧٨ .

(٤) تجليات الحجاج في الخطاب النبويّ ، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية . أنموذجاً ، هشام فروم ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر . باتنة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠٠٨ . ٢٠٠٩ : ١٤٠ .

أوستن^(١) ، إلاَّ أنَّ النهي خرج عن الحجاج السليم إلى الحجاج المغالط ، حين لبس المنافقون حلة الحكيم الناصح ، الذي اعطى لنفسه مهمة النصح ، إلاَّ أنَّه ترك الأمر بالخير والصالح ، وركن إلى المنكر ، حتَّى نهوا الناس عن الجهاد بحجة الحرِّ لـ ((يخلقوا بذلك حالة من الارتباك والبلبلة في صفوف المسلمين ، وليثيروا في أنفسهم الشعور بالمواع والمشاكل التي تعترضهم في طريق الجهاد))^(٢) ، ولو كان الطقس بارداً لتحججوا بالبرودة ، ولو كان غير ذلك لاخترعوا الحجج التي تضعف من عزيمة المسلمين وتوهن همتهم حتَّى يتقاعسوا عن الجهاد وينقادوا خلف تضليلهم .

ثالثاً : التضليل بالشائعة :

أدت الإشاعات دوراً رئيساً في عملية التضليل ، لما تبثه من أخبار كاذبة ، وحملات دعائية مضللة ، ومن آثارها الضارة ((بلبلة الأفكار وتضليل الرأي العام ، والفتنة بين الناس ، وتشويه سمعة البريء))^(٣) ، وقد استهدف المنافقون شخص النبي مُحَمَّد (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) بواسطة الشائعات ، بطعنه والتشكيك فيه وعييه بما هو براء منه لتضليل الناس . ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤)

لقد ورد في الميزان أن الآية نزلت في (عبد الله بن نبتل) وهو أحد المنافقين الذين كانوا يحضرون مجالس النبي مُحَمَّد (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ومن ثَمَّ ينقل احاديثه ؛ بقصد

(١) ينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ٢ ، ٢٠١١ : ١٤٩ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ١٧٨/١١ .

(٣) الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي ، د. عبد الفتاح عبد الغني الهمص ، و د. فايز كمال شلوان ، بحث منشور ، ٢٠٠٨/٢ : ٥ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٦١ .

النميّة والوشاية ، وقد يزيد عليه كذباً ، فأخبر جبرائيل (عليه السلام) رسول الله بذلك ، فأخبره ، فأنكر واقسم أنّه لم يفعل ، فقبل منه رسول الله ذلك ، فعاد إلى أصحابه ليُشيع بينهم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أُذُنٌ يسمع ويقبل كل ما ينقل إليه^(١) ، إنّ مناسبة النزول تفصح عما بثّه هذا المنافق من إشاعة كاذبة حاول من خلالها زعزعة ثقة المؤمنين بالنبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبثّ الشكوك في النفوس والعقول لتشويه شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكي ((يخففوا من تقديس الناس له ، وذلك بتصويره بصورة الإنسان الذي لا يملك موقفاً ثابتاً في نظريته للأشياء وتقييمه للناس وحكمه على الواقع ، مما يجعل من موقعه الذي يمثل الهدى للناس في أمور دينهم ودنياهم ، موقِعاً قلقاً مهتزّاً يبعث على اهتزاز الثقة به ، ويثير القلق حول طبيعة قيادته الروحية والعلمية للناس))^(٢)، لقد أدت الكلمة المفردة (أُذُنٌ) طاقة حجاجية استمدتها من دلالتها المعجمية ، إذ إنّ أصلها في المعاجم العربية مشتق من لفظ (الأذن) أداة السمع ، وقد استعير منها لفظة (أُذُنٌ) لتدلّ على من كثر استماعه لما يقال وقبوله له^(٣) ، مثلما أنّ لها دلالة مضمرة ترجع إلى سبب اشتقاقها من حاسة السمع ؛ فقد اشتقت من هذا العضو مبالغة في تهويل وتشنيع الامر^(٤) ، وبذلك كان استعمال لفظة (أُذُنٌ) متعمداً في تضليل المستمع .

رابعاً : التضليل بالأيّمان الكاذبة :

لجأ المنافقون في حجاجهم المغالط إلى الأيّمان المغلّطة ليزرعوا الثقة في قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقلوب المؤمنين ، وليطمئن الناس لتبريراتهم^(٥) ، فالقسم ((إظهار لكلّ ما يرتكن في النفوس من اعتقاد ، يتحول بمقتضاه النص إلى بؤرة فاعلة تستثير

(١) ينظر : الميزان : ٣٣٣/٩ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ١٤٦/١١ .

(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٧٠ (أذن) .

(٤) ينظر : لسان العرب : ١٤٨/١٦ (أذن) .

(٥) ينظر : الحوار في القرآن : ٣٩٦ .

شبكة من الدلالات الاعتقادية ، تُفَعَّل في مجملها المشترك الذي يرضخ له الجميع))^(١) ،
 فينال بذلك قوة إقناعية تؤثر في المتلقي ، إلا أنه حين يكون المقسم عليه كذباً ، يخرج
 الحجاج من الاستدلال الصحيح إلى الاستدلال المغالط ، لتتحول وظيفة الخطاب من
 الوظيفة الإقناعية الاستدلالية ، إلى الوظيفة التضليلية ، ومنه ما ورد في قوله تعالى :
 ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ أَمْرَهُمْ لَيُخْرِجُنَّ قُلُوبَهُمْ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

يقسم المنافقون بالله تعالى لمحو أي شك في ذهن المتلقي ، بعد أن شعروا بأن مواقفهم
 باتت مكشوفة ، و ((بأنهم لم يستطيعوا إخفاء ملامح النفاق في حركتهم العملية في
 الواقع الإسلامي))^(٣) ، فلجأوا إلى لفظ الجلالة ليظهروا للرسول وللمسلمين أنه المقدس
 المشترك بينهم ، وليجعلوا من ((المتلقي مستسلماً لسلطان القسم وجلاله وطاقته))^(٤) ،
 فيصدق قولهم . وقد كرروا القسم عدة مرات حتى اجهدوا أنفسهم بكثرة تكراره ، ليستقر في
 ذهن السامع ويقنعه بمفهوم غير حقيقي . وقد عبّر الله تعالى عن إيمانهم المغلظة بقوله :
 ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي منتهى طاقتهم^(٥) ، وعلى الرغم من أن القسم ورد هنا للتأكيد
 للتأكيد وإزالة أي شك عند السامع ، إلا أن القسم يبقى حجة داعمة للطاقة الحجاجية ،
 وكثيراً ما يكون قسم المضللين على حجج كاذبة ؛ فيكثر من القسم ليعطوا الحجة طاقة
 إقناعية .

لقد كانت حجتهم الواردة بعد القسم غير مطابقة لبنى الواقع ، فهم يقسمون على الخروج
 مع الرسول للجهاد إن هو امرهم بذلك ، ولكنهم في الواقع قد تخلفوا عن الخروج معه ، و
 ((الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغrust
 مراجعه في الواقع وتنزلت عناصره فيما حدث وما يحدث))^(٦) ، فالواقع أن ما حدث هو
 تخلفهم عن الجهاد ، فأخذوا يعدون بالخروج ، وليكون كلامهم مؤثراً ومُفنعاً بعد أن باتت

(١) في حجاج النص الشعري : ١٤٩ .

(٢) سورة النور : الآية ٥٣ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ٣٤٦/١٦ .

(٤) في حجاج النص الشعري : ١٥٠ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٧٧/١٨ .

(٦) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ٢١٤ .

حقيقة نفاقهم مكشوفة عند الجميع لجأوا إلى الإيمان المغلظة ليضللوا بها عقول الملائكة ،
ويزيلوا الشك الحاصل في ذهن المتلقي نتيجة لأفعالهم السابقة .

خامساً : التضليل بالمخادعة :

الخداع سمة أتصف بها المنافقون ، ثم اتخذوها وسيلة في خطابهم التضليلي ؛ لإيهام
المؤمنين وإقناعهم . فالخداع ((هو فن التمويه والاحتيال والمرادغة ، والقيام بأعمال
تضليلية وإظهار شيء واستبطان شيء آخر))^(١) ، وقد سخرها المنافقين ضد المتلقي
كأداة ووسيلة مساعدة ، للتمويه والتحايل وفرض الإرادة ، وقد هيأ لهم الخداع ضمان
التغيب، وإدخال الخصم في دوامة وهمية تشعره بأن فائدته ومصلحته هي المقصود ،
والهدف المنشود^(٢) . ويمكن أن نرصد نفاقهم في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٣)

جاءت الحجة المخادعة بصيغة الشرط الذي يعبر عن اللوم ، والإيحاء بالاهتمام
والحرص على سلامة المسلمين ، وقد منح المنافقون أنفسهم خبرة وسلطة ظاهرها إرادة
المصلحة العامة ، وباطنها ((إغراء الآخرين بالسير على طريقهم))^(٤) في التقاعس عن
القتال ، أو ((تفضييعهم ما أصاب إخوانهم من القتل طعناً في طاعتهم النبي (صلى الله عليه
وآله وسلم)))^(٥) ، وبهذه الحيلة المخادعة تمويهاً وإيهاماً للناس بضرورة طاعة أوامر
المنافقين وفرضاً لإرادتهم ، وبذلك يثيرون جواً من الفتنة والخوف والتردد ، وتضليل الناس
وابعادهم عن اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حروبه وجهاده .

(١) السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية : ١٩٨ .

(٢) المتلقي في بلاغة الخداع : " البلاغة السفسطائية أنموذجاً " ، خيرة بن علوة / الجزائر : ٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٨ .

(٤) تفسير من وحي القرآن : ٣٧١/٦ .

(٥) التحرير والتثوير : ١٦٤/٤ .

الفصل الثاني

التضليل وعلاقته بالحجاج

المبحث الأول : الأساليب اللغوية الحجاجية

المبحث الثاني : الأساليب البلاغية الحجاجية

المبحث الثالث : تعدد الحجج

الفصل الثاني

التضليل وعلاقته بالحجاج

تقديم :

إنّ بناء الكلام التضليلي في العملية الحجاجية كي يكون مقنعاً ومؤثراً لا بد من تفاعل مكوناته الداخلية من أساليب لغوية وبلاغية بالإضافة إلى انتقاء الحجة المناسبة للسياق ، وبما إنّ الخطاب التضليلي يُعنى بطريقة خداع المتلقي لذا يتحتم على المضلل إيجاد أساليب تساعد على تحقيق أهدافه ، وقد اعتمد المضللون في كلامهم التضليلي على أساليب متعددة بطريقة يضمنون بوساطتها التأثير والاستمالة في المتلقي ، وقد أسهمت تلك الأساليب بشكل فعال في تركيز المفهوم وتوضيح المعنى أكثر ، وتفاعلت فيما بينها لتؤدي الوظيفة التضليلية بشكل فعال^(١) ، إذ تشكل الأساليب ((الحجاجية أساس بناء النصّ الحجاجي ، لأنّ التخاطب يُبنى على شيئين أساسيين هما (التواصل والتعامل) . ومن ثمّ يتوجب على المتخاطبين اختيار الحجج المناسبة للسياق الذي يحف الخطاب ، وكذا طريقة بنائها))^(٢) ؛ ولذلك عمد المضللون إلى انتقاء الأسلوب المناسب لسياق الحال وكذا نوع الحجة التي من ((شأنها القيام بالدور الإقناعي بما توحيه من مؤثرات دلالية لها قوة تأثيرية إستراتيجية توجه المتلقي نحو الغرض المسوق من أجله الخطاب))^(٣) ، فيتأثر بها المتلقي ويقتنع بها ، وتتطوي عليه حيل المضلل ، وبذلك فإنّ الحجة كي تكون ناجحة ((يفترض فيها أن تكون مرصعة بألوان البديع والبيان ، ومزخرفة بأشكال لغوية مؤثرة حتّى يتجاوب معها المستمع ويتأثر بها ، (وبالنتيجة) يقتنع بما قيل له ، حتّى وإنّ كان المعنى المتضمن فيها غير موافق للاستدلالات العقلية وغير خاضع للمنطق))^(٤) ، وفي

(١) ينظر : آليات الإقناع في الخطاب القرآني : ١٤٧ .

(٢) البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) ، امحمد عرابي ، رسالة ماجستير ، جامعة السانية وهران ، كلية الآداب واللغات والفنون ، الجزائر ، ٢٠٠٨/٢٠٠٩ : ٢٦ .

(٣) الإقناع في القرآن الكريم دراسة في النمط والاسلوب ، محمد جاسم حنون ، رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار ، كلية الآداب ، العراق ، ٢٠١٤ : ١١٧ .

(٤) مفهوم التلقي في الفكر اليوناني القديم ، بخوش علي ، مجلة المخبر ، الجزائر ، عدد ٣ ، ٢٠٠٦ : ١٤٣ .

هذا الفصل سنبحث عن الآليات الحجاجية التي أنطلق منها المضللون للقيام بالعملية التضليلية ومنها : المبحث الأول : الأساليب اللغوية ودورها الجوهرية في عملية التضليل .

أما المبحث الثاني : فقد خصص للأساليب البلاغية ودورها في تأكيد الكلام وما قامت به من وظيفة تضليلية ، فتناول الصورة البيانية والبديع و فروعهما المختلفة ، وإنَّ البحث عن الأساليب الحجاجية يقودنا بـ ((الضرورة النظر في مختلف الحجج التي وظفها المحتج لغاية الإقناع أو الحمل على الإذعان))^(١) ، ولهذا خُصَّص المبحث الثالث لتعدد الحجج في آيات التضليل المحكية وأثرها في تحقيق الغاية التضليلية للنص الحجاجي .

(١) الحجاج في الشعر العربي : ١٨١ .

المبحث الأول

الأساليب اللغوية الحجاجية

تقديم :

للأساليب اللغوية أثر فعال في إكساب النصّ التضليلي قوة و طاقة حجاجية ، إذ تعدّ اللغة في الحجاج ((وسيلة لفرض سلطة على الآخرين من نوع استدراجهم إلى الدعوى المعبر عنها وإقناعهم بمصداقيتها))^(١) ، ومن خلال هذا القول ندرك أنّ اللغة بوصفها أداة للتواصل ، تهدف بشكل أساسي في الحجاج إلى تغيير التوجهات الفكرية لدى المتلقي^(٢) عن طريق انتقاء الآلية المناسبة للسياق التي ((تساعد على تأكيد المسألة ، وترسيخ الفكرة))^(٣) في ذهن المتلقي عن طريق إثارته وتحريك عواطفه ؛ لأنّ نظرية الحجاج اللغوي تقوم اساساً على فرضية مؤداها : ((إننا نتكلم عامة بقصد التأثير))^(٤) ، والمضلل يسعى إلى استمالة المتلقي وإفحام الخصم والتأثير فيه باختيار الحجج المناسبة عن طريق اللغة التي تمكنه من توجيه خطابه الوجهة التي يسعى إليها ، وتمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية ، التي تتمثل في الخداع والإيهام والتضليل ، فالحجة تتكون من وحدات لغوية ((ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية تسهم))^(٥) في تضليل المتلقي حين تقترن بإحدى سفسطات المضللين المشهورة . ولقد كانت الأساليب اللغوية الأكثر توظيفاً في حجج المضللين ؛ لأنّها تنقل المعنى إلى المتلقي مباشرة ، كما أنّها تتناسب وصفة

(١) النصّ الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع ، مُحمّد العبد ، مجلة فصول ، مصر ، عدد ٦٠ ، خريف ٢٠٠٢ : ٦١ .

(٢) ينظر : الحجاج في أدب الجاحظ كتاب " البخلاء " أنموذجاً : ٣٢ .

(٣) البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي ، شيخ امال ، رسالة ماجستير ، جامعة المسيلة ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، الجزائر ، ٢٠٠٩/٢٠١٠ : ١٠٨ .

(٤) الحجاج في اللغة ، د. أبو بكر العزاوي ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته : ٥٧/١ .

(٥) بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع ، حمدي منصور جودي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مُحمّد خضير - بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥/٢٠١٦ : ٤٢ .

الاستعلاء التي اتسم بها المضللون ، فيأنفون من تزيين الكلام ولا يعطون المتلقي اهتماماً^(١) . والأساليب اللغوية كثيرة يمكن حصرها فيما يأتي :

أولاً : الأمر والنهي :

الأمر والنهي من الأساليب اللغوية التي أمتاز بها الخطاب التضليلي ، وقد لجأ إليها المضللون إما للتحريض أو لتحدي الخصم وإظهار عجزه ، إذ إنّ المضلل يعلم وهو يوجه الأمر إلى المخاطب أنّه غير قادر على تنفيذه^(٢) ، وفي النهي يدعي المضلل الإرشاد والنصح إلّا أنّه يضمّر التحريض ، وصيغتي الأمر والنهي يكسبان القول قوة حجاجية إذ إنّهما يحملان ((معنى الدّعوة ومن ثمة تبدو صلتها بالحجاج وثيقة لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن تحدده أطروحات))^(٣) المضلل وغاياته المضمرة التي توجه الخطاب إلى هدف واحد هو التضليل . وإنّ كلاً من الأمر والنهي طلب على وجه الاستعلاء^(٤) ، فهما يصدران من مرتبة تعلو مرتبة المخاطب ، ولا بد من اتفاق صيغتي الأمر والنهي مع سلطة المضلل^(٥) ، والمضللون طالما منحوا أنفسهم سمة الكبر والاستعلاء فكانوا يرون أنفسهم في مرتبة تعلو مرتبة المخاطب وإنّ السلطة بأيديهم ، فلبسوا حلة الأمر الناهي ليكيدوا بالمتلقي ويوقعوا به في شباك تضليلهم ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى حكاية عنهم :

(١) ينظر : المغالطات في ردود منكري الرسالات في القرآن الكريم : ١٥٤ .

(٢) ينظر : التبكيث ، وأساليبه النحوية في القرآن الكريم ، سهاد جاسم عباس ، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية ، العراق ، عدد ٢٧ ، ٢٠١٢ : ١٥١ .

(٣) الحجاج في الشعر العربي : ١٤٩ .

(٤) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، الأردن ، ط ٤ ، ١٩٩٧ : ١٤٩ و ١٥٤ .

(٥) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٤٢ .

﴿ فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(١)

فالأمر موجه إلى النبي شعيب (عليه السلام) لتعجيزه ، وهذا ما أكده صاحب الميزان بقوله : ((الأمر مبني على التعجيز والاستهزاء))^(٢) ، وبدل طلبهم هذا على إصرارهم وتصميمهم على الجحود والتكذيب^(٣) ، دون أن يخوضوا نقاشاً أو يتجادلوا بالحق للوصول إلى قناعات فكرية ، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا خلق نوع من الشك والحيرة لدى المتلقي كي يحولوا دون إيمانه ، وكل ذلك بواسطة صيغة الأمر (أسقط) التي وجهت خطاباً مباشراً للنبي شعيب (عليه السلام) ، وبتوظيف الرابط الحجاجي (إن) الذي ربط بين الحجة والنتيجة .

لقد كانت حجتهم في إثبات صدق الرسالة متوقفة على النتيجة ، فلكي يؤكد ويثبت صدقه عليه أن يستجيب لأمرهم ، وبهذه الحجة المخادعة عمدوا إلى استثارة مخيلة المتلقي ، إذ إن الاعتقاد السائد بين الناس آنذاك ، أن الأنبياء يمكنهم القيام بأمر خارق للعادة ، وبما إن النبي مؤتمر بأمر الله عز وجل ولا يلبي كل ما يطلب منه ، فقد اندرج طلبهم هذا ضمن سفسطة التعجيز ، وبالنتيجة فإن صيغة الطلب بالأمر أدت وظيفة التحدي والتعجيز ، وهذه أدت إلى تشكيك المتلقي بمصداقية الرسالة وبالنتيجة حدوث ما يسعون إليه ألا وهو التضليل . ومن الأمر ما جاء للتحريض والتهديد كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾^(٤) .

لقد وظّف فرعون وأتباعه في خطابهم التضليلي هذا أسلوبين حجاجيين هما الأسلوب اللغوي (الأمر) والأسلوب المنطقي التهديد أو التحريض ، وفي هذه

(١) سورة الشعراء : الآية ١٨٧ .

(٢) الميزان : ٣١٣/١٥ .

(٣) ينظر : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم الزمخشري ، عناية وتعليق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٩ : ٧٦٩ .

(٤) سورة غافر : الآية ٢٥ .

الحجة المغالطة مصادرة على المطلوب ، فعوض الاستدلال بالحجاج الصحيح للوصول إلى قناعات فكرية صائبة ، لجأ المضللون إلى منطقهم المهزوم فأمروا بالقتل والاستحياء ، تحريضاً وترهيباً لئلا يؤمن أحد لموسى (عليه السلام)^(١) ، ومما زاد الخطاب حدة أنّ الأمر بالقتل والاستحياء كان موجهاً إلى أبناء ونساء الذين آمنوا ، ليشكل مانعاً وضاعطاً قوياً^(٢) لاستسلام الذين آمنوا لتضليل فرعون وأتباعه . وقد وظّف الرابط الحجاجي (الواو) للربط بين حجتي الأمر ، الذي أدى وظيفة الربط بين الحجتين وتقوية كلّ منهما الأخرى ، فقد جعل كلّاً منهما تساند الأخرى لتؤدي النتيجة المطلوبة ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

ح^۱ و ح^۲

اقتلوا أبناء الذين آمنوا ↔ استحيوا نساءهم

وبما أنَّ العطف عملية إيدالية فقد جعل من الحجتين بالقوة نفسها ، وباجتماع هاتين الحجتين والربط بينهما بدا الكلام أشد قوة وأكثر تأثيراً وذلك لأنَّ كلَّ حجة قامت بتقوية الحجة الأخرى بما لا يدع مجالاً للمتلقي سوى الاستسلام لتهديد فرعون وبالنسبة لتضليله . ومثلما وظّف الأمر في التحريض لتحقيق غايات تضليلية ، وظّف النهي للغاية نفسها ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣)

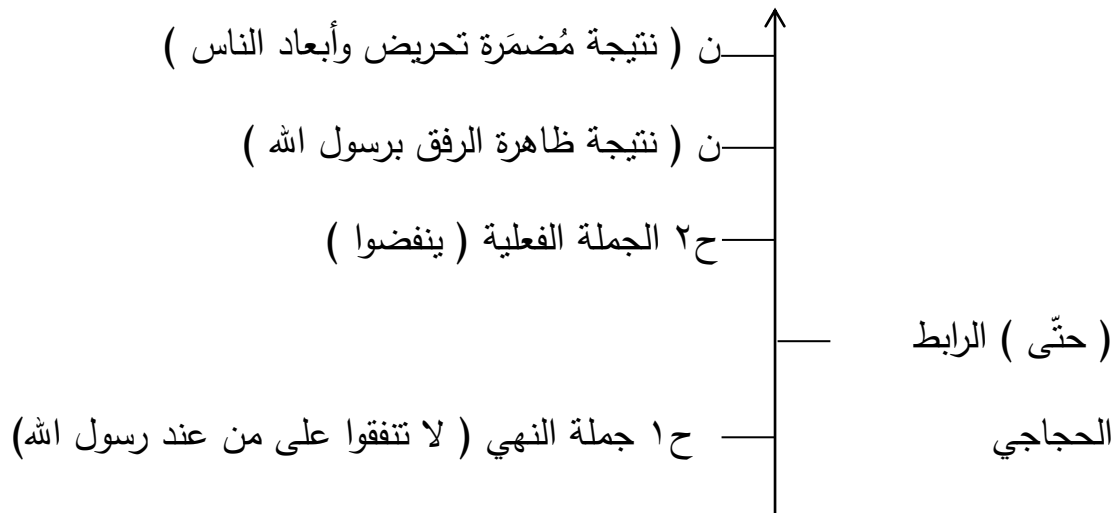
فقولهم : ﴿لَا تُنْفِقُوا﴾ نهي يراد به التحريض ، وهو ((كلام مكر لأن ظاهره قصد الرفق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كلفة إنفاق الأعراب الذين ألموا به في غزوة بني المصطلق ، وباطنه إرادة إبعاد الأعراب عن تلقي الهدى النبوي وعن

(١) ينظر : الميزان : ٣٢٧/١٧ .

(٢) ينظر : تفسير من وحى القرآن : ٣١/٢٠ .

(٣) سورة المنافقون : الآية ٧ .

أن يتقوى بهم المسلمون أو تفرق فقراء المهاجرين لتضعف بتفرقهم بعض قوة المسلمين))^(١) . وهذا كذلك من المنطق المهزوم الذي يلجأ اليه المضللون حين يشعرون باليأس من الوصول إلى غاياتهم التضليلية ، التي تهدف إلى تضليل المحيطين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإبعادهم عنه بواسطة الإيعاز بالنهي عن الإنفاق^(٢) . وأستعمل الرابط الحجاجي (حتّى) للربط بين حجتين : أحدهما حجة النهي (لا تنفقوا على من عند رسول الله) ، والأخرى الجملة الفعلية (ينفضوا) ، والحجتان تخدمان نتيجة ظاهرة هي الرفق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونتيجة مُضمرة هي أبعاد الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويمكن توضيح ذلك بالرسم السلمي الآتي :



وبهذا يُسير النهي خطة تضليلية تسعى إلى إبعاد الناس عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(١) التحرير والتنوير : ٢٤٦/٢٨ .

(٢) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٣٤/٢٢ - ٢٣٥ .

ثانياً : الاستفهام :

الاستفهام هو في ((حقيقته طلب الفهم بألفاظ معروفة))^(١) ، وغايته أن تسوي علم المخاطب مثلما استوى علمك في مسألة ما^(٢) ، ويعدّ الاستفهام من أهم الأساليب اللغوية وأبرزها التي وظفها المضللون في حجاجهم التضليلي ، فقد كان له النصيب الأكبر من بين تلك الأساليب ؛ نظراً لما يتميز به هذا الأسلوب من خصائص لغوية وبلاغية قادرة على مخاطبة قوى النفس البشرية العقلية والوجدانية ، وتحريك غريزة حب الاستطلاع وتنشيط آلة التفكير وتهئية الخصم وإفحامه^(٣) ، والمضلل ((يلجأ إلى إثارة الأسئلة تارة لصرف خصمه عما يدعو إليه ، وتارة لإفحامه والتغلب عليه))^(٤) كما أنه يشد انتباه المتلقي ويسيطر على ذهنه ، إذ يعدّ الاستفهام من ((الأساليب الإقناعية العظيمة في مخاطبة العقول وصرفها إلى الأمر المستفهم عنه بكل روعة وجمال وبدون تكلف وتصنع يتعب المتكلم والمخاطب))^(٥) ، وبذلك يعمل المضلل بوساطة الاستفهام على إرباك الخصم وينصب له طعماً فيجره إلى سياق مناهض لاعتقاده أو التكرار لرأيه وينسجم مع موقف خصمه ويتحول إلى محاجج ضد أفكاره^(٦) . وينقسم الاستفهام الموظف في آيات التضليل إلى حقيقي وغير حقيقي وكالاتي :

(١) التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٣٢ : ١٥٣ .

(٢) ينظر : الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٨ : ٢٣٦ .

(٣) ينظر : أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة " الفرقان " ، بن عيسى عبد القادر بظاهر ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، الأردن ، ١٩٩٠ : ٦٣ .

(٤) الخصومة في القرآن الكريم : ٢٨ .

(٥) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، طه عبد الله محمد السبعوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) : ٢٦٢ .

(٦) ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة : ٢٠١٩ .

أ- الاستفهام الحقيقي :

وهو الذي ورد على أصل معناه وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول^(١) ، ويخفي الاستفهام الحقيقي من ورائه مغالطة كبيرة ، المراد منها احراج المخاطب وخداع السامعين حين تكون الاجابة مقدرة ومعلومة على نحو خاطئ ومعلوم عند الاغلبية الجاهلة . ويأتي غالبا في آيات التضليل للاستفهام عن البعث والنشور ، وقيام الساعة ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى على لسان المشركين :

- (١) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)
- (٢) ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾^(٣)
- (٣) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤)

كان لمسألة البعث باعاً كبيراً في التضليل حتى عدناها مغالطة منفردة ، وهذا ما تحدثنا عنه في الفصل الأول . فقد استغلها المضللون بشتى الطرق فتارة ينكرون وقوعها ويستبعدونه ، وتارة يسألون عنها وعن طبيعتها وعن موعدها متى هو ؟ وكان غرضهم من السؤال التحدي والتعجيز ، وقد تعمدوا ذلك لإحراج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعجيزه ، فهم يعلمون من اليهود أن الساعة لا يعلم موعدها إلا الله ، وبالنتيجة ستكون الإجابة لصالحهم في كل الأحوال ، فإن أجابهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بموعدها سيكون قد خالف ما جاء في الأديان السابقة ، وإن

(١) ينظر : أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة " الفرقان " : ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .

(٣) سورة القيامة : الآية ٦ .

(٤) سورة يونس : الآية ٤٨ . وينظر : (سورة الانبياء : الآية ٣٨) ، (سورة النمل : الآية ٧١) ،

(سورة سبأ : الآية ٢٩) ، (سورة يس : الآية ٤٨) ، (سورة الملك : الآية ٢٥) .

لم يجيب استدلس وتموه الحقائق ، ويظهر للناس أنَّ الرسول عاجز عن معرفة موعد قيام الساعة ، وبالنتيجة سيكون سؤالهم حجة لتضليل الناس وإبعادهم عن دين مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(١) ، وفي الآيات السابقة كان الاستفهام حقيقياً ((يذكر به شيئاً من ضلالهم ومحاولة تعجيزهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيين وقت الساعة)) ^(٢) ، وقد كان الاستفهام بالأداتين (أيان ، متى) وكلا منهما يستفهم به عن الزمان ، إلا أنَّ (أيان) دل استعمالها على ((تعظيم المسئول عنه والتهويل من شأنه)) ^(٣) ، ومع (متى) دل الاستفهام على استبعاد وقوع البعث . وقد ورد الاستفهام الحقيقي للسؤال عن أمور أخرى غير البعث والقيامة كما في قوله تعالى :

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٤)

صدر هذا القول من زوجة عزيز مصر بعد أن فوجئت بزوجها يطلع عليها بتلك الهيئة المريبة فجاءت بحيلة تضليلية لتبرئ ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب ، وكذلك لتخويف يوسف (عليه السلام) ليتنازل عن رأيه في عدم مؤانته لها على مرادها ^(٥) ، وكان لمبادرتها في الكلام وعدم الارتباك ؛ لإظهار الثقة والادعاء الصادق لتوهم العزيز بصدقها ، وزاد الاستفهام خطابها ثقة ، فهي لم تبرر الموقف بل بدأت الكلام بالاستفهام عن العقوبة التي ستنزل بيوسف (عليه السلام) على فعلته حتى لم تدع مجالاً للشك بها ، وبذلك أوحى الاستفهام بأنَّ ((إدانة يوسف بمحاولة الاعتداء عليها ، أمر مفروغ منه ، لا يحتاج إلى المناقشة أو الإثبات ؛ لأنَّ

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٣٠٠/١٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠٠/٩ .

(٣) الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية ، عبد العزيز أبو سريع يس حسنين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ،

ط ١ ، ١٩٨٩ : ٢٤٨-٢٤٩ .

(٤) سورة يوسف : الآية ٢٥ .

(٥) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٥١١ .

الموقف أبلغ شاهد على ذلك))^(١) ، وامعاناً في الثقة حددت جواب الاستفهام بخيارين ، السجن أو العذاب ، كما أنّها أثارت عاطفة العزيز بقولها : ﴿ بِأَهْلِكَ ﴾ الذي كان نوعاً من التحريض وتعظيماً للخطب^(٢) ، وبذلك تمكنت من تضليل العزيز ولم تترك له خياراً إلاّ الإقرار لها^(٣) .

ب- الاستفهام غير الحقيقي :

وهو ما خرج عن الحقيقة لدلالات متعددة ، ويصدر من سائل عالم بالشيء المسؤول عنه ، إلاّ أنّ غرضه من الاستفهام معانٍ أخرى تفهم من السياق^(٤) ، وله أثر كبير في العملية التضليلية ؛ لأنّه يؤدي أغراضاً أخرى مضمرة غير الحقيقة تعكس الطاقة الحجاجية للخطاب . ومن أبرز الأغراض التي خرج إليها الاستفهام غير الحقيقي هي :

١- الإنكار :

كثر توظيف الاستفهام الإنكاري في آيات التضليل المحكية ؛ وذلك لأنّ المضللّين ينكرون كلّ ما يعرضه عليهم الخصم من دلائل وبيّنات ، وكان الاستفهام الإنكاري وسيلتهم في تهيج الشك حول المواقف التي يتبناها الخصم ، فيضعوها موضع الاستبعاد والاستحالة ؛ لأنّ الاستفهام الإنكاري يقتضي كون ما بعده غير واقع وأنّ مدعيه كاذب ، كما أنّه يهدف إلى إرباك الخصم وإزعاجه ، فليس الغرض من الاستفهام طلب الفهم ، بل هو وسيلة لدحر الخصم وإبطال دعواه والتشهير

(١) تفسير من وحي القرآن : ١٢/١٩٠ .

(٢) ينظر : الميزان : ١١/١٤٤ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/٢٥٦ .

(٤) ينظر : أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة " الفرقان " : ٦٠ .

بأخطائه ، حتّى يشك المتلقي بصاحب الدعوة^(١) ، ومثال ذلك قوله تعالى نفلا عن المضللين :

﴿ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِنَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٢)

فجملة ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ استفهامية إنكارية ، فقد أنكر المشركون كون الرسول المبعوث إليهم بشراً ، انطلاقاً من مغالطة منطقية استحوذت على تفكيرهم ترى ((استحالة أن يبعث الله للناس برسالة بشراً مثلهم))^(٣) وهذا تصور خاطئ وخالي من الدليل إذ سبق النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنبياء من البشر ، ويمكن توضيح هذه المغالطة بما يلي :

- مُحَمَّد بشر .

- وكلّ بشر ليس نبياً .

- مُحَمَّد ليس نبياً .

وما كان إنكارهم هذا إلّا إرضاء لأوهامهم بالتنصل من الدخول في الدين ، ومانعاً لعدم إيمانهم وعدم إيمان وتضليل من يسمعونهم^(٤) .

٢- التقرير :

إنّ الاستفهام التقريري استفهام ذو حدين ؛ فهو وإنّ تظاهر بالاستفسار إلّا أنّه يضمّر التقرير والاعتراف بالخبر ، حيث يحمل المخاطب على الإقرار ليلزمه تبعاته^(٥) ، ويرى الدكتور عبد الله صولة ((أنّ الغاية من كلّ استفهام سواء أكان حقيقياً أم غير حقيقي تتمثل حسب ديكر و أوسكمبر في أن نفرض على

(١) ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة : ٢١٦ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٩٤ .

(٣) التحرير والتّوير : ٢١١/١٥ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢١١/١٥-٢١٢ .

(٥) ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة : ٢١٧ .

المخاطب به إجابة محددة يملئها المقتضى الناشئ عن ذلك الاستفهام فيتم بذلك توجيه دفة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد ، ولما كانت أهم وظيفة ينهض لها الاستفهام هي توجيه باقي الحوار وجهة معينة ، ولما كان مفهوم التوجيه هذا هو لبّ الحجاج عند ديكره ، كان الاستفهام مظهراً حجاجياً مهماً^(١) ، لذلك وظفه المضللون لمعاني عديدة ، ليتمكنوا بوساطته تمرير تمويهاتهم وأباطيلهم الملتوية . ومن الاستفهام التقريري ما جاء في خطاب فرعون لقومه :

﴿وَأَدَّىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)

لقد جعل فرعون قوله : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ تقريراً ، إذ إنَّ سؤاله المنفي جيء به لتقرير المعنى ، وهو وارد في سياق العلو والرفعة ، ويحمل بعداً سلطوياً مغالطاً^(٣) ، وقد مثل الكلام الاستفهامي نتيجة لحجة فرعون وما تلتها من الحجج كانت بمثابة التدعيم لجملة الاستفهام ، وقد أدى الرابط الحجاجي (الواو) وظيفة الربط بين النتيجة والحجج الداعمة لها ، ويمكن أن نوضح هذا المثال كما يلي :

أليس لي ملك مصر ← نتيجة

وهذه الأنهار تجري من تحتي
أفلا تبصرون
تدعيم

حين خشي فرعون على ملكه أعلن في قومه مذكراً إياهم بعظمته وبموقعه وبمركزه ، لئلا يتبعوا موسى (عليه السلام)^(٤) ، وقد جعل الاستفهام التقريري

(١) الحجاج في القرآن : ٤٢٧ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٥١ .

(٣) ينظر : المغالطات في ردود منكري الرسالات : ١٥٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتأويل : ٢٢٩/٢٥ .

المخاطب مضطراً للإجابة في الاتجاه الذي رسمه فرعون في سؤاله^(١) ، كما جعل منه شاهداً على ما يتمتع به ، وأزال بوساطة التقرير أي شك في ربوبيته موهماً قومه بذلك مضللاً إياهم بمغالطته تلك .

٣ - التهكم والسخرية :

كان للتهكم والسخرية والاستفزاز أثر كبير في العملية التضليلية ، وقد وظّف المضللون الاستفهام بوصفه أداة لإبراز روح السخرية والاستهزاء^(٢) في خطابهم التضليلي ، ويمكن أن نرصد ذلك في قولهم :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا مَرَّرَ كُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣)

لقد حمل استفهامهم ﴿ أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾ بعداً ساخراً ، إذ إنّه خرج مخرج ((الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله))^(٤) ، وكلامهم هذا سفسطة منطقية بنيت على قياس مغالط هو :

- رزق الخلق مقسم من عند الله .

- المؤمنون فقراء لا يملكون ثمن قوتهم .

- الله معطل الرزق عنهم بمشيئته .

وبذلك يكون الاستفهام قد أدى معنى التهكم والسخرية بتناقض حال المؤمنين وأقوالهم ، وفي هذه الحجة المغالطة إيهام وخطب بين الإرادة التشريعية المبنية على البلاء والامتحان أو القضاء والقدر ، والإرادة التكوينية المبنية على مجموعة قوانين

(١) ينظر : البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ، د. عبد الله صولة ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته : ٤٨/١ .

(٢) ينظر : الخصومة في القرآن الكريم : ٣١ .

(٣) سورة يس : الآية ٤٧ .

(٤) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٨٩٦ .

لا تتخلف عن المراد ، وأمر المشيئة الإلهية مرتبط بالإرادة التشريعية دون التكوينية^(١) ، وحين وظف الاستفهام الساخر مع هذه المغالطة المنطقية حمل الخطاب بعداً تضليلياً مضاعفاً في العملية الحجاجية .

ثالثاً : النداء :

يعدّ أسلوب النداء افتتاحيةً لألقاء الحجة ، إذ إنّه يعمل كمنبه يثير انتباه المتلقي و ((بهذا يكون أسلوب النداء أداة بارزة من مقومات الخطاب ، لأنّه أسلوب يُعمد إليه بالإصغاء للمنادى ، وفي ذلك أهمية لا تنكر عن التخاطب))^(٢) ، والغاية من ذلك أن يصغي المخاطب إلى أمر مهم^(٣) . وقد وظف النداء في خطابات المضللين بطريقة توحى باللجاجة والكفر والعناد والكبر ، فقد كان نداؤهم موجهاً للأنبياء والمرسلين دونما تقدير أو إجلال لمقام النبوة^(٤) ، ويصاحب النداء في خطابات المضللين دلالات متعددة منها : تصغير شأن المنادى أو الاستهزاء به ، ومثال ذلك قوله تعالى نقلاً عنهم :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ أَنَّهُ لَرَجِمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾^(٥)

إنّ هذا النداء الذي أطلقه قوم النبي شعيب (عليه السلام) يعبر عن الاستهانة وتصغير شأن النبي شعيب (عليه السلام) ، وقد تلتته أربع حجج كلّها تدل على

(١) ينظر : الميزان : ٩٤/١٧ .

(٢) الخصومة في القرآن الكريم : ٣٥ .

(٣) ينظر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠١٥ : ٤١٠ .

(٤) ينظر : لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل دراسة أسلوبية دلالية ، لافي محمد محمود زقوت ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠١٠ : ٨٨ .

(٥) سورة هود : الآية ٩١ .

المعنى نفسه ، إلا أنّ النداء منح الخطاب قوة حجاجية عالية ؛ وذلك لأنّه ((يوقظ النفس ويلفت الذهن وينبه المشاعر))^(١) ، كما أنّه جاء مقدمة مهدت للحجج التي تلتها ، إذ جاءت الحجج كما يأتي :

يا شعيب ← ما نفقه كثيرا مما تقول ← وإنا لنراك فينا ضعيفا ← ولولا رهطك

ق ٣

ق ٢

ق ١

مقدمة

لرجمناك ← ما أنت علينا بعزيز

ق ٤

لقد كانت الحجج التي تلت النداء قرينةً دلت على أنّ نداءهم كان لغرض الاستهانة والتقليل من شأن النبي شعيب (عليه السلام) ، وقذفه بافتراءاتهم الباطلة وتهديداتهم التي يلجؤون إليها كلما أعياهم الرد ، وهذه هي إستراتيجيات المضللّين المخادعة التي تسعى إلى خلق نوع من الشك والحيرة لدى المتلقي قاصدين بذلك تشويش أفكاره وتضليله ، ومن النداء ما جاء لغرض السخرية والاستهزاء ومثاله قولهم :

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾^(٢)

فصيغة النداء هنا حجة أولى واردة على سبيل الاستهزاء والسخرية من النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ولذلك ((خاطبوه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا باسمه بل بوصف نزول الذكر عليه كما كان يدعيه))^(٣) ، ثُمَّ اتوا بالفعل (نُزِّل) المبني للمجهول ، للإيحاء بكونهم يجهلون مصدر هذا الذكر^(٤) ، وبذلك فإنّ توصيفه

(١) علم المعاني : ٤١٨ .

(٢) سورة الحجر : الآية ٦ .

(٣) الميزان : ٩٦/١٢ .

(٤) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٤٣/١٣ .

بالذي نزل عليه الذكر ، وتسمية القرآن ذكراً كلاهما من باب الاستهزاء^(١) . ثم جاءت الحجة الثانية ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ لتكون دليلاً على أن النداء خرج لغرض التهكم والتجريح ، وتأکید الحجة بـ (إِنَّ واللام) بقصد تحقق ذلك للسامعين حاضري مجالسهم^(٢) ، وبذلك فإن النداء وظف مقترناً بسفسطة السخرية ، التي تعد من أشهر آليات التضليل ليتمكنوا بذلك من ترسيخ تلك الأفكار في ذهن المتلقي وخداع عقول البسطاء من الناس وبالنتيجة يحدث التضليل . وقد يستغني النداء في خطابات المضللين عن الأداة فيرد من دونها كقوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾^(٣)

فقولهم ﴿ رَبَّنَا ﴾ نداء حذف منه الأداة ، وهو دعاء وارد على سبيل السخرية والاستهزاء ، و ((تصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال))^(٤) ، وقد تضمن خطابهم هذا مفارقة إذ إن معناه عكس ظاهر اللفظ ، فظاهره دعاء ، وباطنه سخرية ، وغالباً ما تبني السخرية على عنصر المواراة ((الشيء الذي يوحي بكون السخرية مسافة غير قابلة للتفاوض))^(٥) ، فالمضللون في حالة من العناد والإصرار على الكفر ، دون أن يدعوا أي مجال للحوار والنقاش ، بل اتخذوا الأسلوب الساخر المعبر عنه بالنداء سبيلاً ؛ ((لئلا يظن المسلمون أن استخفافهم بالوعيد لأنهم لا يؤمنون بالبعث فأبأنوا لهم أنهم لا يصدقون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل وعيد حتى الوعيد بعذاب الدنيا الذي يعتقدون أنه في تصرف الله))^(٦) ، وبذلك وظف النداء

(١) ينظر : الميزان : ٩٦/١٢ .

(٢) ينظر : التحرير والتأويل : ١٧/١٤ .

(٣) سورة ص : الآية ١٦ .

(٤) روح المعاني : ١٧٣/٢٣ .

(٥) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة : ٣٠ .

(٦) التحرير والتأويل : ٢٢٥/٢٣ .

ليكون خداعاً خطابياً عبروا بوساطته عن سفسطة السخرية بقصد الإيقاع بالمتلقي وتضليله .

رابعاً : النفي :

النفي أسلوب لغوي حجاجي لا يقل أهمية عن الأساليب اللغوية الحجاجية الموظفة في التضليل ، فقد وظفه المضللون ليؤكدوا بوساطته مدى عنادهم وإصرارهم على الكفر والضلال ، وتمسكهم بنهجهم الباطل ، كما إنه يكشف عن نفسيتهم في مواقف النزاع وما تحمله نفوسهم من بغض وكره ، دعاهم إلى خداع الناس وتضليلهم^(١) . ويعدّ ((النفي عاملاً حجاجياً يحقق به الباث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المستقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى نتيجة))^(٢) معينة ، وبذلك يؤدي النفي وظيفة من صميم العملية الحجاجية ، فيقوم بإنكار قضية ، ودحض رأي ، أو رد فكرة ، أو تكذيب ادّعاء أو هدم تصور بقصد إثبات نقيض ذلك ، وإقامة ما يخالفه وبوساطة ذلك يتمكن المضلل من تحقيق ما يريد والسير بالمخاطب نحو النتيجة التي يروم إدراكها^(٣) . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾^(٤)

لقد وظفوا في هذه الحجة النفي لأجل إنكار ما عرضه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتكذيب ادّعاءه ، فنفوا أن يكونوا قد سمعوا من قبل بجعل الآلهة إلهاً واحداً ، و ((نفي السماع هنا خبر مستعمل كناية عن الاستبعاد والانتهاز

(١) ينظر : الخصومة في القرآن الكريم : ٣٦ .

(٢) العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، عز الدين النّاجح ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٤٧ .

(٣) ينظر : الخطاب الحجاجي عند الإمام محمد الغزالي ، مالك عوادي ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خضير بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥/٢٠١٦ : ٧٢ .

(٤) سورة ص : الآية ٧ .

بالكذب ((^(١)). ثم أوردوا حجة أخرى منفية كذلك ، اختصروا فيها مجمل ما فصل وخلاصته وهي : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ فنفي السماع يبين أن قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مصطنع مبتدع^(٢) . وتصنف حجتهم هذه ضمن المغالطات المنطقية التي يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي :

عدم سماعهم بهذا في الملة الآخرة ← أذن هذا اختلاق



غير صادق

فهذه الحجة قائمة على مغالطة منطقية ، إذ جعلوا من عدم السماع علة لإنكار وحدانية الله ، وما دام أنهم لم يسمعوا بذلك ، فإن ذلك كذب واختلاق ويستلزم كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير صادق . وبذلك يكون النفي قد حقق ما كان يسعى إليه المضللون من دحض رأي خصمهم ، وعبروا بوساطته عن رفضهم وعدم قبولهم بما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا كله كان لأجل خداع المتلقي والتشويش على أفكاره وبالنتيجة يقع في فخ تضليلهم . ومنه كذلك ما ورد في قوله تعالى :

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(٣)

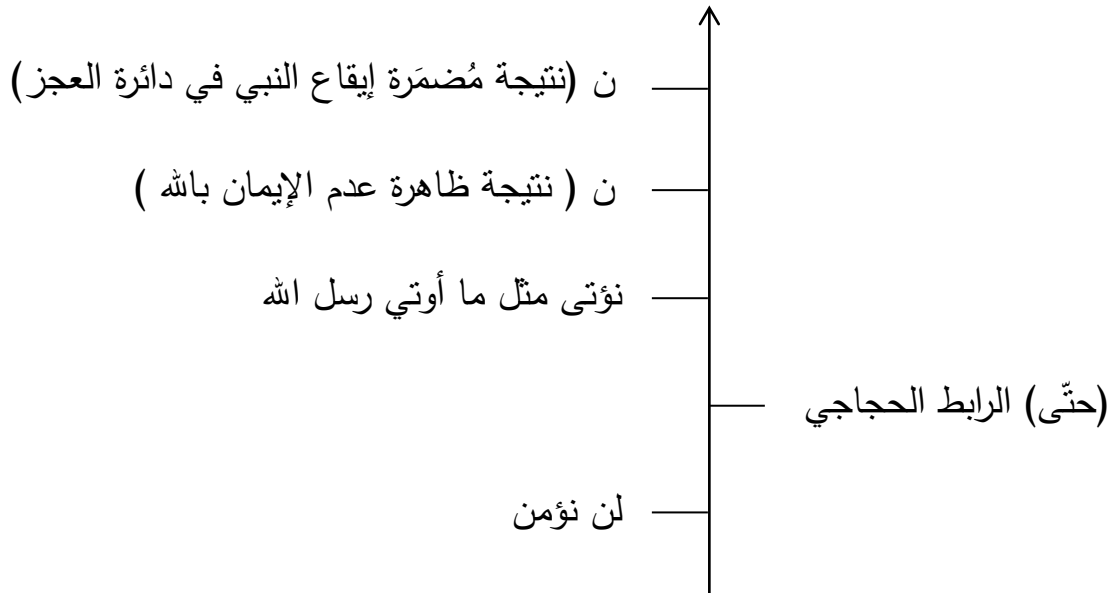
دأب المضللون على الهروب من الاستدلال المنطقي ، والتأمل العقلي إلى المكابرة والعناد والاشتراط ، فهم ((لا يرتبطون إلا بالجانب الحسي في حياتهم ، أما العقل والفكر وما يتطلبانه من تأمل وحوار ، فليس لهما مكان في حياتهم . ولذلك

(١) التحرير والتنوير : ٢١٢/٢٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٢٤ .

فهم لا يطلبون الإيمان من خلال حركة الفكر ، بل من خلال حركة الحس ، وإذا طلبوه من خلال الحس ، فإنهم يطلبون الشيء الذي اعتادوه أو سمعوا عنه ، فلا يقبلون نموذجاً آخر ، مما لم يمر عليهم ، ولم يحدثهم الآخرون عنه))^(١) ، وقد وظّفوا أداة النفي (لن) التي صورت مدى عنادهم وتكبرهم واختلاقهم للمعاذير ، ومحاولة منهم لإيقاع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دائرة العجز ، إذ إنهم نفوا إيمانهم شريطة أن يؤتوا مثل ما أوتي رسل الله ، أي لن يؤمنوا حتى تأتيتهم معجزات عينية مثل معجزة موسى وعيسى^(٢) (عليهما السلام) ، أو - في تفسير آخر - ينزل عليهم الوحي كما نزل على الأنبياء^(٣) ، ويمكن أن نبين ذلك بالرسم السلمي الآتي :



لقد ارادوا بذلك تبكيّت النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكذب والبهتان ، ليتمكنوا بذلك من خداع المتلقي بأنّ الرسول غير قادر على تنفيذ طلباتهم وبالنتيجة يلتبس الحق بالباطل ويضلل المتلقي .

(١) تفسير من وحي القرآن : ٣١٥/٩ .

(٢) ينظر : التحرير والتأويل : ٥٢/٨ .

(٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٣١٦/٩ .

خامساً : الشرط :

يعدّ الشرط واحداً من أهم الأساليب اللغوية ، التي تقوم بعرض الحجة ونتيجتها ، فجملة الشرط تعرض الحجة ، وجملة جواب الشرط تعرض نتيجتها ، ويكون حصول النتيجة فيه مشروط بحصول الحجة^(١) ، وبذلك عد الشرط سمة جوهرية في الخطاب التضليلي ؛ لاحتوائه على عنصر المفاجأة الذي يدفع بالمتلقي إلى التنبيه بغية حصول الاستمالة والتأثير وهذه من ضروريات التضليل^(٢) ، وقد تكرر هذا الأسلوب كثيراً في الخطابات التضليلية ، نتيجة لتنوع المعاني التي وظّف لأجلها ، إذ إنّهُ يشتمل على ((ألفاظ ذات معان تلزم الخصم على اقتراح جواب وحيد لا غير ، وبذلك تصبح الحجة حجته الخاصة ، ومن ثم تكون أكثر فعالية في إقناعه وأقوى في سلمه الحجاجي ، لأنها أصبحت جزءاً من اعتقاده وتفكيره))^(٣) ، ومن المعاني التي وظّف لأجلها : التحدي والتعجيز ، والتحريض ، والتشكيك ، والعناد . ومثال عنادهم قوله تعالى نقلاً عنهم :

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَخْنُكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤)

فهذه الحجة الشرطية وظّفت الأداة (مهما) من باب تأكيد عنادهم ، إذ وقفوا وقفة المتحدي المعاند الذي يرفض كلّ آية للإيمان مهما بلغت من القوة والحجة والبرهان ، فقطعوا كلّ السبل إلى ذلك ، كما أنّهم وصفوا آيات موسى (عليه السلام) بالسحر ؛ استهزاءً وسخريةً ، ولتكون هذه الحجة مبرراً لكفرهم وتمردهم^(٥) ووصلوا من خلالها إلى بيان نتيجة مفادها عدم إيمانهم ابداً ، فقولهم : ﴿ فَمَا نَخْنُكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ جملة جواب الشرط ، نتيجة للحجة الشرطية التي عرضوها ، وقد جاءت بصيغة الجملة الاسمية لتدل على الثبات في عدم الإيمان ، وزيد حرف الباء امعاناً في

(١) ينظر : البنية الحجاجية في ديوان " لا تعتذر عما فعلت " : ١٠٩ .

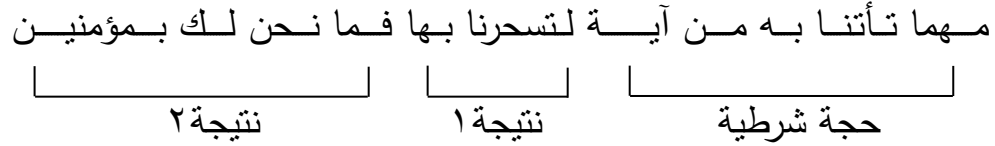
(٢) ينظر : الخصومة في القرآن الكريم : ٤٦ .

(٣) الحجاج في النصّ القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً " : ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٣٢ .

(٥) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٢٢/١٠ .

التوكيد والاثبات والمبالغة^(١) . واستمراراً لنهجهم المضلل ، ويمكن تمثيل هذه العلاقة بالشكل الآتي :



وبذلك يخلق الشرط حالة ذهنية مشوشة ، فإصرارهم وعنادهم وتبريرهم للموقف الذي هم عليه من الكفر ، وتشويه صورة موسى (عليه السلام) أمام الناس كل ذلك كان خطاباً خداعياً لخلق حالة من التشويش الذهني لدى المتلقي ليقع فريسة لقولهم الباطل ، ويخدع وينصاع لخطابهم المضلل ، ومن الحجج الشرطية التضليلية قولهم:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَكَا بَاءُونَ وَكَأَ حَرَمَاتٍ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾^(٢)

جاء الشرط بالأداة (لو) لتعليل امتناع عبادتهم لله عزّ وجلّ ، وقد عللوا امتناع العبادة بمشيئة الله تعالى ، وهذه الحجة يلجؤون إليها حين تواجههم مواقف الهزيمة وتنفذ كل حججهم فيتبعون المنطق المهزوم ، لكي يتهربوا من المسؤولية فيرجعون كل تصرف لهم إلى المشيئة الإلهية ، على اعتبار إحاطة الله بكلّ أمور المخلوقات ، وبذلك يكون كفرهم سببه مشيئة الله ، وبالنتيجة فإنّ انحرافهم يعود إلى الله لا إليهم^(٣) ، وذلك كما قلنا - في تحليل سورة يس : ﴿ أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ ﴾ - من التخليط بين الإرادتين التشريعية والتكوينية . وقد خلق الشرط نوعاً من التلازم بين الحجة والنتيجة ؛ وذلك لأنّه وفر علاقة الاقتضاء التي جعلت من الحجة (لو شاء الله) تقتضي النتيجة اقتضاء ، وهذا ما منح الخطاب طاقة

(١) ينظر : التحرير والتأويل : ٦٩/٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ٣٥ . وينظر : (سورة الانعام : الآية ١٤٨) ، (سورة الزخرف : الآية ٢٠) ، (سورة فصلت : الآية ١٤) .

(٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢١٩/١٣ - ٢٢٠ .

حجاجية عالية ، وقد كان الغرض من الشرط وبيان الامتناع إفحام وتكذيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١) ، قاصدين بذلك المراوغة والتضليل .

سادساً : التوكيد :

عزز المضللون حججهم المغالطة بأساليب متعددة من التوكيد ، ليكون حجة داعمة تغطي على أكاذيبهم ، وتمويهاً لسفستهم ، حتّى يظهر حجاجهم بهيئة صحيحة ، ويقتنع المتلقي بأفكارهم وأكاذيبهم ، إذ إنّ التوكيد ((تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره))^(٢) ، والغاية منه ((إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك ، واماطة ما خالجه من شبهات))^(٣) ، وأكثر ما يرد التوكيد في الكلام الذي يكثر فيه الشك والتردد ، وهذا واضح في الكلام التضليلي ؛ إذ إنّ كلام مبني على باطل وخالٍ من الدليل ، مما يكثر فيه التردد وإطلاق الشكوك في نفس المتلقي^(٤) ، فيسعى المضلل بوساطة التوكيد ليبعد عن ذهن السامع الشك ، ويؤكد حجته التي تتضمن أحكام مخالفة لما يعتقد المتلقي ، ليضلّ الناس بعقائده الموهومة الكاذبة ، وقد تعددت صور التوكيد في آيات التضليل المحكية في القرآن الكريم ، ومن أهمها :

أ - التوكيد بالحروف :

التوكيد بالحروف إحدى الأساليب التي أدت وظيفة بارزة في جعل المتلقي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له المضللون ، وأبرز صور التوكيد بالحروف كانت بالأداة

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤٧/١٤ .

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٩٤/٢ .

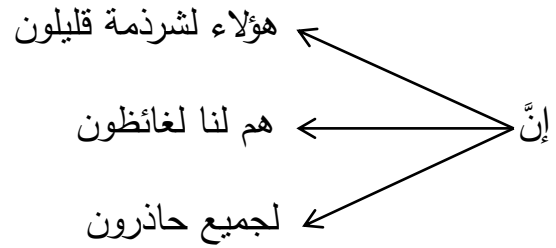
(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦ : ٢٣٤ .

(٤) ينظر : الخصومة في القرآن : ٤٧ .

(إِنَّ) لدفع الشك ، أو بـ (إِنَّ واللام) لدفع الإنكار ، وقد ورد التوكيد بحروف أخرى إلا أنها أقل توظيفاً ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى نقلاً عن فرعون :

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾^(١)

لقد جاءت الحجج الثلاث مؤكدة بأداة التوكيد (إِنَّ) ، لتمنح الخطاب جدية أكثر ، ولترسيخ المعنى في ذهن السامع ، وبذلك يقوى أثره التضليلي ، والنصّ مكون من ثلاث حجج تخدم نتيجة مقصودة من الخطاب الحجاجي هي : إثارة الناس ((ضد موسى (عليه السلام) وقومه بطريقة إعلانية مضلّة))^(٢) ، وقد شكل التوكيد بالأداة (إِنَّ) نقطة انبثقت منها الحجج وكالاتي :



وزيدت (اللام المؤكدة) لدفع الإنكار فزادت الخطاب توكيداً ، ونهضت بوظيفة حجاجية تضليلية ، تمثلت في إلزام المخاطب بالحجة الفاسدة ، كما تضمن الخطاب توكيداً من نوع آخر وهو قوله : ﴿ قَلِيلُونَ ﴾ فإنه جاء مؤكداً لمعنى^(٣) ﴿ شِرْذِمَةٌ ﴾ ، إذ إنها تعني ((الطائفة القليلة من الناس))^(٤) ، وكان يمكن لفرعون ((الاكتفاء بها تعبيراً عن القلة ، ولكنه وصفها بالقلة القليلة زيادة في احتقارهم ، واستصغار شأنهم))^(٥) ، وبهذا يكون التوكيد قد أدى غرضه في ترسيخ مفهوم النصّ والمبالغة

(١) سورة الشعراء: الآية ٥٤ - ٥٦ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ١١٨/١٧ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣٠/١٩ .

(٤) تفسير من وحي القرآن : ١١٦/١٧ .

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٤١٠/٥ .

في هذا التوكيد ؛ كي تنطلي الحجة على المتلقي ويؤدي الخطاب غرضه التضليلي بنجاح .

ب - التوكيد بالقسم :

يعدّ القسم من أهم صور التوكيد ، لما يحمله من طاقة حجاجية عالية ، إذ ((تبين الملفوظات المؤكدة بالقسم محاولة المتكلم لإقناع الخصم بوسم خطابه بأعلى درجات التأكيد ومن ثم يصبح للملفوظ درجة حجاجية عالية . فمكمن الطاقة المولدة للإقناع هو ما ينهض له المقسم به من دور في توجيه الملفوظات وإثباتها وجعلها مما يُحمل على أنها واقعة لا محالة))^(١) ، وقد أشرت في الفصل الأول إلى أنّ القسم ليس سوى حجة داعمة للحجج التي تليه ، فجملة القسم لا تستقيم بالمقسم به لوحده ، بل لا بد من أن تتبع بحجج أخرى يراد توكيدها^(٢) ، والقسم في خطابات المضللين ليس سوى خداعاً ينفذ بالحجج إلى مشاعر المتلقي ، ويظهر لها الباطل بهيئة الحق وبالنتيجة يدفع بالناس إلى الضلال ، ومن الحجاج المضلل المؤكد بالقسم قوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ تَمَلَّكُمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾^(٣)

لم يقتصر الكلام التضليلي عند المضللين على الحياة الدنيا ، بل امتد ذلك إلى الآخرة ، فخطابهم هذا موجه إلى الله عزّ وجلّ حين يحشرون ، وما هو إلّا حجاج فاسد ، فقد أقسموا كذباً ((جرياً على سننهم الذي كانوا عليه في الحياة ، لأنّ المرء يحشر على ما عاش عليه ، ولأنّ الحيرة والدهش الذي أصابهم خيل إليهم أنّهم

(١) الحجاج في نهج البلاغة الرسائل إختياراً ، رائد مجيد الزبيدي ، إطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، العراق ، ٢٠١٣ : ١٢٦ .

(٢) ينظر : حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام) ، د. كمال الزماني ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٦ : ٢١٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٣ .

يَمُوهُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَتَخَلَّصُونَ مِنَ الْعِقَابِ))^(١) ، فقد أقسموا بالله تعالى على أنهم ما كانوا مشركين ، ولم يكتفوا بلفظ الجلالة ، بل زادوا التوكيد ترسيخاً بذكر صفة الله (رَبَّنَا) ، وأضافوا إلى لفظة (رَبِّ) الضمير (نَا) العائد عليهم ليدل على ربوبيته عندهم وإنهم لم يعبدوا سواه . أَنَّ ((قوة المقسم به تعمل على تحقيق قيمة الكلام التأثيرية سواء أكانت هذه القيمة متحققة أم كانت متصورة))^(٢) ، وعلى الرغم من قوة القسم وما كان يضمن من دلالات توحى بأن لا ربّ لديهم سوى الله ، إلا أنه جاء توكيداً للحجة المنفية التي تلتها . وقد صدر منهم هذا القسم الكاذب توهمًا أن باستطاعتهم النفاذ بوساطته من العقاب ، وإنّ كلامهم التضليلي سينطوي على الله عزّ وجلّ .

ت - التوكيد بالقصر :

يندرج القصر ضمن الأساليب اللغوية المؤكدة للحجة ، إذ إنّه ((يحدد المعنى تحديداً كاملاً))^(٣) بوساطة التخصيص والإيجاز ، فهو يقوم بـ ((تقليص الإمكانات الحجاجية ، أي تقليص الاستنتاجات التأويلية وتحديد المسار الذي ينبغي أن يسير فيه الخطاب وبعبارة أكثر دقة وضع حد لتعدد الاحتمالات في شأن المفاهيم الناجمة عن قول ما))^(٤) ، وهو توكيد للخبر على توكيد أيّ إنّه توكيد مضاعف ؛ إذ إنّه يؤكد الخبر مرة بشكل صريح ومرة بشكل ضمني^(٥) ، ومن التوكيد بالقصر ما جاء في قوله تعالى :

(١) التّحرير والتّنوير : ١٧٧/٧ .

(٢) الحجاج في نهج البلاغة الرسائل إختياراً : ١٢٦ .

(٣) تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة - دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم ، محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٣ : ٢٧٥ .

(٤) الحجاج في نهج البلاغة الرسائل إختياراً : ١٣١ .

(٥) ينظر : حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية : ٢٢١ .

﴿وَإِذَا تُلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١)

ورد التوكيد في النص بثلاث حجج مقصورة بوساطة (النفي ، وإلا) ، وهذه الحجج هي :

- ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم .

- ما هذا إلا إفك مفترى .

- إن هذا إلا سحر مبين .

لقد انبنت الحجتان الأولى والثانية على العامل الحجاجي (ما ، إلا) ، أما الحجة الثالثة فقد كانت بالعامل (إن ، إلا) ، وكلا من الحجج قد صيغت بالنفي والاستثناء ، ليقصروا في القول الأول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على إرادة صدهم^(٢) ، أما القول الثاني والثالث : فقد قصرُوا فيه القرآن بكونه أفكاً مرة ، وبكونه سحراً مفترى مرة أخرى ، والتوكيد بهذه الآلية يكسب الخطاب ((بُعداً حجاجياً أعمق في التوجيه نحو النتيجة الضمنية))^(٣) ، وبذلك يكون التوكيد بالقصر حجة استند إليها المضللون ليصلوا إلى نتيجة مُضمرة تتمثل في ((إلهاب قلوب قومهم وإيغار لصُدورهم ليتألبوا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويزدادوا تمسكاً بدينهم))^(٤) مستغلين سلطة الكلمة وما تثيره من انفعال نفسي لدى المتلقي ليؤدي حجاجهم التضليلي غرضه الذي سيق لأجله .

(١) سورة سبأ : الآية ٤٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٢٦/٢٢ .

(٣) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) : ٣٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٢٦/٢٢ .

المبحث الثاني

الأساليب البلاغية الحجاجية

تقديم :

تعدّ الأساليب البلاغية من أهم الأساليب ((الحجاجية التي يستعملها الباحث ؛ لاستمالة المخاطب والتأثير فيه ؛ لما تحمله أساليبها من شحنات تأثيرية في نفس المتلقي))^(١) ، فهي تضيف للكلام قوة جمالية تعمل على تحريك وجدان المتلقي ، وتسهم في قوة التأكيد والمبالغة في إثبات المعنى المراد بيانه وترسيخه في الذهن ، ولقد عد بيرلمان ((كل ما كان عند المتقدمين محسنات تزيينية ، عدّه مقومات حجاجية إقناعية))^(٢) ، وإذا ما اضيفت تلك الجمالية إلى حجج مغالطة ، وسفسطات متعمدة ، أمكن للمضلل تحقيق غايته من الخطاب ؛ أي قيادة المتلقي إلى التضليل^(٣) . والمضلل لا ((يلجأ إلى استعمالها ، إلا لوثوقه في أنها الأبلغ حجاجياً))^(٤). وقد أشار النقاد القدماء إلى أنّ الصورة الناشئة من الأساليب البلاغية وظيفتها الافهام والإقناع والتأثير ؛ لأنّ غايتها تبليغ المعنى المراد إثباته في أحسن صورة ، فهي أبلغ حجاجياً ، وتفتح المتلقين بوساطة التصوير الحسي الذي يظهر عليها ويخرج منها^(٥) .

وحين نتتبع آيات التضليل التي وظفت فيها الأساليب البلاغية نجدها تقل قلة ملحوظة إذا ما قورنت ببلاغة القرآن ؛ فكلام المضللين وإن وظف الأساليب البلاغية لتحقيق أغراضه

(١) الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة ، د. باسم خيري خضير ، دار نيبور، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٦ : ١٢٥ .

(٢) التحليل التداولي والحجاجي للاستعارة ، وليد فرحان ، ضمن : أنطولوجيا المعرفة اللغوية ، د. مؤيد آل صوينت ، العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٢ : ٢١٦ .

(٣) ينظر : تجليات الحجاج في الخطاب النبوي : ١٧٥ .

(٤) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام) ، د. كمال الزماني ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢ : ٢١٥ .

(٥) ينظر : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني : ١٩٠ .

التضليلية ، إلا أنّ حجاج الأنبياء والمرسلين كان أقوى وأبلغ . وفي ما يأتي سنقوم ببيان أهم تلك الأساليب ، وسنرى كيف وظفها المضللون لدعم مغالطاتهم المنطقية .

أولاً : الاستعارة :

الاستعارة آلية بلاغية فاعلة لتحقيق الإقناع والتأثير ، وتعد من أبرز الآليات البلاغية الموظفة في الحجاج التي نالت اهتماماً خاصاً من الباحثين في حقل الحجاج ، فقد تعددت الدراسات التي تبين الفعالية الكبيرة لها في الإقناع والتأثير ، وعقدت لها دراسات خاصة حتى أطلق عليها تسمية (الاستعارة الحجاجية) ، وترجع هذه التسمية إلى ارسطو الذي قسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام ، وعد الاستعارة الحجاجية أحد هذه الأقسام ، وهي تهدف عنده إلى ((إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي))^(١) . أما في البلاغة العربية فيعد عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) أول من أشار إلى الوظيفة الحجاجية للاستعارة بقوله : ((أنّ الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه وكان موضعه من الكلام أضن به وأشد محاماة عليه وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرح بالتشبيه فأمر التخييل فيه أقوى ، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم))^(٢) ، وتتجلى حجاجية الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني في مفهومي الادعاء ، والتعارض^(٣) .

وترتبط الاستعارة على حد تعبير بيرلمان ((ارتباطاً وثيقاً بمدى أدائها لوظيفتها الحجاجية))^(٤) . وبالنتيجة فإنّ الاستعارة لم تعد مرتبطة بالامتناع والزخرف البلاغي فحسب ، بل لها وظيفة أخرى وهي الوظيفة الحجاجية التي تهدف إلى التأثير في المتلقي وإقناعه^(٥) . كما أنّ القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية ، فهو أقوى حججياً من الأقوال

(١) اللغة والخطاب ، عمر اركان ، دار رؤية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٢١٩ .

(٢) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ : ٢٧٦ .

(٣) ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٩٨ : ٣٠٤ و ٣٠٨ .

(٤) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية : ١٣٠ .

(٥) ينظر : الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) : ١١٢ .

العادية ، وأعلى سلمياً إذ يقع في أعلى درجات السلم الحجاجي ، ويعدّ الدليل الأقوى لصالح النتيجة المتوخاة^(١) ؛ وذلك لأنّ المتكلم لا يوظفها إلا إذ كان واثقاً في أنّها أبلغ من الحقيقة حجاجياً^(٢). وتتحول الاستعارة إلى أداة تضليل حينما توظّف في خدمة مقاصد المضللين الذين ينتهزون طبيعتها المجازية البلاغية^(٣) ، وفاعليتها الحجاجية لتضليل الرأي العام وتدليس الحقائق وخداع الناس . إذ إنّ أهم ما يميز القول الاستعاري أنّه مؤسس على الطابع القصدي للمتكلم وهذا ما أكده جان سورل بقوله : ((إنّ القول الاستعاري تتحكم فيه مقصدية المتكلم ، الذي يتلفظ بطريقة تبتعد عما تعنيه الكلمة أو العبارة في الاستخدام المألوف))^(٤) ، فالاستعارة عنده لا تتعلق بمعنى الجملة بل بمقصد المتكلم ، ومما لا ريب فيه إنّ مقاصد المضللين المضمرة ، هي خداع الناس وإظهار الباطل بهيئة الحق ، وإنّ استعمال الاستعارات المضللة ما هو إلّا محاولة لجذب الانتباه ، والمبالغة في وصف الحدث بأسلوب يثير القلوب والنفوس ، وبالنتيجة ما هي إلّا محاولات تضليلية استغلها المضللون للوصول إلى اهدافهم التضليلية . ومن الأمثلة على الاستعارة قوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَاْمِلُونَ ﴾^(٥)

جاءت الاستعارة ها هنا في قولهم ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ و ﴿ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ و ﴿ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾ وفي الحالات الثلاث الاستعارة تمثيلية ، عبرت عن نبو قلوبهم عن إدراك الحق ، فقد وضعوا ثلاث حجب متوالية تحيل بينهم وبين أنّ يفقهوا ويأخذوا الهدى ، وقد تمثل الحاجز الأول في قولهم : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ حيث شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بغطاء يحجب عنها كلّ شيء ، أما الحاجز الثاني : فهو ما عبروا عنه بقولهم :

-
- (١) ينظر : اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، منتديات سور الازيكية ، ط ١ ، ٢٠٠٦ : ١٠٢ - ١٠٣ .
 (٢) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٤٩٤ .
 (٣) ينظر : طرق التّضليل السياسي : ١٦٠ .
 (٤) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية - من أرسطو إلى لاكوف ومارك جونسون ، د. عبد العزيز لحويديق ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٥ : ٢١٠ .
 (٥) سورة فصلت : الآية ٥ .

﴿ فِي آذَانِنَا وَقُرْ ﴾ فقد شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث أنها تمج الحق ، ولا تميل إلى استماعه . أما الحاجز الثالث : فهو الحجاب الحائل بينهم وبين النبي ﴿ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾ فقد شبهوا حال انفسهم مع الرسول بشيئين بينهما كثير من الحواجز التي تحول دون وصول أحدهما إلى الآخر^(١) . وقد ((جمعوا بين الحالات الثلاث في التمثيل للمبالغة))^(٢) في وضع الحواجز والحجب التي تمنعهم من استقبال ما يأتيهم به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكانت النتيجة المرجوة من تلك الحجج هي إقنات النبي مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن إجابتهم ، وقطع آماله من اتباعهم إياه^(٣) . إذ إن قولهم هذا يجعل النبي ((حائراً لا يدري كيف يواجه الموقف الجديد الذي لا يحقق أيّ صدَى لصوته))^(٤) . وبذلك قطعوا كلَّ السبل التي كان سيسلكها النبي مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ((وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكُمّوا أفواه الناطقين بالحق والحجة ، بما يستطيعون من تخويف وتسويل ، وترهيب وترغيب ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة لأنهم يوقتون أن حجة خصومهم أنهض ، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل))^(٥) . لقد مثلت الأقوال الاستعارية حجج قوية ومنحت الخطاب قوة حجاجية عالية يمكن تمثيلها بالسلم الحجاجي الآتي :

(١) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين درويش ، دار اليمامة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٩٩ : ٦١٠/٦ .

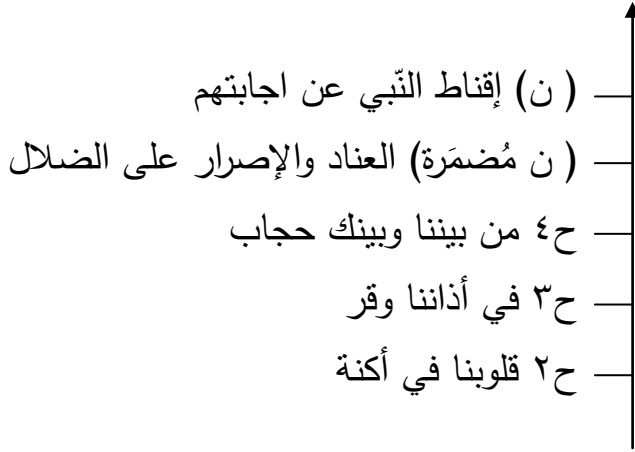
(٢) التحرير والتّوير : ٢٣٤/٢٤ .

(٣) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمد الألوسي البغدادي ، عناية وتصحيح : ادارة

الطبعة المنيرية ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) : ٣١٩/١ .

(٤) تفسير من وحي القرآن : ١٢٥/٢ .

(٥) التحرير والتّوير : ٢٧٧/٢٤ .



أن تراكم المغالطات تُربك السامع وتأخذ بالمتكلم نحو أفضل درجات العناد ، وإن هذه الحجج الاستعارية غير قابلة للإبطال أو التعارض^(١) ، فالاستعارة جعلت من حججهم فوق الإبطال ، إذ إنَّ أيَّ دليل يأتي به النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد قولهم هذا لا يخدم دعوته المضادة لهم . إنَّ النتيجة المضمرة الواردة في السلم ، صيغت الحجج لتعبر عنها ، فالأقوال الاستعارية الثلاث ما هي إلَّا تعبير عن عنادهم وإصرارهم على الضلال . ومنها كذلك قوله تعالى :

﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾^(٢) استعارة مكنية فقد أرادوا بذلك أننا ((فسدت أبصارنا واعتراها خلل في إحساسها كما يعتري عقل السكران ذلك فيختل إدراكه))^(٣) ، أي أن ما يرونه ليس سوى تخيلات حدثت نتيجة لسحر أصابهم فرأوا ما ليس بشيء شيئاً^(٤) ، وقد أدت كلمة (سُكِّرَتْ) حركة حجاجية أسهمت اسهاماً فعالاً في توجيه الخطاب نحو النتيجة المرجوة ، وذلك لأنها استمدت قوتها وطاقتها الحجاجية من خلال توظيفها الاستعاري ، الذي منحها صفات القول الاستعاري من جذب الانتباه ، والمبالغة في وصف الحدث ، وإثبات المعنى ، ومما زاد الخطاب توكيداً وإثباتاً العامل الحجاجي الحصر بوساطة (إِنَّمَا) ، الذي حصر التسكير على الأبصار دون العقول ، ثمَّ توسعوا ليشملوا

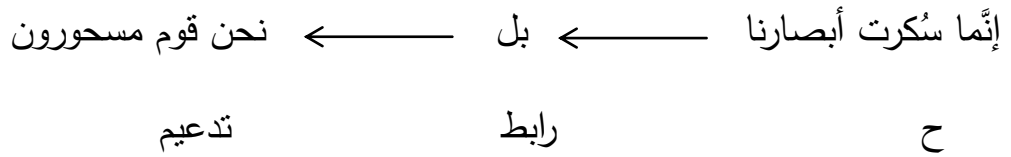
(١) ينظر : اللغة والحجاج : ١٠٦ .

(٢) سورة الحجر : الآية ١٥ .

(٣) روح المعاني : ٢٠/١٤ .

(٤) ينظر : التحرير والتثوير : ٢٦/١٤ .

العقول بالإضافة إلى الحواس كلها بقولهم : ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ فقد أضربوا عن الحصر إلى التوسعة والاشتمال^(١) ، والاضراب بـ (بل) هنا إضراب انتقالي أي ((ترك الحكم السابق عليها كما هو والانتقال من غرض إلى غرض آخر))^(٢) ، وبذلك تكون الحجة التي تلت (بل) ليست أقوى من الحجة الاستعارية ، وإنما بمثابة التدعيم لها والزيادة عليها ، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :



إنَّ أصرار المشركين على الضلال وعنادهم وعرضهم لهذه المبررات يجعل من المتلقي هدفاً لمقاصدهم الخبيثة ، فهم يبررون لكل شيء خداعاً للمتلقي وإيهامه بسفسطات كاذبة ومخادعة وكل هذا بقصدية التضليل .

ثانياً : التشبيه :

لم تخلو خطابات المضللين من التشبيه الذي يعدّ من أساليب الحجاج البلاغية ، وهو ((يقع في المرتبة الثانية بعد الاستعارة من ناحية درجة الوضوح والغموض ، من جهة ، ومن ناحية الإقناع من جهة أخرى))^(٣) ، فالاستعارة والتشبيه يشتركان في الوظيفة الإثباتية للحجة ، إلا أنَّ التشبيه يلي الاستعارة ؛ وذلك لأنَّ الإثبات في الاستعارة يكون إثباتاً مؤكداً ،

(١) ينظر : إعراب القرآن وبيانه : ١٨٤/٤ .

(٢) نحو اللغة العربية ، محمد أسعد النادري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧ : ٨٦٩ .

(٣) الحجاج في شعر النقائض - دراسة تداولية ، مكلي شامة ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠٠٨/٢٠٠٩ : ١٣٠ .

أما في التشبيه فالإثبات تقريبي^(١) ، إذ إنّ التشبيه يقرب المعنى من ((المتلقي بتوظيف عناصر ومكونات من بيئته ، وما يحيط به ، حتّى يبدو الخطاب أكثر وضوحاً ونفاذاً إلى القلوب والعقول))^(٢) ، وبذلك لم يعد التشبيه مجرد زينة زخرفية تحسينية ، ولا حلية لفظية فحسب ، واصبحت وظيفته في البلاغة المعاصرة وظيفة حجاجية ؛ لكونه يزيد المعنى وضوحاً ، ويسهم في إيصال الحجة وترسيخها في ذهن المتلقي ليقنع بها ، ويساعد في تقريب الخطاب من المتلقي ، وبهذا يكون وسيلة وسبيلاً للتأثير في المتلقي واستمالته وتضليله^(٣) ، إذ ((يدرك المتلقي بالتشبيه مقاصد المرسل ، الذي يحاول تثبيت حجته باستمالة المتلقي والتأثير فيه))^(٤) . ولما كانت غايات المضللين ومقاصدهم هي إيهام المتلقي ، وتدليس الحقائق ؛ أصبحت الغاية الحجاجية التي يسعى إليها التشبيه في خطاباتهم هي (التضليل) . وقد ورد التشبيه في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾^(٥)

إنّ قولهم ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ تشبيه مقلوب حيث شبهوا البيع بالربا ، والاصل أن يقولوا (الربا مثل البيع) إلا أنّهم عكسوا التشبيه وجعلوا ((الفرع أصلاً والأصل فرعاً))^(٦) ، فقد جعلوا الربا أصلاً وشبهوا به البيع ، ليوهموا السامع أنّ المشبه به (الربا) المقصود بالمبالغة أتم في وجه الشبه وأقوى من المشبه ، وبالنسبة إيهام السامع أنّ الربا في الحل

(١) ينظر : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، عبد الله صولة ، سور الأزيكية ، تونس ، ط ١ ، ٢٠١١ : ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) الحجاج في الخطابة النبوية ، د. عبد الجليل العشراوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢ : ١٥٤ .

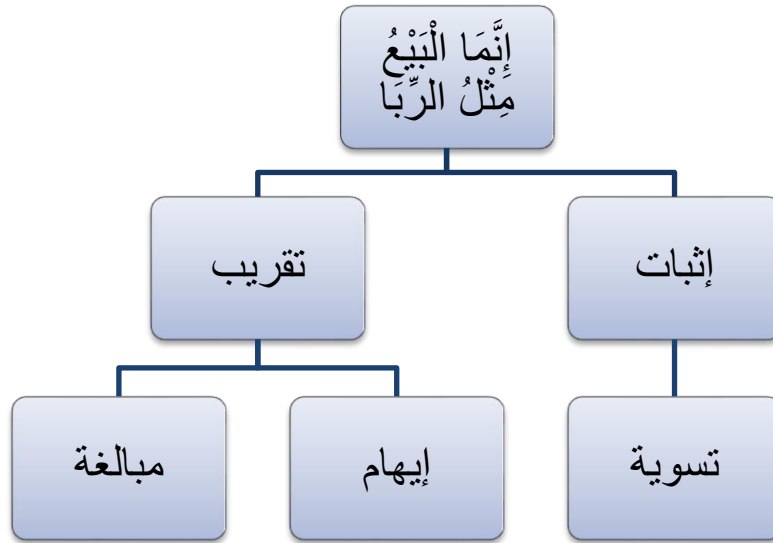
(٣) ينظر : آليات الاقتناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء نموذجاً) دراسة حجاجية ، هشام بلخير ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١١/٢٠١٢ : ١٣١ .

(٤) بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ، خديجة محفوظي ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠٠٦/٢٠٠٧ : ٧٦ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٦) أسرار البلاغة : ١٩٦ .

أقوى وأعرف من البيع^(١) ، وكذلك أنهم خلال هذا التشبيه عمدوا إلى التسوية بين البيع والربا ، فمثلاً أن البيع حلال ومباح فالربا كذلك حلال ومباح ، أي أنهم ارادوا القول : إن الذي نأمر به كالذي ننهى عنه لا مزية له عليه^(٢) وأن ((الشيء الذي تمارسونه وتستحلونه لا يختلف عن الشيء الذي نمارسه مما تستنكرونه علينا وتحرمونه على أنفسكم ، فلا بد لكم من أن تحرموهما معاً أو تحلوهما معاً ، وما دامت المسألة حاسمة لديكم في تحليل البيع ، فلا بد من أن تكون كذلك بتحليل الربا ، لأن وحدة العلة تقتضي وحدة المعلول))^(٣) ، وبذلك أدى التشبيه وظيفته الحجاجية المغالطة في إثبات المساواة بين البيع والربا ، وتقريب المعنى من ذهن المتلقي في سبب التحليل . وقد أضاف التشبيه المقلوب وظيفه أخرى هي المبالغة ، إذ إنهم بالغوا في وصف إباحة الربا حتى عدوه هو الأصل والبيع هو الفرع . ويمكن توضيح ذلك كالآتي :



يوضح المخطط غايات المضللين ومقاصدهم من توظيف التشبيه في حجتهم المغالطة محاولةً في إثبات المساواة بين البيع والربا ، و تقريب المعنى بطريقة مبالغ فيها لإيهام المتلقي وبالنتيجة استمالته والتأثير فيه وتضليله .

(١) ينظر : البيان في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د. ط) ، ١٩٩٨ : ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ينظر : الميزان : ٤١٩/٢ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ١٣٨/٥ .

ثالثاً : المجاز :

يعدّ المجاز من أهم الأساليب البلاغية التي وظفها المضللون لتحقيق غايتهم التضليلية ؛ وذلك لما يؤديه من قيمة حجاجية تسهم بفاعلية في عملية التأثير والإقناع ، وقد أشار (مايير) إلى القيمة الحجاجية للمجاز بقوله : ((المجاز يخلق المعنى ويصدم كلّ من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره))^(١) ، فهو بذلك يخرج عن كونه مجرد أداة تزيينية إلى الإثارة والتأثير في ذهن المتلقي ، و ((تعود هذه القوة التأثيرية للمجاز إلى أنّه لا يؤدي وظيفة حجاجية استدلالية خالصة ، أي أنّه لا يخاطب في المخاطب عقله وذنه فحسب ، بل يخاطب النفس والانفعال أيضاً))^(٢) ، فهو لا يقتصر على الوظيفة الحجاجية التي تسعى إلى إقناع عقل المخاطب بدعوى ما فقط ، بل يؤدي وظيفة حجاجية أخرى تسعى إلى بلوغ نفس المخاطب واستثارة عاطفته حتّى يقتنع بالدعوى المطروحة ويتبناها^(٣) . وبالنتيجة فإنّ اجتماع قوتين تأثيريتين إحداها تخاطب العقل وتثير الخيال والتصورات ، والأخرى تخاطب النفس وتثير الانفعال والعاطفة ؛ منح المجاز قوة حجاجية كامنة ، وإنّ هذه القوة الحجاجية الكامنة التي يمنحها المجاز للخطاب اسندها المضللون إلى سفسطاتهم ، وأصبحت بذلك وسيلة تضليل ؛ لأنّها أقنعت المخاطب بما هو مغالط بطريقة لا تخلو من الدهاء والحيلة . ومن المجاز الوارد في آيات التضليل قوله تعالى :

﴿ قَالَ الْمَلَأْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا نَنكَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٤)

إنّ قولهم : ﴿ إِنَّا نَنكَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ خطاب موجه إلى النبي نوح (عليه السلام) وهو مجاز مرسل علاقته الحالية ، فقد استعمل الحال وأريد به المحل ، إذ جعلوا من الضلال ظرفاً وهو ليس ظرفاً فلا يحل فيه الانسان وإنما يحل في مكانه^(٥) ، وإنّ ظرفية (في ضلال) تعبر ((عن تمكّن وصف الضلال منه حتّى كأنّه محيط به من جوانبه إحاطة

(١) الحجاج في الخطابة النبوية: ١٥٤-١٥٥ .

(٢) حجاجية المجاز والاستعارة ، د. حسن المودن ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته : ٧١٩/١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٧٢٠/١ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٦٠ .

(٥) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٥٧١/٢ .

الظرف بالمظروف ((^(١)) ، ولقد سبقت الإشارة إلى أنَّ الآليات البلاغية ومنها المجاز تسهم في قوة التأكيد والمبالغة في إثبات المعنى ، وهذا ما نستشفه في النصِّ إذ إنَّهم أكدوا تأكيداً شديداً وبالعوا في ((وصفه بالضلال وإيغاله فيه ، حتَّى كأنَّه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها . وزادوا في المبالغة بأنَّ أكدوا ذلك بأنَّ صدَّروا الجملة بأنَّ ، وزادوا اللام في خبرها))^(٢) ، وبذلك فقد اجتمعت ثلاث مؤكِّدات في النصِّ وهي : المجاز ، وأنَّ ، واللام لتؤدي وظيفة المبالغة في وصف الحدث وترسيخ المعنى في ذهن المتلقي ، كما أنَّ لفظة (مبین) منحت خطابهم شيئاً من الثقة فضلاله عندهم مبین أيَّ واضح وظاهر^(٣) لاشك فيه . وبهذه السفسطة الزائفة تخدع العقول ، ويرسخ المعنى في الذهن وتشوه الحقائق ، وبالنتيجة يحدث التضليل .

ومثلما وظَّف المضللون المجاز المرسل كإستراتيجية تضليلية ، فقد وظفوا المجاز العقلي للغاية ذاتها ، ويمكن أنَّ نرصد ذلك في قوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾^(٤)

مجاز عقلي (اسنادي) فقد وصفوا الكرَّة بالخاسرة والمراد أصحابها ، أيَّ خاسر أصحابها والمعنى : إنَّ صحت تلك الرجعة فإنَّا إذن خاسرون^(٥) . والمجاز وارد على سبيل الاستهزاء والسخرية ، فهم لا يؤمنون بالرجوع ويستبعدون وقوعه وينكرونه ، وما يؤكد استهزائهم الاستفهام الوارد في قولهم : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ . أَئِنَّا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴾^(٦) فالاستفهام الإنكاري دل على إنكارهم البعث والنشور ، وأكد إنَّ وصفهم للكرة بالخاسرة ما هو إلَّا كلام ساخر وظَّف فيه المجاز ليؤدي وظيفة المبالغة في الاستهزاء والسخرية وبالنتيجة تحقيق الهدف المنشود الذي يتمثل في خداع الناس وتضليلهم .

(١) التَّحْرِير والتَّوْبِير : ١٩١/٨ .

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٥٧١/٢ .

(٣) ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقرآته : ١٠٦ (أبان) .

(٤) سورة النازعات : الآية ١٢ .

(٥) ينظر : التَّحْرِير والتَّوْبِير : ٧٢/٣٠ .

(٦) سورة النازعات : الآية ١٠-١١ .

إنَّ أهم ما يميز المجاز هو الإيجاز في العبارات ، فهو يختزل المعنى في عبارة صغيرة تحمل معاني ودلالات مُضمرة أسهمت بفاعلية في إنجاح خطط المضللين في ترسيخ ذلك المعنى في ذهن المتلقي ، وبالنتيجة أدى المجاز وظيفته كآلية تضليلية ناجحة .

رابعاً : الكناية :

تعدّ الكناية وسيلة قوية من وسائل التأثير والتضليل ، إذ إنّها تعتمد على أسلوب ((التعمية ، والتغطية ، وإخفاء ما يود المتكلم إخفاؤه))^(١) وهذا هو ما يسعى إليه المضللّ ليحقق غايته التضليلية ، فيلجأ إلى ((الكناية عندما لا يريد أن يصرح عن مقصوده مباشرة))^(٢) محاولاً إثبات معنى أو صفة ؛ لاعتقاده بأهميتها في أقناع المخاطب بواسطة اشراكه في العملية الحجاجية ، واستنباط المعنى المتولد من معنى آخر عن طريق الاستدلال والتأويل ، فالكناية يتخلق بوساطتها معنيين : أحدهما مباشر يتبادر إلى الذهن ، والآخر غير مباشر (مُضمّر) وهو المقصود ، وهذا ما يسهم في استمالة المتلقي والتأثير فيه^(٣) . إذ إنّ الانتقال من معنى إلى آخر يخلق ((ضرباً من التواصل بين الأصل المستدل عليه (القضايا والحقائق) والآلة المستدل بها (اللغة) فيحدث من ذلك التواصل وينجم التعاقد، بين المحاج والمحجوج على صدقية الفتاوى اللغوية باعتبارها أدلة قويّة على الإمكانيات التأويلية التي يتجاوز فيها المؤول الظاهر إلى الباطن والمعلوم إلى المجهول اقتراباً من النبع ومشاركة للأصل ، فيرتجى التوحد ويطلب الحلول))^(٤) ، وبذلك تسهم الكناية في اشراك العقل وخداعه وإلهائه حين ترتبط بكلام مغالط ، بالإضافة إلى أنّها تعطي الحجة مصحوبة بالدليل والإثبات والمبالغة ، وإنّ الكلام الظاهر أو المعنى الأول هو

(١) الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم ، د. سندس عبد الكريم هادي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العراق ، عدد ٩٧ : ٢١٦ .

(٢) البنية الحجاجية في ديوان " لا تعتذر عما فعلت " لمحمود درويش - تناول تداولي - ، حمداني نسيم ، رسالة ماجستير جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة - ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٤/٢٠١٥ : ٦٩ .

(٣) ينظر : الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي - دراسة تقابلية مقارنة - ، نور الدين بوزناشة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد لمين دباغين ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥/٢٠١٦ : ٣٧٢ .

(٤) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) ، د. علي الشبعان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ : ٣٢١ .

الدليل ، أما المعنى الثاني المتولد من تأويل المعنى الظاهر هو ما يمنح الخطاب الإثبات والتوكيد ، وبذلك ((تكون المزية في الكناية مرتبطة بالمعنى الثاني الذي يتضمن الإثبات إضافة إلى التوكيد والمبالغة))^(١) فيختصر المضلل ما يدور في ذهنه مستغلاً الكناية ويعطي الدليل ويترك للمتلقي تأويل المعنى والاستدلال عليه ، ليوهم إنَّ ما جاء به من سفسطة مقترنة بدليل وإنَّ حجته حقيقة صادقة ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى حكاية عن المضللين :

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾^(٢)

استدل المضللون بصفيتين من صفات البشر (الأكل ، المشي) مكونين صورة كنائية لإثبات بشرية الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . فقولهم ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ كناية عن الحدث لأنَّ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يلزم أكل الطعام وطلب المعاش^(٣) ، وبهذا يماثل حاله حالهم وتتنفى الرسالة ؛ لأنَّها عندهم لا ((تجامع أكل الطعام والمشي في الأسواق لاكتساب المعاش فإنها اتصال غيبي لا يجامع التعلقات المادية))^(٤) ، وقد أختار المضللون هذه الكناية لأنَّها من ((الأحوال المشاهدة المتكررة))^(٥) . وعززوها بالاستفهام التعجبي ، فهو وارد كذلك في سبيل إبطال كون الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مرسلًا من الله ، وطعن رسالته لأنَّ التعجب من الدعوى يقتضي استحالتها أو إبطالها^(٦) . وقد كان الاستفهام المقدمة التي انطلقت منها الحجج الكنائية وكالاتي :

(١) الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي : ٣٧٠ .

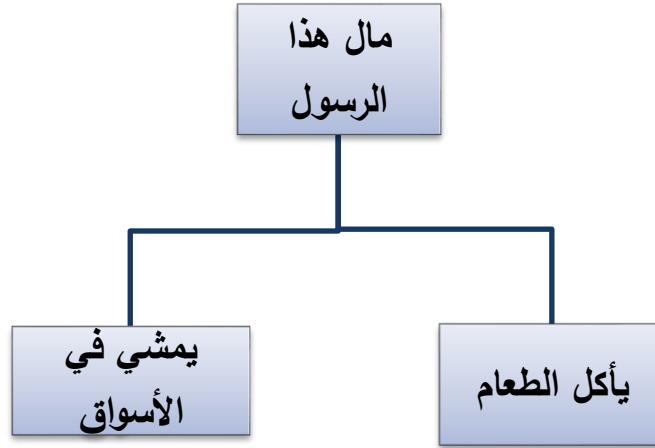
(٢) سورة الفرقان : الآية ٧ .

(٣) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٣٣٣/٥ .

(٤) الميزان : ١٨٣/١٥ .

(٥) التحرير والتأويل : ٣٢٧/١٨ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه والصفحة .



فبعد أن استهلوا حجتهم بمقدمة استفهامية تعجبية ، بدأوا بعرض الحجج الكنائية والربط بينها بالرباط الحجاجي الواو الذي يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض ، وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى^(١) ، وتوظيف الكناية يحيل المضلل المتلقي إلى المعنى الذي يقصده ، وتكون حجته ناجحة حين ينشئ المتلقي الإحالة التي يقصد المضلل أن ينشئها ، ويؤول المعنى بطريقة صحيحة تخدم مصالح المضللين وتتخذ المتلقي^(٢) . ومنها كذلك ما جاء في آية التضييل في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٣)

إنَّ المحاولات التضليلية لليهود لم تقف عند حد معين ، بل إنها تجاوزت كلَّ الحدود حتَّى تجرَّوا على القول بسفسطة تطعن بقُدسية الله جلَّ شأنه ، إذ إنَّ قولهم ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ سفسطة واضحة فهو كناية عن البخل أيَّ إنَّ الله تعالى جلَّ شأنه ((ممسك ما عنده بخل))^(٤) ، مستدلين على قولهم هذا بالمقارنة بين حالهم وحال المسلمين ، الذين كانوا يعانون الفقر وضيق المعيشة والظلم ، وإنَّ الله غير قادر على إغنائهم ، أما اليهود فقد كانوا احسن حالاً بما يملكون من مال وجاه وقوَّة جعلهم يترفعون علواً على من يعانون الفقر

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٤٧٢ .

(٢) ينظر : معنى المعنى . دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية ، أوغدن ورتشاردز ، ترجمة : د. كيان أحمد حازم ، دار الكتاب المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٥ : ٣٠٧ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٤) روح المعاني : ١٨٠/٦ .

والعسر^(١) ، ولا يخفى علينا إنّ الكناية تضم في طياتها كلام مُضمّر ، فالمضللّ هنا ((يتعمّد أن يخفي في كلامه الأفكار التي في دماغه))^(٢) ، وقد أضرّم اليهود في كلامهم إنّ ربّ مُحمّد هو غير ربّهم و إنّ ((ربّ محمد فقير وبخيل))^(٣) وربّهم غني وكريم . وبوساطة تلك المقارنة وبتوظيف الكناية التي أسهمت في المبالغة وإعمال ذهن المتلقي وترسيخ المعنى فيه لتضليل المسلمين وإيقاعهم في مخططاتهم الخبيثة والخادعة .

خامساً : البديع :

لقد استعمل المضللّون البديع آليّة حجاجية ؛ وذلك لأنّ ((للأشكال الصوتية والموسيقية دوراً في الإقناع النصّي باعتبارها نشاطاً يجري ويحث ويكون قادراً على إنتاج دلالات وتأويلات فهي عناصر أساسية في بناء حجاجية النصّ لقدرتها على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس ، فهي أحد فروع البلاغة الهادفة إلى الاستمالة))^(٤) والتضليل ، وقد أستعان المضللّون به لغاية حجاجية تضليلية ، إذ إنّ وظيفة الأشكال اللغوية التي تنتمي إلى الأسلوب البديعي لا يقف عند الوظيفة الشكلية الزخرفية ، بل له وظيفة حجاجية تهدف في خطابات المضللّين إلى التضليل والبلوغ بالأثر مبلغه الابلعد^(٥) ، فالبديع يتمثل في كونه أسلوباً حجاجياً يؤدي وظيفته في تغيير زاوية النظر لدى المتلقي^(٦) ، ومن أبرز الأساليب البديعية التي وردت في آيات التضليل :

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٥٠/٨ .

(٢) معنى المعنى : ٣٠٦ .

(٣) التحرير والتّوير : ٢٤٩/٦ .

(٤) الحجاج في النصّ القرآني " سورة الأنبياء أنموذجاً " ، إيمان درنوني ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لحضر - باتنة - ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٢/٢٠١٣ : ٧٩ .

(٥) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٤٩٧ - ٤٩٨ .

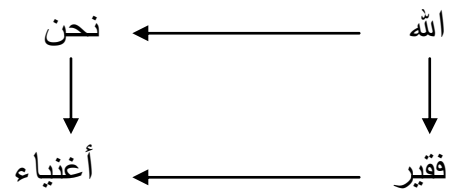
(٦) ينظر : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشية ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٨ : ٥١ .

التقابل :

وظّف المضللون التقابل ليصلوا إلى أهدافهم الحجاجية وهي تضليل المتلقي ؛ لما له من قوة في استمالة المتلقي ، فهو من الأساليب ((البديعية ذات وظيفة حجاجية تأثيرية جمالية ؛ إذ يقوم بدور مهم في تشكيل العملية الحجاجية ونجاحها))^(١) وأنّ حجاجية التقابل تكون بوساطة مبدأ الضد وكذلك بما ((يحققه من إيضاح المعنى وإظهاره ، وتأكيده وتقويته ، عن طريق المقارنة بين الضدين))^(٢) إضافة إلى وقوعها الموسيقي وجرسها المتناغم الذي يشد انتباه المتلقي ، ويعمل على تثبيت المعنى وترسيخه في ذهنه ، وبالنتيجة فإنّ الاستعانة بهذا الأسلوب البديعي الذي كان جزءاً من سفسطات المضللين ووسيلة من وسائل التضليل البلاغية ؛ لأنّه يسهم في توضيح المعنى وتقويمه ، والتأثير في المخاطب واستمالاته وتضليله بوساطة الإيقاع^(٣) . ومن التقابل الوارد في آيات التضليل قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾^(٤)

لقد استعمل المضللون الضدين (فقير) و (أغنياء) وكأنهما مرتكزان ارتكز عليهما الخطاب كله ، إذ يتولد من خلالهما مطابقة سياقية ف (فقير) مرتبطة بحال الرسول والمسلمين الذي يدل على فقر الله^(٥) ، و (أغنياء) مرتبطة بحال اليهود وما يملكونه من مال وجاه ، ويمكن توضيح ذلك كالآتي :



(١) بلاغة الخطابة وآلياتها التداولية - الخطابة القضائية أنموذجاً - ، عائشة قدوري ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، كلية الآداب واللغات والفنون ، الجزائر ، ٢٠١٢/٢٠١٣ : ١٠٨ .

(٢) دراسات منهجية في علم البديع ، د. الشحات محمد أبو ستيت ، ط ١ ، ١٩٩٤ : ٥١ .

(٣) ينظر : تجليات الحجاج في الخطاب النبوي : ١٨٤ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٨١ .

(٥) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٤١٩/٦ .

وبذلك تظهر قيمة التقابل الحجاجية بكونه شكل بؤرة للخطاب ، وقد ارتكزت عليه الحجة ، وبالنتيجة فالتقابل ليس بـ ((الضرورة ترفاً لفظياً فحسب ، بل هو تعبير في أكثر الأحيان عن حركة نفسية متوهجة ، وصراع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون ، بين الراهن والمتوقع))^(١) ، وبهذا يحاول المضللون تشويه صورة دين مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والاستخفاف بالله عزَّ وجلَّ وبالقرآن بتوظيف التقابل وذلك كله يسهم في تضليل المتلقي . ومنه كذلك قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيَّا لِّقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِي ۚ ﴾^(٢)

إنَّ ثنائية (أعجمي) و (عربي) حجة يلجأ إليها المضللون من أجل تدعيم الخطاب ، وقد أسهم توظيفها في قوة الحجة وإبراز المعنى بطريقة موجزة ، إذ إنَّ معنى قولهم ((أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي))^(٣) ، إلا أنَّهم أوجزوا قولهم هذا بعبارة بديعية تقابلية أدت المعنى المطلوب ، من أجل بلوغ غاياتهم الحجاجية التضليلية ، فلم يكونوا طالبين للحق ، بل كان قصدهم العناد والتعنُّت والطعن في القرآن والتكذيب به ، ولم ينقطعوا عن خلق الحجج الباطلة التي تقود إلى تضليل المتلقي^(٤) .

(١) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، مُحَمَّد احمد قاسم و محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، ط ١ ، ٢٠٠٣ : ٦٩ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٤٤ .

(٣) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٩٧١ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٣١١/٢٤ - ٣١٢ .

المبحث الثالث

تعدد الحجج

تقديم :

وظّف المضللّون إلى جانب الأساليب البلاغيّة واللّغويّة ، آليات أخرى ذات أهمية بالغة في تسيير العملية التضليلية ، فقد عدّوا في أساليبهم ونوعوا في طرق عرض حججهم حتّى يتمكنوا من خداع المتلقي وتدليس وتلبيس الحقائق ، وذلك لأنّ ((أنواع الحجج المختارة أثناء الحجاج لها ارتباط وثيق بالنتائج المقصودة ، خلافاً لقوة الحجج أو ضعفها ، ففعل الإقناع لا يتحقق بالقوة أو الضعف بالنسبة للحجج ، وإنما يتدخل عامل نوع الحجة في عملية التأثير والإقناع))^(١) ، وأغلب الحجج التي وظفها المضللّون هي حجج مؤسسة على بنية الواقع ((مأخوذة من طبيعة واقعه المعيش ، فلا يجد فيها المتلقي صعوبة لتقبّلها والتسليم بها))^(٢) ، لكنها ليست بالضرورة حجج صادقة ، فقد بنيت هذه الحجج على سفسطات أو مغالطات وتمويهات وظفها المضللّون كلّ حسب مقام الحال وما يفرضه السياق ، ومن بين أنواع الحجج التي وظفها المضللّون ما يأتي :

(١) بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لأبن المقفع : ١٨١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٩٩ .

أولاً : حجة التبرير :

يقدم المحاجج بوساطة هذه الحجة عللاً أو مسوغات تبرر موقفه ، فالتبرير ((حيلة عقلية دفاعية يحاول بها الإنسان تبرير دوافعه وأفعاله غير المقبولة بأن يعطيها تفسيراً يكون مقبولاً))^(١) ، والأداة المستعملة فيها هي (بما أن)^(٢) ، وقد وظّف المضللون هذه الحجة لتبرئة ساحتهم وتعليل سلوكهم ، ومثال ذلك قولهم : ﴿ وَلَعَلَّمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾^(٣)

يقدم المنافقون حجة تبريرية ليبرروا موقفهم المتخاذل ، وقد كانت حجتهم من قبيل :

بما إننا لا نعلم ————— لذلك لم نتبعكم

فالحجة هنا تتدرج ضمن حجج التبرير . وهذا هو منطق المضللين التبريري الذي يحاولون بوساطته إيجاد عذر^(٤) ليبرروا أفعالهم غير المقبولة ، إلا أن حجتهم تتطوي على مغالطة كبرى لخداع المتلقي وتدليس الحقائق ، فتبريرهم أنطلق من تصور كاذب مخادع بأن المعركة ستنتهي سلمياً دون قتال ، وليست هناك حاجة لوجودهم ، وإن تخلفهم عن الذهاب ليس قضية انفصال عن المسؤولية الإسلامية بل هو قضية فقدان الضرورة الواقعية^(٥) ، وبهذا المشهد التبريري احتج المضللون واخفوا الحقائق ليوهموا المتلقي ويخدعوا عقول الناس ليحدث ما يسعون إليه من تضليل المتلقي .

(١) القرآن وعلم النفس ، د. محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٧ ، ٢٠٠١ : ٢٤٨ .

(٢) ينظر : التداولية والحجاج : ٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٧ .

(٤) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٣٧٤/٦ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

ثانياً : حجة الاتجاه :

ترد هذه الحجة لغرض ((التحذير من وقوع شيء ما))^(١) ، وقد وظفها المضللون ليؤدوا بوساطتها دور المحبّ ، فيحذروا الناس من مغبة إتباع الرسل (عليهم السلام) ، حتّى يتوهم السامع بأنّهم حذرون قلقون على مصالحه ، إلّا أنّ ما يضمرونه من سوء النية يعمل كمصيدة لاصطياد الناس في شباك تضليلهم . ومن حجج الاتجاه الموظفة في كلامهم التضليلي قولهم :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَكِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾^(٢)

إنّ قولهم : ﴿ وَلَكِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ حجة اتجاه ، الغرض منها تحذير قومهم من مغبة اتباع النبي هود (عليه السلام) ، لأنّ في اتباعه وطاعته خسران وبطلان لسعادتهم ، فلا سعادة إلّا في التمتع بملذات الحياة الدنيا ، وإنّ اتباع هود فيه زوال للحرية وخسارة كبرى^(٣) ، لأنّ ((فقدان الامتياز المادي في شخصية الرسول يعني أنّه لا يحمل معه أيّ شيء يمكن أن يكون ربحاً في الموقف الذي يدعوهم إليه ، أو تعويضاً عن الخسارة التي قد تلحقهم في ما يمكن أن يحولهم عنه))^(٤) ، وقد سبق حجة الاتجاه حجة مهدت لها ، فقولهم : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ قد تضمن إشارة إلى أنّ المساواة في القضايا الحسية تفرض المساواة في القضايا المعنوية^(٥) ، وفي هذه

(١) استراتيجية الخطاب الحجاجي - دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية ، د. بلقاسم دفة ، مجلة المخبّر ، الجزائر ، العدد العاشر ، ٢٠١٤ : ٥٠٢ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٣٣ - ٣٤ .

(٣) ينظر : الميزان : ٣١/١٥ .

(٤) تفسير من وحي القرآن : ١٥٢/١٦ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

الحجة تمهيد لتحذير القوم مما سيؤول إليه حالهم إنَّ اتبعوا بشر لا يفرق عنهم بشيء ، بل هو أدني منهم في المستوى الاقتصادي ، وبهذا تحول حجة الاتجاه دون تأثر النفوس بما سيقوله هود (عليه السلام) ، وتخلق جواً من الصراع النفسي لدى المتلقي يؤدي به إلى حالة ذهنية مشوشة وبالنتيجة يقع في تضليلهم .

ثالثاً : الحجة التواجدية :

تتأسس الحجة التواجدية على ((علاقة الشخص بعمله))^(١) ، إذ إنَّها تقوم على الربط بين الصفات والذات أو الشخص وأفعاله^(٢) ، أو بصيغة أخرى هي ((العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشخص وبين أعماله التي هي تجليات ذلك الجوهر))^(٣) ، ويمكن أن نرصد الحجة التواجدية في قوله تعالى نقلاً عن قوم النبي صالح (عليه السلام) :

﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾^(٤)

بنيت هذه الحجة على علاقة الشخص بأعماله ، إذ إنَّ ((الرجاء إنما يتعلق بالإنسان لا من جهة ذاته بل من جهة أفعاله وآثاره))^(٥) ، وإنَّ صالح (عليه السلام) بوصفه شخصاً في جوهره مرجواً ، ومن تجليات ذلك الجوهر الثبات على

(١) التداولية والحجاج : ٤٨ .

(٢) ينظر : الحجاج في الشعر العربي : ٢٢٨ .

(٣) الحجاج : اطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال ((مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة)) لبرلمان وتيتيكاه ، عبد الله صولة ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم : ٣٣٤ .

(٤) سورة هود : الآية ٦٢ .

(٥) الميزان : ٢٩٩/١٠ .

عقيدة الآباء وما ترمز إليه دون إعمال العقل والانفتاح الفكري ، إلا أن صالح (عليه السلام) قد خالف ذلك الجوهر وأصابهم بالدهشة والحيرة ، وخيب أملهم فيه ، بعد أن كانوا يرون فيه صفات الكمال والرشد ، ويرجون منه الخير ، ولهذا كانت دعوته بمثابة الصدمة التي أخذتهم بعنصر المفاجأة^(١) . إن هذه الحجة التواجدية تقوم على ((مبدأ ثبات الشخصية بحيث إن قامت بفعل معين أو اتخذت موقفاً محدداً فلأنها عرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد وستظل كذلك ما بقيت على قيد الحياة))^(٢) ؛ وحين غير النبي صالح (عليه السلام) افكاره وخرج بحسب ادعائهم مما كان عليه من خير إلى الشر ، فإن ذلك أصابهم باليأس منه ومن رزاة رأيه^(٣) ، ومن هنا ((يبدو جلياً للمتأمل أن هذه الحجة تقوم على شيء غير قليل من السفسطة))^(٤)؛ وذلك لأن أعمال الشخص إنما تتغير بتغير أفكاره وانفتاحه واطلاعه على الحقائق ، إلا أنهم عمدوا إلى هذه الحجة كنوع من الخداع الخطابي حين صوروا التغير الذي قام به صالح (عليه السلام) بطريقة توحى بخروجه من الخير إلى الشر أو من الكمال إلى النقص بقصد خداع المتلقي وتضليله .

رابعاً : حجة السلطة :

إن الخوض في حجة السلطة يعني الخوض في حجج ((تغدوها هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته))^(٥) ، فالسلطة نفوذ وهيمنة ، وتعبير عن الذات وتأثير في

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٩٠/١٢ .

(٢) الحجاج في الشعر العربي : ٢٢٩ .

(٣) ينظر : الميزان : ٣٠٠/١٠ .

(٤) الحجاج في الشعر العربي : ٢٢٩ .

(٥) الحجاج : اطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٣٥ .

الآخر^(١) ، ومن مظاهر السلطة في خطابات المضللين الاستكبار ، والتهديد والتحريض ، وتتجلى ملامح السلطة في قولهم :

- (١) ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾^(٢)
 (٢) ﴿أَتُلْقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ﴾^(٣)

تتجلى ملامح السلطة في النظرة الدونية ، فهم يرون أنّ فيهم من هو أحق من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ يوحى إليه ، وذلك حسب نظرهم القاصرة ومدارك عقولهم ، التي تقيس الأمور بمقاييس قصور أفهامهم ، فيحسبون أنّ الأثرة بالمال والجاه والسلطة^(٤) ، وإنّ هناك من ((هو أكثر ... مالا وقوة وموقعا في المجتمع الطبقي))^(٥) ، وهم بذلك أحق بالرسالة ، وهذا التجلّ السلطوي يستخدم مناهج المغالطة الناعمة والتمويه المقصود ، فحجج السلطة غالبا ما تكون مؤسسة على التضليل والضغط على المتلقي فكرياً وجسدياً حتّى يرضخ لسلطة القول وينقاد بسهولة إلى تضليلهم .

خامساً : الحجة الرمزية :

تُبنى الحجة الرمزية على القوة التأثيرية للرمز في ((الذين يقرون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه))^(٦) ، وهي حجة ذات أثر بالغ في تقديم وجهة النظر كونها مستمدة من حجة السلطة فهي أحد أوجهها . وقد سعى المضللون إلى تأسيس حججهم على رمز اجتماعي تأريخي مشاع مستتبط من داخل منظومة القيم ،

(١) ينظر : إستراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية - مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند - ، أنور الجمعاوي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر ، (د. ط) ، ٢٠١٣ : ٢٤ .

(٢) سورة ص : الآية ٨ .

(٣) سورة القمر : الآية ٢٥ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩٧/٢٧ .

(٥) تفسير من وحي القرآن : ٢٣٩/١٩ .

(٦) التداولية والحجاج : ٤٨ .

والعقائد ، والمثل ، والعادات ، والأعراف^(١) ، ومن أهم الرموز الموظفة في سفسطات المضللون رمز الآباء كدلالة على قيمهم وأعرافهم وصحة ما يؤمنون به ، والآلهة كدلالة على مقدس لا ينبغي المساس به ، ومثال ذلك قوله تعالى حكاية عنهم :

(١) ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾^(٢)

(٢) ﴿ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^(٣)

لقد ارتكز النصاب على رموز كانت بمثابة العمود الذي أقيمت عليه الحجة ، فقد عمد المضللون على تقديم (الآباء ، الآلهة) على أنهما رموز مقدسة ، إذ إنَّ ((ما تشيره هذه الأشياء المادية من عواطف واحاسيس يعود إلى ما بين الرمز والمرموز إليه من علاقة مشاركة أو تبرير فهذه العلاقة هي التي تثير العاطفة الدينية))^(٤) لدى المتلقي على اعتبار أنَّ هذه الرموز ذات علاقة وشيجة بما ترمز إليه من عقائد وأعراف وتقاليد مقدسة لا ينبغي المساس بها ، بل ويجب الحفاظ عليها ، والملاحظ على هذه الرموز أنَّها لا تخاطب العقل ؛ وذلك لأنَّ ((الرمز يؤثر في الذين يقرّون بوجود الاتصال بين طرفيه لكنه لا يؤثر بأيِّ وجه في الذين لا يدركون تلك العلاقة الترابطية القائمة بين طرفيه وهو ما يعني أنَّ الرمز خاصّ بقوم ما وبثقافة ما ولا يصلح أن يستخدم في مخاطبة جمهور عام وهو ما يؤكد بعده اللاعقلي))^(٥) ، والعلاقة الترابطية بين ما يرمز إليه (الآباء ، الآلهة) لا تدرك إلا في عقول أبت خوض نقاش فكري ، وكان الجمود هو الطابع المسيطر عليها ، حتّى منحوا فكر الآباء والآلهة قداسة حالت بين الحق ومريديه وأدت بالنتيجة إلى تمويه الحقيقة وتضليل القوم .

(١) ينظر : في حجاج النص الشعري : ٨٩ - ٩٠ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٥٨ .

(٤) الحجاج : اطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٣٦ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

الفصل الثالث

التضليل المنطقي : طرقه وأساليبه

المبحث الأول : طرق التضليل في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الأساليب المنطقية للتضليل

الفصل الثالث

التضييل المنطقي : طرقه وأساليبه

ينماز الكلام التضييلي المحكي في القرآن الكريم بأنه كلام هش ، ركيك ، لا يستند إلى قوى المنطق والعقلانية ، ولكي ((يسهم في إحداث تغيير في معارف الناس ومواقفهم وقيمهم))^(١) ، لا بد له طرق وأساليب متعددة ومتنوعة تتفاعل فيما بينها لإحداث ذلك التأثير ، وتعزيز العملية الحجاجية لتكون قادرة على الاستمالة والإقناع ، وقد عرضنا في الفصل الثاني الأساليب الحجاجية وسبل اشتغالها لتؤدي العملية الحجاجية التضييلية ، وذلك بكونها مكونات داخلية للكلام ، وفي هذا الفصل سنعرض المكونات الخارجية للكلام التضييلي التي تتضافر فيما بينها ، ليمارس الخطاب بوساطتها تأثيره وفاعليته ، فيقوم المضلل باستدعاء عوالم الاعتقاد لدى المتلقي ، وحالته الذهنية التي يوجد عليها ليخلق أثراً انفعالياً عند المتلقي على وفق الطريقة التي يفكر بها^(٢) ، إذ إنّ ((النصوص التي تخاطب المجتمع خطاباً اجتماعياً محدداً كالدعايات والإعلام وغيرها ، كلما عايشها الناس وألفوها أثرت في أدواقهم وهوياتهم))^(٣) ، وبذلك يكون المضلل موجهاً للأحداث أو صانعا لها بوساطة الخلط بين الكلام المفبرك والخادع والكلام الحقيقي حتى يصعب على البسطاء من الناس والسذج الذين لا يملكون القدرة على التمييز بين المفبرك والحقيقي من الكلام ، الوصول إلى الطريق الحق ، ولكي تتطوي حيله على المتلقي ويقع فريسة لتضييليه ، يقوم بتأطير كلامه بطرق وأساليب متعددة ومتنوعة ، وسنحاول في هذا الفصل تتبع الطرق والأساليب التي وظفها المضللون للقيام بالعملية الحجاجية التضييلية ، وسنتاولها في مبحثين .

(١) في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر ، د. عبد الرحمن بودرع ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٥ : ١٥ .

(٢) ينظر : الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، زكريا السرتي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٤ : ١١٩ .

(٣) في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر : ١٥ - ١٦ .

المبحث الأول

طرق التضليل في القرآن الكريم

تقديم :

تعددت طرق التضليل وتنوعت بتنوع السبل التي أستغل المضللون توظيفها ، إذ إنهم عمدوا إلى كلّ السبل المتاحة لديهم سواء كانت لغوية (ألفاظ ومعاني) ، أم خارج لغوية (أفعال) ، فلم يدعوا طريقة للتضليل إلاّ استغلوا توظيفها بما لا يدع مجالاً للمتلقي ، فلم يركز التضليل الوارد في القرآن الكريم على طريقة واحدة معتمدة على التقنيات اللغوية المتعددة التي تتيحها اللغة ، بل وظّف إلى جانبها طريقة أخرى غير لغوية أسهمت في إحداث التضليل ، إذ كان لها أثر في تحقيق نجاعة التأثير على المتلقي وتغيير معتقداته وأفكاره وسلوكه^(١) ، ولكون التضليل الكلامي خطاباً شفافياً يعتمد على المخاطبة المباشرة ، كانت الطريقة الأهم والأكثر استعمالاً هي الطريقة اللغوية ، ومع ذلك فالتضليل في القرآن قد يكون بطرق أخرى كالقيام ببعض الأفعال التي تتداخل مع الكلام ليصلا إلى هدف التضليل^(٢) ، وفيما يلي سنفصل الحديث عن كلّتا الطريقتين :

(١) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ١٠٠ .

(٢) ينظر : المغالطات في ردود منكري الرسالات في القرآن الكريم : ١٣٥ .

أولاً : التضليل بالأقوال :

تعدّ اللغة مصدراً أساسياً للتأثير على الآخرين ؛ بما تتيحه من إمكانيات متعددة أمام المضلل فيستغلها بغية حجب مقصديته أو رأيه الحقيقي^(١) ، ف ((اللغة وحدها كفيلة بأن تقوم بتوجيه الخطاب ومعه المتلقي الوجهة التي يحددها المتكلم))^(٢) ، لذلك يعتمد المضلل في ((بناء استراتيجيته التضليلية على اللغة وخصائصها التركيبية والدلالية والتداولية ، إضافة إلى بعض الظواهر البلاغية كالاستعارة والتشبيه والمجاز ، فيأمكن اللغة وحدها تضليل المتلقي لها دون أن يشعر بوجود مغالطة في القول))^(٣) ، وأكثر التضليل الوارد في القرآن الكريم مبني على هذه الطريقة ، فبوساطة اللغة يعرض المضلل كلامه المغالط ، وبوساطتها يعبر عن سفسطاته المتعددة ، وبوساطة اللغة يعبر عن مقصديته ويضمر خلاف ما يظهر ، وأغلب الأمثلة الواردة في الفصلين الأول والثاني تنتمي إلى هذه الطريقة ، ومنها كذلك استعمال اللفظ المشترك ، أو التلاعب بالألفاظ وفيه يستخدم المضلل ((حيلاً وتلبises تنتهي بالمخاطب إلى أن يفهم من القول ما يخالف المقصود ، بشكل يفضي إلى تعطيل الفهم ، (وبالنتيجة) سوق خصمه إلى الضلالة))^(٤) ، إلا إنَّ توظيفها لم يرد إلا في مثالين الأول توظيف اللفظ الدال على أكثر من معنى وقد ورد في قوله تعالى حكاية عن اليهود :

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَمَرَاتِنَا لَنَا بِالنِّسْبَةِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَ خَيْرٌ لَّهُمْ وَأَقْوَمُ وَلَكِنْ

(١) ينظر : استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٩٩ .

(٢) حجاج موسى (عليه السلام) في النص القرآني دراسة تداولية : ١٠ .

(٣) استراتيجية المغالطة في حوارات الأذكياء (نماذج من كتاب الأذكياء لابن الجوزي) ، نبيلة بوقرة ، مجلة سياقات ، مصر ، عدد ٥٤ ، أبريل ٢٠١٧ : ١٩٥ .

(٤) تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط : ٨١٥ .

لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ .

إنَّ عناد اليهود ، جعلهم يستغلون اللغة وما تزخر به من ثراء دلالي محاولة في خداع الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والمسلمين وتضليلهم ، وتكمن مغالطتهم في لفظي (غير مُسَمَّع ، راعنا) ، فقد دل لفظ (غير مُسَمَّع) على معنى ظاهر هو (غير مأمور بأن تسمع) حسب المتبادر في معنى القول عند العرب ، ومعنى آخر مقصود ، مأخوذ من التركيب الوضعي للفظ وهو (لا يسمع صوتاً من متكلم ، بأن يصير أصم) ، أو دعاء على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بأن لا يستجاب ، فيوهمون أنَّهم أرادوا الظاهر إلا أنَّ مقصديتهم هي الدلالة الثانية للفظ^(٢) ، أما لفظ (راعنا) فلا يختلف توظيفه عن توظيف لفظ (غير مُسَمَّع) فقد دل هو الآخر على معنى ظاهر هو (أمهلنا وأنظر إلينا) ، ومعنى آخر بحمل اللفظ على السب وهو الوصف بالرعونة^(٣) ، محاولين بذلك إيهام المخاطب أنَّهم يقصدون خيراً ، إلا أنَّهم يضمرون شراً ، وتعود هذه المغالطة بالأساس إلى استعمال المضللين لـ ((لفظ مشترك يحمل معنيين على الأقل ، أحدهما يناسب المفهوم والآخر المقصود . ومن ثَمَّ فقد يستغل المغالط البعد البنيوي والوظيفي للغة لجعل المفهوم يغيّر المقصود))^(٤) ، وتتجلى ملامح السخرية والاستهزاء بوضوح في هذه الحجة ، إضافة إلى العناد والتكبر والإصرار على العصيان ، وقد سبقَت هذه الأقوال حجة فعلية بنيت على تحريف الكلم ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ وبهذا الفعل تنتضح سوء نيتهم بشكل جلي ، وهكذا يتهرب المضللون من الحوار العقلاني الهادف إلى توظيف الحجج الباطلة وتمويه المخاطب وتضليله .

(١) سورة النساء : الآية ٤٦ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٧٥/٥ - ٧٦ .

(٣) ينظر : روح المعاني : ٤٧/٥ .

(٤) تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط : ٨١٦ .

أما المثال الثاني فهو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾^(١)

لقد كان المضللون من اليهود يحيون النبي مُحَمَّد (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) بقولهم (السَّام عليك)^(٢) . ومعنى (السَّام) هو (الموت) محاولين بقولهم هذا إيهام الرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) إنَّهم يقولون (السلام عليك)^(٣) . قاصدين إثارة جو من السخرية بوساطة التلاعب بالألفاظ ، فهم وإن تظاهروا بألقاء التحية باللفظ المعبر عنه عند المسلمين ، إلَّا أنَّ دلالة اللفظ المنطوق تخلف جذرياً عن المقصود ، والدلالة التي في النفس غير الدلالة الظاهرية ، وبما أنَّ ((الألفاظ التي ينطق بها هي دالة أولاً على المعاني التي في النفس))^(٤) فقد انطوى كلام المضللين على ثنائية الظاهر والباطن ، فظاهر الكلام إرادة الخير وإلقاء تحية الإسلام ، إلَّا أنَّ التلاعب باللفظ وتحريفه ما هو إلَّا حيلة تضليلية يوهمون بوساطتها المتلقي .

إنَّ هذا اللفظ وإن لم يذكر صراحة في القرآن الكريم إلَّا أنَّ أغلب كتب التفسير وأسباب النزول قد أشارت إلى ذلك ، وقد دل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ على ذلك ، وبدل هذا القول دلالة صريحة على خبث اليهود وعداوتهم

(١) سورة المجادلة : الآية ٨ .

(٢) ينظر : أسباب نزول القرآن ، علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ : ٤٣١ .

(٣) ينظر : الميزان : ١٩٣/١٩ .

(٤) تلخيص منطق أرسطو ، ابن رشد ، تحقيق : جبرار جهامي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ : ٨١/٢ .

لِلرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) واستهانتهم به^(١) ، بالإضافة إلى دلالاته على السخرية والهزاء ، وما يؤكد ذلك ما يضمرونه في أنفسهم من حديث الطعن والتهكم^(٢) بعد إلقاء التحية بقولهم : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ ، وبذلك يتضح لنا كيف صاغ المضللون حجتهم عن طريق الإيهام لتؤدي دورها التضليلي بوساطة اللفظ المشترك أو التلاعب بالألفاظ .

ثانياً : التضليل بطريقة الأفعال :

هذه الطريقة من التضليل تنهض إلى التركيز على بعض الأفعال التي يقوم بها المضلل ، إذ إنها تركز على ((كل ما هو خارج عن النص (الخطاب) من وسائل وأدوات تستخدم كأدوات حجاجية من أجل))^(٣) تضليل المتلقي ، إلى جانب التركيز على اللغة والكلام ، فالتضليل في القرآن الكريم له طريقتان ، طريقة تقوم على ما هو منطوق ، وطريقة تقوم على الأفعال ، وفي هذه الطريقة ((يتوسط الفعل حتى يكون شفيعاً للقول))^(٤) ، إذ إن الأفعال لا تتفصل عن الكلام بل تكون بمثابة التدعيم للكلام ، وحتى يحقق الحجاج نجاعة يتبنى المضلل مجموعة من الأفعال المغلطة لتحقيق هدفه مستغلاً المضامين المشهورة ، والمبادئ المقبولة التي يسلم بها المتلقي ، بحيث يقوم بعرضها بطريقة مناسبة لخدمة غرضه التضليلي^(٥) ، ومن أبرز صور توظيف هذه الطريقة من التضليل ما صنعه السامري حين أستغل فرصة غياب موسى (عليه السلام) لتضليل قومه بوساطة حيلة تضليلية تجسدت بالأفعال التي قام بها ، إلى جانب توظيفه للكلام ، حيث نقل عنه في قوله تعالى :

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٦٧/٢٢ .

(٢) ينظر : الميزان : ١٩٤/١٩ .

(٣) البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي : ٧٨ .

(٤) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٤ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨ .

(١) ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(١)

(٢) ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُونَازًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾^(٢)

(٣) ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾^(٣)

لقد كان التخلف الفكري ، والإيمان بالحسيات دون الغيبيات من السمات الغالبة على قوم موسى (عليه السلام) ، وقد استغل المضللون تلك السمة بطرق شتى ، إذ استغلها فرعون حين أدعى الربوبية لنفسه وأقحم موسى (عليه السلام) محاولاً تبكيته حين طلب منه وصف الرب الذي يدعو إليه بالصفات الحسية ، وعمد إليها السامري مستغلاً فرصة غياب موسى (عليه السلام) وحاجة القوم - بحسب الذهنية الجاهلة - إلى الإله الملموس ، وقد طلبوا ذلك من موسى (عليه السلام) صراحة بقولهم : ﴿فَقَالُوا أَمْرًا لِلَّهِ جَهْرَةً﴾^(٤) ، ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً من الأصنام حين شاهدوا قوماً يعكفون على عبادة الأصنام فقالوا : ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(٥) ، وبذلك فإن ((الكلام وحده قد لا يسعف (السامري) في إحداث ردّة الفعل الملائمة لمقصدية ، ولهذا يكون من المناسب أن يدخل

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٨ .

(٢) سورة طه : الآية ٨٧ - ٨٨ .

(٣) سورة طه : الآية ٩٦ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٥٣ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .

عوامل غير لفظية ، تضمن له نجاح))^(١) خطته التضليلية ، فالحجاج وإن كان في أساسه مُرتبطاً بما تقتضيه أساليب إجراء اللغة ، إلا أن هذا الأمر لا يتوقف عند هذا الحد ، بل يأخذ بعين الاعتبار ما تستدعيه نوعية الخطاب من جهة ، ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى . فالغاية التي يتأسس عليها هي مجابهة العقول وإقناعها بالعرض المقدم^(٢) ، وبذلك عمد السامري إلى صناعة العجل ليسهم هذا الفعل في تدعيم الخطاب اللغوي الحجاجي ، خاصة وإن عقول القوم لا تؤمن إلا بما هو مرئي ، ولهذا السبب كانت معجزات موسى (عليه السلام) كلها عينية (بالأفعال) فعقول القوم محدودة التفكير ، لا تقنع بمجرد الكلام أي أن الخطاب وحده لا يكفي لاستمالتهم والتأثير فيهم ، وبذلك فقد أستغل السامري كل ما أحاط به من عوامل أزرتة في خداع القوم وتضليلهم ، فغياب موسى (عليه السلام) الذي كان يخافه قومه ، وضعف هارون الذي لم يكن يحظى بالاحترام مثل موسى (عليه السلام) من جهة ، والتفكير الطفولي للقوم في أن يكون لهم إله يعبدونه من جهة أخرى^(٣) ، فجمع منهم الحلي وصاغها لهم بهيئة العجل ، وليزيد في خداعهم أضاف حيلة فعلية أخرى ، إذ أخذ قبضة من التراب وأضفى عليها نوعاً من القداسة بنسبتها إلى أثر الرسول ، وقيل إن الرسول هو جبرائيل^(٤) (عليه السلام) ، وألقى بها على ما صنعه من الحلي ، فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ، إذ ((صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت))^(٥) ، وبعد أن انتهى من المرحلة الأولى أي مرحلة الأفعال التي أدت أثراً كبيراً في إحداث التأثير والاستمالة ، انتقل إلى المستوى الكلامي لتضليل القوم مخاطباً إياهم بقوله : ﴿ قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ وهذا الكلام موجه

(١) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٦٩ .

(٢) ينظر : البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم - سورة الأنبياء نموذجاً - ، عبد الحليم بن عيسى ،

مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد ١٠٢ ، ٢٠٠٦ : ٣٧ .

(٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ٢٤٧/١٠ .

(٤) ينظر : الميزان : ١٩٥/١٤ .

(٥) عقود المرجان : ٢٠٣/٢ .

من السامري ومساعديه إلى القوم ، وقد أستهل الحجة بجملة اسمية مشيراً إلى العجل مخاطباً القوم بأنّ هذا إلهكم المنشود ، وقد أفادت الجملة الاسمية ثبات المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي ، ولكي يزيد الخطاب ثباتاً جيء بالرباط الحجاجي الواو لتقوية الحجة الأولى ، فأدرج موسى (عليه السلام) مع القوم في كون هذا الإله هو إله موسى (عليه السلام) كذلك ، وبذلك ينفي أيّ شك أو خوف من عبادة العجل . وهكذا تحركت الرواسب الوثنية ، وتحقق ما كانوا ينشدونه ، فهم يرون لأول مرة ، بعد الرحلة الطويلة مع موسى (عليه السلام) ، وثناً ينطلق في دائرتهم الاجتماعية ، فسقطوا أمام التجربة^(١) و ﴿ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾^(٢) نتيجة ((لفقدان الأساس العقلي))^(٣) .

يعدّ التدعيم بالأفعال أحد ((المكونات الأساسية في الحجاج ، ووسيلة من الوسائل المنطقية المعتمدة فيه ، كونه موصلاً ومجسداً للنتيجة سواء كانت ظاهرة أم مضمرة . ولكن نكون مخطئين إذا فكرنا أنّ هذه التقنيات التي تتمتع بها العملية الحجاجية تسمو دائماً إلى ترسيخ الحقيقة وتخدم مقاصد نبيلة ، فمن الغلط المصادرة على أنّ الخطاب التغلطي لا يتوسل بأسس الحجاج ونظمه ، وهو الذي يمثل الوجه المقابل للحجاج المستقيم))^(٤) ، وقد عمد إخوة يوسف (عليه السلام) إلى التوسل بهذه التقنية الحجاجية حين أخبروا أباهم أنّ الذئب قد أكل يوسف (عليه السلام) ، فجاء في قوله تعالى :

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ بُرْكَكُمْ فَأَكَلَهُ

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٤٦/١٥ .

(٢) سورة طه : الآية ٨٥ .

(٣) تفسير من وحي القرآن : ١٤٦/١٥ .

(٤) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ١٠٧ .

الذُّبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿٢﴾

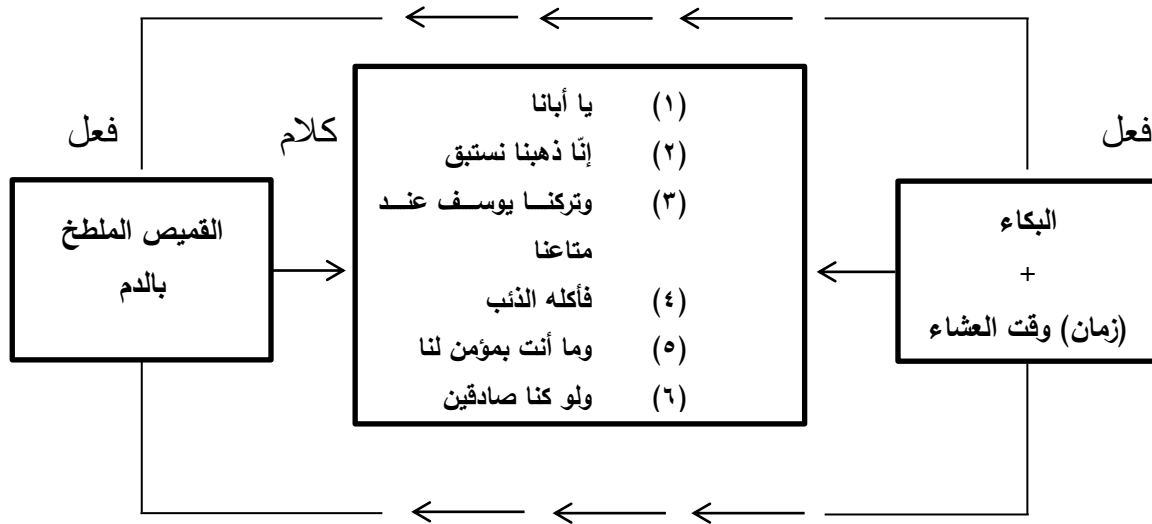
أستعان إخوة يوسف (عليه السلام) بالأدلة المادية المضللة إضافة إلى الحجج الكلامية لتضليل أبيهم وإقناعه ببراءتهم من مقتل يوسف (عليه السلام) ، فمهدوا لحججهم بمقدمة تأثيرية بوساطة فعل البكاء ، ليوحوا أنَّهم في حالة من التأثر النفسي ، وتلك الحالة تقود المتلقي إلى الامتثال للمطلوب والاقتناع ، وقد كان بكاؤهم مصطنعاً ، فقد كانوا يتباكون للتمويه وخداع يعقوب (عليه السلام) لئلا يشك بهم أنَّهم قتلوا أخاهم^(٢) ، وقد اختاروا الوقت المناسب لتمرير خداعهم وكذبهم ، وتضليل أبيهم ، فمجيئهم عشاء دلالة على أهمية التوقيت في إنجاح المؤامرة ، إذ إنَّ هذا الوقت ملائماً للحديث عن تلصص الذئاب وخروجها بما يجعل يعقوب (عليه السلام) يقبل حيثيات الادِّعاء ، أضف إلى ذلك إنَّ ملامحهم في هذا الوقت تجعل من التمثيل أمراً ممكن التَّمويه^(٣) ، وبعد هذه المقدمة التأثيرية بدأوا بسرد الحجج الكلامية واستهلوا الكلام بالنداء بقولهم : ﴿يَا أَبَانَا﴾ وكان الغرض من النداء التحبيب والتودد ، ليتناسب بذلك والمقدمة التأثيرية ، ثُمَّ جاءت الحجة التي تلت النداء مؤكدة بالأداة (إِنَّ) ، وتلتها حجة أخرى لإكمال الحكاية ، وقد ربطوا بين الحجتين بوساطة الرابط الحجاجي (الواو) لجعل الحجج تسير في نسق أفقي لتصل إلى النتيجة وهي أكل الذئب ليوسف (عليه السلام) ، ولم تنتهِ الحجج بعرض النتيجة ، بل استمروا بالكلام والتحايل ، فهم يعلمون أنَّ أباهم لن يصدق قولهم لذلك قالوا : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ قاصدين التعريض بأنَّهم صادقون فيما ادَّعوه ، وأنَّهم غير طامعين

(١) سورة يوسف : الآية ١٦ - ١٨ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٦/١٢ .

(٣) ينظر : في التذوق الجمالي لسورة يوسف ، مُحَمَّد علي أبو حمدة ، دار البشير ، عمان ، ط ١ ،

بتصديقه إياهم^(١) ، ثُمَّ قدموا الدليل الأقوى ، فأتوا بقميص يوسف (عليه السلام) ملطخاً بالدم ، وبذلك تقوى العملية الحجاجية وتبلغ ذروتها بعد هذا الفعل ، ويزداد التضليل والتّمويه ، ومما لا ريب فيه أنّهم عمدوا إلى كلّ السبل التي تمكنهم من تضليل أبيهم ، فأحكموا خطة المؤامرة وقاموا بكلّ الكيفيات التي تمكنهم من تمويه حال القميص بحال من افترسه الذئب من تخريق وتمزيق^(٢) ، ولم يتركوا طريقة من طرق التضليل المصطنعة إلاّ وقد استغلوا توظيفها ، وكلّ تلك الطرق قائمة على الكذب والافتراء والتحايل والخداع ، ويمكن التمثيل لهذه العملية الحجاجية بالآتي :



لقد شكلت الأفعال دعامة أساسية في حجاج أخوة يوسف (عليه السلام) ، وكلّها كانت طرقاً تضليلية مصطنعة ، وكانت بمثابة الأقنعة التي تتوارى خلفها الحقائق . وبهذا وظّفت الطريقتين اللغوية وغير اللغوية لأجل تضليل يعقوب (عليه السلام) وخداعه وتمير حيلهم عليه .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣٧/١٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٨/١٢ .

إنَّ محاولة إزعان العقول جعلت العملية الحجاجية تنزل من ((مستوى القول إلى مستوى الفعل ، فلم تعد الحجة مجموعة من الألاعيب اللفظية التي يستخدمها المغالط لتمير مغالطته ، إنما أصبحت مجموعة من الأفعال التي يمثلها المغالط حتى يرسخ في المتلقي ما هو أعظم من القناعة ، وهو الاعتقاد))^(١) ، إلا أنَّ هذا لا يعني إلغاء المستوى القولي ، بل يكون الفعل شفيحاً للقول ومسانداً له ، كي تقوى بذلك العملية الحجاجية ، ويصبح من السهل الإيقاع بالمتلقي ، فالحجاج في أساسه يقوم على ((دراسة لطبيعة العقول ، ثمَّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها ، والإصغاء إليها ثمَّ محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم ، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإنَّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير))^(٢) ، وقد مارس المضللون سفسطات متعددة تتناسب وطبيعة عقل المتلقي ، فاختاروا أنسب الطرق لمحاورة الناس واستمالتهم والتأثير فيهم ، ولا شك أنَّ تدعيم الحجج بالأفعال يزيد من القدرة على استمالة العقول ، ولم يغفل أهل الكتاب هذه الطريقة فساندوا كلامهم المضلل بفعل التحريف ، وقد حكى عزَّ وجلَّ نقلًا عنهم:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٣)

نظراً لتمتع أهل الكتاب بموروث سلطوي ديني ، فقد عمدوا إلى التلاعب بذلك الموروث ، وقاموا بكتابة الكتاب بأيديهم ، أيَّ كتبوا ما لم يأتيهم به رسلهم ، ووضعوا وابتكروا وحرفوا ، وقد كانوا متعمدين ذلك قاصديه^(٤) ، ويعدُّ القصد ركيزة أساسية في

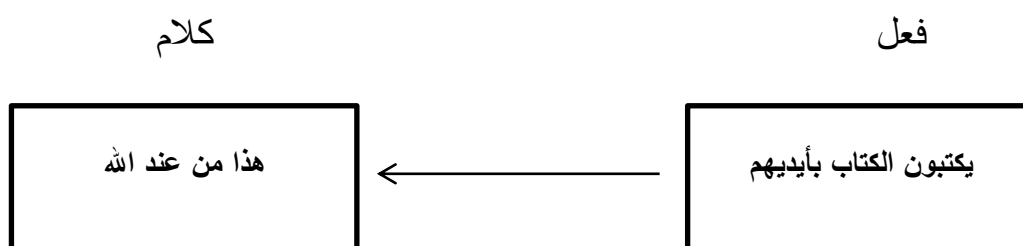
(١) استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي : ٧٨ .

(٢) مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة ، مُحَمَّد سالم الأمين ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، عدد ٣ ، مجلد ٢٨ ، ٢٠٠٠ : ٦٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٧٩ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١/٥٧٥ و ٥٧٧ .

الخطاب فهو يجسد معنى المرسل^(١) ، وتكمن مقاصد أهل الكتاب في فتنة المسلمين عن دينهم بالأساليب الملتوية الخادعة ، ولم يكتفوا بهذا الفعل ، بل اسندوا ذلك إلى الله عزّ وجلّ فقالوا : ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ، وقد شابهوا بذلك صنيع السامري ، فقد وردت الحجة الكلامية أسمية مثبتة ، لتحمل دلالة ثبات وترسيخ المعنى في ذهن المتلقي ، كما أنّها إيهام للمتلقي بوساطة منح ما هو من صنع أيدهم طابع القداسة بكونه من عند الله ، ويمكن التمثيل لهذه الطريقة بما يأتي:



إِنَّ التَّبَوُّعَ فِي طَرَقِ التَّضَلُّيلِ مَكَّنَ الْمُضَلَّلِينَ الْيَهُودَ مِنْ إِخْفَاءِ الْحَقَائِقِ وَاسْتِبْدَالِهَا بِالْبَاطِلِ وَأَوْهَمُوا الْمُتَلَقِّيَ أَنَّ مَا كَتَبُوهُ هُمْ ، هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُزِيدُوا فِي تَضَلُّيلِهِ وَالسَّيْرِ بِهِ نَحْوَ الضَّلَالَةِ .

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٧٨ .

المبحث الثاني

الأساليب المنطقية للتضليل

تقديم :

توسل المضللون بأساليب شتى لإظهار كلامهم بالهيئة المناسبة ، التي تجعله يقارب الكلام المنطقي المقبول ، وإبعاده عن هيئته المغالطة ، محاولين استمالة المتلقي على نحو يجعله يستجيب لمضمون الكلام ، لذلك تعددت وتتنوعت الأساليب حسب مقتضى الحاجة ، فالمضلل يضع الغاية ، وبعد ذلك يختار الطرق والأساليب والوسائل التي تحقق تلك الغاية ، فيعتمد إلى انتقاء أكثر الأساليب دقة في تحقيق غايته التضليلية^(١) . وبما إنَّ التضليل يتطلب توافر عدة أساليب ، فإنَّ ذلك لا يعني توظيفها منفردة ، بل قد تتداخل فيما بينها لتكسب النصَّ طاقة حجاجية عالية وتؤدي وظيفتها التضليلية بأفضل صورة ممكنة . ومن بين تلك الأساليب التي وظفها المضللون في كلامهم التضليلي ، أساليب منطقية يمكن عدها أساليب تضليلية و ((ركناً وأساساً في الأساليب الأخرى))^(٢) ومن أبرزها : الاستدراج ، والإعلام ، والتسويق ، وفيما يأتي تفصيل لهذه الأساليب :

(١) ينظر : تحليل الخطاب السياسي مقارنة لطلاب الدراسات المتقدمة والعليا ، إيزابيلا فيركلاو و نورمان

فيركلاو ، ترجمة : عبد الفتاح عمورة ، دار الفرقد ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٦ : ٥٧ .

(٢) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي : ٢٧٣ .

أولاً : الاستدراج :

الاستدراج في اللغة مشتق من دَرَجَ ، فنقول : ((دَرَجَ الرجل والضَبَّ يدرج دروجاً ودرجاناً ، أيّ مشى ، ودرج ، أيّ مضى لسبيله ... ودرّجه إلى كذا واستدرجه ، بمعنى ، أيّ أدناه منه على التدريج فتدرّج هو))^(١) ، ولم يخالف ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) هذا القول ، إلاّ أنّه أضاف معنى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، فقال : ((قال بعضهم : معناه سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ، وقيل : معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون ، وذلك أنّ الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأمنون به فلا يذكرون الموت ، فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا))^(٣) ، وبهذا يكون معنى الاستدراج هو الدنو المتدرج ، أو الأخذ الذي يكون على مراحل متدرجة من الله عزّ وجلّ إلى العبد العاصي . وقد أضاف الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) الخداع على معنى الاستدراج فقال : ((استدرجه : خدعه وأدناه))^(٤) ، وفي المعجم الوجيز ((استدرج فلاناً : خدعه حتّى حمّله على أن يدرج إلى أمر من الأمور))^(٥) ، ولما كان الاستدراج ينطوي على حيلة الخداع ، فهو بذلك من أنجع الأساليب التضليلية ، وعند البحث في التعريف الاصطلاحي للاستدراج سيتضح مدى قربه وارتباطه بالتضليل الكلامي ، إلّا أنّ ارتباط الاستدراج بالحجاج والتضليل لا نجده عند من حصر مفهوم الاستدراج بقوله تعالى في سورة الأعراف مثلاً عند العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) ، والشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) اللذين اقتصرّا في مفهوم

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٤ : ٣١٣/١ - ٣١٤ (درج) .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٢ .

(٣) لسان العرب : ٩٢/٣ (درج) .

(٤) القاموس المحيط : ٥٣٤ (درج) .

(٥) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، وزارة التربية والتعليم ، مصر ، (د. ط) ، ١٩٩٤ : ٢٢٤ (درج) .

الاستدراج على استدراج الله للعبد العاصي بالنعم المتدرجة قليلاً قليلاً^(١) ، أما عند من نظر إلى وجوه الاستدراج المتعددة فقد أوضح مدى أهمية وعلاقة الاستدراج بالعملية الحجاجية بصورة عامة ، والعملية التضليلية بصورة خاصة ، ويعدّ ابن الأثير (ت : ٦٣٧ هـ) أول من أشار إلى تلك العلاقة معرّفاً الاستدراج بقوله : ((هو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال ، والكلام فيه وإن تضمن بلاغة ، فليس الغرض هاهنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، وإذا حُقّق النظر فيه علم أنّ مدار البلاغة كلّها عليه ؛ لأنّه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة))^(٢) ، يقول ابن الأثير (ت : ٦٣٧ هـ) هذا يتضح بوضوح كون الاستدراج أسلوباً من أساليب التضليل ، فهو يقوم على المخادعات القولية ، والمغالطات الخطابية لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، وهذا ما يؤكد كونه أسلوباً حجاجياً يسعى المتكلم بوساطته إلى أقناع المتلقي ، ولم يكن ابن الأثير وحده من أشار إلى كون الاستدراج أسلوباً حجاجياً تضليلياً ، بل سار على نهجه في ذلك العلوي (ت : ٧٤٥ هـ) في كتابه (الطراز) قائلاً : ((استدراجه إلى كذا إذا نزلته درجة درجة حتّى تستدعيه إليك وينقاد لما قلته ... وهذا اللقب إنّما يطلق على بعض أساليب الكلام ، وهو ما يكون موضوعاً لتقريب المخاطب والتلطف به والاحتيال عليه بالإذعان إلى المقصود منه ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة ، كما يحتال على خصمه عند الجدل والمناظرة بأنواع الإلزامات ، والانتماء إليه بفنون الإفحامات ، ليكون مُسرّعاً إلى قبول المسألة والعمل عليها ، وكمن يتلطف في اقتناص الصيد فإنّه يعمل في الحباله كلّ حيلة ليكون ذلك سبيلاً إلى ما يقصده من الاصطياد ، فهكذا ما نحن فيه ، إذا أراد تحصيل مقصد من المقاصد فإنّه يحتال بإيراد ألطف القول وأحسنه ، فما هذا حاله

(١) ينظر : معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط٦ ، ١٤٣٣ هـ : ٧٣ . و معجم التعريفات : ٢٠ (الاستدراج) .

(٢) المثل السائر : ٢٥٠/٢ - ٢٥١ .

من الكلام يقال له الاستدراج ((^(١))، وبذلك فقد أجمع ابن الأثير والعلوي على أن الاستدراج وسيلة إقناعية ، تقوم على الخداع والاحتيال الكلامي ، غايتها إفحام المتلقي والتأثير فيه ، وهذا ما يصنعه المضلل ليقوع بالمتلقي وبذلك يكون الاستدراج من أبرز الأساليب التضليلية العامة ، والاستدراج يكون بكيفيات متعددة وأكثر ما يكون بوساطة الكلام الرقيق ، والمدح ، والاستلطاف ، وقد ذكر القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) طرق تحقيق الاستدراج ، وهي :

- (١) أن يظهر المتكلم نفسه بهيئة المتقبل لكلام الخصم .
- (٢) استمالة المخاطب بوساطة استلطافه ، وتزكيته ، ومدحه ، ومصادقته ودعوته خدعة ، وإحراجه ، حتى يصير كلام المضلل مقبولا ، وكلام المتلقي غير مقبول .^(٢)

ومن أمثلة الاستدراج في الخطابات التضليلية قوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾^(٣)

عُرف فرعون على مرّ العصور أنه طاغية الزمان ، وإنه لا يتوانى ولا يستشير ، ولا يمنعه شيء عن القتل وسفك الدماء ، فهو إله القوم وربهم ، إلا أننا نرى العكس في هذا النصّ فهو يتجه إلى القوم ليخاطبهم بالعطف واللين ، ليقرروا معه محاولاً استدراجهم ، وسنبين أولاً تدرج الحجج في السلم الحجاجي ، ثم نوضح كيف أدت الحجج وظيفتها التضليلية بوساطة الاستدراج :

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : ١٤٨/٢ .

(٢) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٥٦ .

(٣) سورة غافر : الآية ٢٦ .

ن مُضْمَرَة (تضليل الناس)	—
ن ظاهرة (الاستشارة والتعاون للقضاء على الخصم)	—
ح ٤ أو يظهر في الأرض الفساد	—
ح ٣ إني أخاف أن يبدل دينكم	—
ح ٢ وليدع ربه	—
ح ١ ذروني أقتل موسى	—

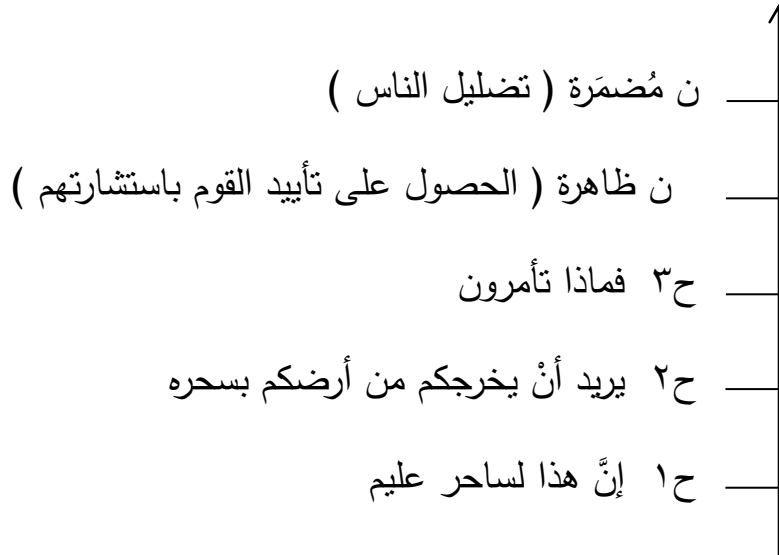
بدأ فرعون حجاجه بقوله : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ ليستدرج قومه خادعاً إياهم بإرادة مشورتهم ، وما قوله هذا إلا تمويهاً لهم وإيهاماً بأنهم هم الذين يكفونه عن قتل موسى (عليه السلام) ، ثم يستدرج قائلاً : ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ ليظهر لقومه تجلده واستهانته وعدم مبالاته بدعاء موسى (عليه السلام) وبرب موسى (عليه السلام)^(١) ، ثم يسوق بعد ذلك حجتين غاية في اللطف واللين فيخاطب القوم قائلاً : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ﴾ فتبدأ ((عملية الإثارة التي تخاطب مشاعرهم ، وتستثير غرائزهم ، وتحرك عصبيتهم))^(٢) معللاً إرادة قتل موسى (عليه السلام) بالخوف عليهم متجاهلاً نفسه ، فهو لم يفكر بما سيؤول إليه حاله ، بل هو قلق على مصير قومه ، الديني والدنيوي ، وفي هذا القول ما يكفي من اللطافة واللين لاستدراج القوم واستمالتهم والتأثير فيهم بوساطة الخداع الذي ينتج عنه التضليل .

(١) ينظر : روح المعاني : ٦٢/٢٤ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ٣٢/٢٠ .

ومن الاستدراج ما ورد على لسان فرعون كذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلُهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿^(١)

لا يختلف كلام فرعون في هذا المثال عن قوله في المثال السابق ، فهو يلتفت فيه إلى قومه مشركهم في اتخاذ القرار ؛ لأنه يعلم أن ذلك سيؤثر في نفوسهم ، فيدعوهم للمشاركة في القرار خدعة لاستدراجهم ، وفي هذا الإيحاء نوعاً من ((التنازل الذي يستهدف الوصول إلى تأييدهم بشكل يستوعب ذواتهم ، في ما يرفع منزلتهم عنده))^(٢) ، ويمكن أن نوضح هذا المثال سلمياً وكما يلي :



يستدرج فرعون قومه مستهل كلامه بتوكيد سحرية موسى (عليه السلام) قائلاً : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ فقد أكد حجته بأداة التأكيد (إِنَّ) ، ثُمَّ جاء بـ (اللام) ليزيد الكلام توكيداً ، وبذلك يرسخ المعنى في ذهن المتلقي ، وينفى أي شك يخالج قلبه ، ويثبت سحرية موسى (عليه السلام) في أذهان القوم ليظهر أمامهم بـ ((شخصية الساحر لا شخصية الرسول ، وبذلك يأخذ حجمه المحدود في نظرهم ،

(١) سورة الشعراء : الآية ٣٤ - ٣٥ .

(٢) تفسير من وحي القرآن : ١١٢/١٧ .

فلا يترك أي أثر إيجابي على مستوى القداسة الروحية من خلال الرسالة مما قد يؤثر سلباً على علاقة الناس بفرعون ^(١) ، ثم يستدرج القوم بكلام العطف واللين والإغراء ، ليجذبهم صوبه فيعرض حجة باطلة قائلاً : ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ ، وفي هذه الحجة يتجاهل فرعون نفسه ، ليكون هاجسه وقلقه على قومه لا على نفسه ، فينسب الإخراج ، والأرض إليهم ، وفي كلامه هذا ((غاية التنفير عنه (عليه السلام) وابتغاء الغوائل له إذ من أصعب الأشياء على النفوس مفارقة الوطن لا سيما إذا كان ذلك قسراً ، وهو السر في نسبة الإخراج ، والأرض إليهم)) ^(٢) ، ثم يبلغ الاستدراج ذروته حين يستفهم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ، فيحيل القرار إليهم ، وقد حملت لفظة (تأمرون) دلالة التواضع ، فقد ((تواضع لهم من أجل أن يسحبهم لجانبه)) ^(٣) ، ويحصل على غرضه من الكلام من حيث لا يشعر المتلقي ، فيستدرجه شيئاً فشيئاً ، وينصب له طعماً فيجره إلى التضليل بحيلة الاستدراج .

ثانياً : الإعلام :

الإعلام في اللغة : مشتق من الفعل أعلم الذي جذره الثلاثي (علم) ، ويقال علمت الشيء أعلمه علماً بمعنى عرفته واستعلمني الخبر فأعلمته إياه ^(٤) ، والإعلام كذلك في اللغة : التبليغ ، يقال : بلّغت القوم بلاغاً أي أوصلتهم إلى الشيء

(١) تفسير من وحي القرآن : ١١٢/١٧ .

(٢) روح المعاني : ٧٦/١٩ .

(٣) تأويل القرآن العظيم - أنوار التنزيل وحقائق التأويل ، محمد أمين شيخو ، تحقيق : عبد القادر يحيى الديراني ، دار نور البشير ، دمشق ، (د. ط) ، (د. ت) : ٣٣٥/٢ .

(٤) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ١٩٩٠/٥ (علم) . و لسان العرب : ٣١١/١٥ - ٣١٢ (علم) .

المطلوب^(١) ، ويمكن القول أنّ الإعلام هو معرفة الأخبار وبنثها وأشاعتها بين الناس .

أما الإعلام في الاصطلاح : فقد تعددت وتتنوع تعريفاته ، وكان من أبرزها تعريف الدكتور عبد اللطيف حمزة حيث عرّفه بقوله : ((الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم ، ويعني ذلك أنّ غاية الإعلام هي الإقناع عن طريق المعلومات))^(٢) ، ويعرفه الإعلامي أوتوجرت ب : ((التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في))^(٣) الوقت نفسه ، إلّا أنّ هذه التعريفات نظرت إلى الإعلام من زاوية ضيقة فقصرته على الإعلام النزيه ، الملتزم ، متجاهلة كون الإعلام أحياناً ((يبتعد ابتعاداً كثيراً عن أن يكون تعبيراً لعقلية الجماهير))^(٤) ، ويتوسع الدكتور إبراهيم إمام قليلاً فيعرف الإعلام بأنه : نشر أو نقل الأخبار والمعلومات والآراء على الجماهير بشكل شفوي أو باستخدام وسائل أخرى بغرض الإقناع أو التأثير على السلوك^(٥) ، وبذلك فقد تجاوز إبراهيم إمام كون الإعلام تعبيراً عن عقلية الجماهير وميولهم ، ولكن يبقى التعريف الأشمل والأوسع تعريف سمير جميل راضي حيث عرفه ب ((إيصال معلومة معينة إلى المتلقي لهدف معين بأسلوب يخدم ذلك الهدف ويتوقع منه أن يؤثر في المتلقي ويغير من ردود فعله))^(٦) ، وبذلك يصبح الإعلام مرتبطاً بالهدف

(١) ينظر : لسان العرب : ٣٠١/١٠ (بلغ) .

(٢) أصول الإعلام الإسلامي ، إبراهيم إمام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) : ١٤ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) الإعلام الإسلامي رسالة وهدف ، سمير جميل راضي ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، (د. ط) ،

١٤١٧ هـ : ٢٨ .

(٥) ينظر : المرجعية الإعلامية في الإسلام تأصيل وتشكيل ، طه أحمد الزيدي ، دار النفائس الأردن ، ط ١ ،

٢٠١٠ : ٤٣ .

(٦) الإعلام الإسلامي رسالة وهدف : ٢٩ .

والغاية التي يحاول المتكلم الوصول إليها ، وبما أنّ الهدف الأساسي للإعلام هو الإقناع ، والتأثير في أفكار الآخرين وآرائهم واتجاهاتهم وسلوكياتهم ، فهو بذلك أداة حجاجية فاعلة لا يمكن الاستغناء عنها ، والإعلام ليس بوليد الساعة ، إنّما يمتد جذوره إلى زمن بعيد ، فهو قديم بقدم الإنسان ، ومنذ بداياته الأولى ارتبط بالتضليل الكلامي برباط وثيق ، وذلك لأنّه ((طالما كان هناك نشاط إعلامي ؛ فإن عمليات التضليل في أساليب نقل الخبر وتداوله تصبح جزءاً من هذا النشاط بطبيعة الحال))^(١) ، وإنّ جوهر الإعلام ودعامته التي يركز عليها هي (الكلمة) منطوقة كانت أم مكتوبة أو ما يقوم مقامها من إشارات و رموز^(٢) ، وقد عدّ التضليل سمة من سمات الإعلام البارزة^(٣) ؛ لأنّه ((أسلوب إقناعي مسخر في الشر غالباً))^(٤) ، وقد شاع مفهوم التضليل الإعلامي وأجريت حوله دراسات عديدة وعرفه بعض الباحثين بأنّه ((عملية غرس بعض المفاهيم التي تؤدي بالخصم للاقتناع بأفكار معينة ، لا تعبر عن الحقيقة ، ولكن من مصلحة من يقوم بعملية التضليل أن يقتنع خصمه بها))^(٥) ، ومن أبرز مظاهر الإعلام التي وظفها المضللون التي أدّت أثراً بارزاً في إنجاح عملية التضليل : الشائعات ، والدعاية ، والتدليس ، والتعتيم ، والتشويش ، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى نقلاً عن المضللين :

- (١) الدعاية والتضليل الإعلامي في الأفلام الأمريكية (دراسة تحليلية) ، مجد نبيل عثمان ، رسالة ماجستير ، جامعة البترا ، كلية الإعلام ، الأردن ، ٢٠١٥ : ٤٤ .
- (٢) ينظر : الإعلام الإسلامي دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص ، محمد موسى البر ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، عدد ١٠ ، ٢٠٠٥ : ٢٩٣ .
- (٣) ينظر : الإعلام التضليلي دور الدعاية والإعلان الغربية في تشويه صورة الإسلام ، عبد الحليم حمود ، مركز الدراسات والترجمة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ٥ .
- (٤) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي : ٧٦ .
- (٥) الإعلام مقوماته ... ضوابطه ... أساليبه في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) ، آلاء أحمد هشام / مصباح عمار ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، كلية أصول الدين ، غزة ، ٢٠٠٩ : ١٦٧ .

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَكُفِّرُوا بِهِ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ وَكُفِّرُوا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(١)

الشائعات من الوسائل الإعلامية المهمة في عملية التضليل ، وذلك بسبب تأثيرها على سلوك الفرد والجماعة ، وسرعة انتشارها بين أفراد المجتمع ، فما أن ((تصل الإشاعة إلى بعض أفراد المجتمع المستهدف حتى يقومون بروايتها وترويجها إلى كل من يعرفون ، بل لا يقتصر الأمر عند حد الرواية أو النقل فقط ؛ بل يتعدى الأمر إلى أنّ الشخص الذي ينقل الإشاعة غالباً ما يضيف عليها ويبالغ فيها ، وربما اختلق أجزاء كثيرة من تفاصيلها ؛ مما يجعل الفائدة من الإشاعة أعظم وأقوى من أية وسيلة إعلامية بالنسبة لوجه الإشاعة ؛ لأنّ الجمهور المستهدف قد حمل عبء نقل الإشاعة إلى كل فرد من أفراد المجتمع ، مما ساعد على سرعة نقلها وكذلك ساعد على زيادة فعاليتها وتأثيرها))^(٢) ، وبهذا الأسلوب احتال المنافقون في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لإقناع الناس وتضليلهم واستمالتهم والتأثير فيهم بالكذب والإغراء والإيحاء ، فعمدوا إلى إشاعة الأمن أو إشاعة الخوف ليحدثوا خلل وزعزعة في صفوف المسلمين ، فكانوا يذيعون الأخبار المتعلقة بسرايا المسلمين حين الظفر حتى يؤخذ المؤمنون وهم غارّون ، ويذيعون أخبار الخوف قصد التجبين والتخلف عن الغزو مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفي كلا الحالين إضعاف لعزيمة المؤمنين وجعلهم حائرين ، وإعاقتهم عن الاستعداد ، وقتل الهمة والعزيمة^(٣) ، وإيقاعهم في شباك التضليل بوساطة هذه الإذاعة ، وبذلك فإنّ الإشاعة عملية حجاجية خبيثة تعمل على الإقناع ، ولبلة الرأي

(١) سورة النساء : الآية ٨٣ .

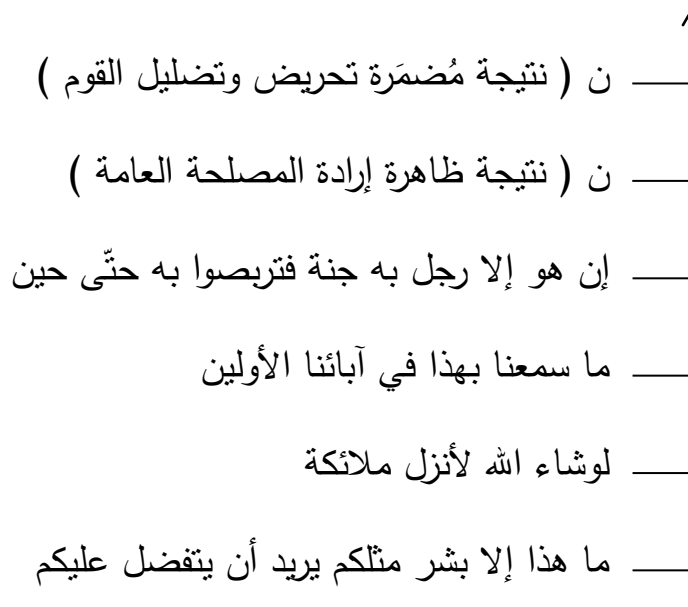
(٢) الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي : ٣ .

(٣) ينظر : التّحرير والتّوير : ١٣٩/١٥ - ١٤٠ .

العام بالاحتتيال الخفي . ومن الخطابات الإعلامية التي انطلقت من معطيات مضللة للتلاعب بالرأي العام قول قوم النبي نوح (عليه السلام) :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَكُوشَاءُ اللَّهِ لَأَنْزِلَ مَلَأَكُم مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَقْتَرٌ بِصَوَابِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾^(١)

لقد كان كبار القوم ومن يملكون زمام السلطة ، يسعون إلى انتقاء الخطابات التحريضية ؛ ليسيطروا على عقلية القوم ، وهذا ما يماثل الخطابات والمناظرات السياسية ، والدعايات الإعلامية ، والمنافسة بين الأحزاب ، والمؤتمرات الصحفية في وقتنا الراهن ، التي تهدف إلى استيعاب مشاعر الجماهير ، وقد كان خطاب قوم نوح (عليه السلام) هذا مماثلاً للمؤتمرات الصحفية التحريضية ، التي تهدف إلى تضليل الرأي العام وخداعه ، وقد قام خطابهم على مجموعة من الحجج المغالطة ، والافتراءات الباطلة ، التي تضرر مقصدية إغراء وتحريض القوم على النبي نوح (عليه السلام) وصرفهم عنه وإيذائه واسكاته^(٢) ، ويمكن التمثيل لهذه الحجج بالمخطط السلمي الآتي :



(١) سورة المؤمنون : الآية ٢٤ - ٢٥ .

(٢) ينظر : الميزان : ٢٨/١٥ .

كل حجة من الحجج السابقة بنيت على مغالطة ، فالحجة الأولى : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ قد بنيت على كون نوح بشراً ، والنبى لا يكون
بشراً حسب دعواهم ، وبذلك لم يكن نوح نبياً ، أما الحجة الثانية : ﴿ وَكَوْشَاءَ اللَّهُ أَنْزَلَ
مَلَائِكَةً ﴾ فالنبى لا بد أن يكون ملكاً ، على اعتبار قرب الملائكة إلى الله عزَّ
وجلَّ ، وبذلك فهم أقرب إلى النبوة ، ولا يصح استبدالهم بالبشر ليكونوا أنبياء^(١) ، أما
الحجة الثالثة : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ فهي حجة رمزية تقوم على رمز
(الآباء) ، وما هي إلا ((مجادلة سفسطائية إذ قد يكون انتفاء العلم عن تقصير
في اكتساب المعلومات ، وقد يكون لعدم وجود سبب يقتضى حدوث مثله بأن كان
الناس على حق فلم يكن داع إلى مخاطبتهم بمثل ذلك))^(٢) ، ثم تبدأ محاولات
الطعن والتشويه والتجريح ، باتهام النبى نوح (عليه السلام) بالجنون بقولهم : ﴿ إِنَّهُ
إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ قَسَرَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ ليوهموا القوم أن به ((جنوناً خفيفاً لا تبدو آثاره
واضحة))^(٣) ، وبعد إلقاء هذه الحجج المختلفة يتم تضليل الرأي العام ، وتصرف
بوساطتها وجوه القوم ويتم إغرائهم وتضليلهم^(٤) ، ومن مظاهر الأساليب الإعلامية
اللبس وكتمان الحق وذلك كما ورد في قوله تعالى حكاية عن اليهود :

﴿ وَكَانَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَانُوا الْحَقَّ وَاسْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥)

ذكرنا في الفصل الأول أن اللبس من أنواع التضليل الإعلامي ، أما الكتمان
فهو من أنواع التعقيم الإعلامي ، وكلاهما يهدف إلى استغلال سلطة الكلمة لخداع

(١) ينظر : تفسير من وحي القرآن : ١٤٧/١٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ٤٣/١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٤/١٨ .

(٤) ينظر : الميزان : ٢٩/١٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٤٢ .

المتلقي ، وبما إن الحجاج ((نشاط لغوي يصحبه نشاط فكري))^(١) فإنَّ الحجاج بالتلبس والكتمان ينتج عنه أثر فكري ، وهذا الأثر الفكري جعل من اللبس مبدأ للتضليل^(٢) .

ثالثاً : التسويف :

يظهر من المعجمات اللغوية العربية إن استعمال لفظ التسويف يدل على التأجيل ، والتأخير ، والمماطلة ، قال الراغب : التسويف مشتق من سوف ومعناه المماطلة والتأخير ، وهو قول الواعد : سوف أفعل كذا^(٣) ، وقال سيبويه (ت : ١٨٠ هـ) : ((سوف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد ألا ترى أنك تقول سوفته إذا قلت له مرة بعد مرة : سوف أفعل))^(٤) .

أما التسويف اصطلاحاً فلا يخرج عن الإطار اللغوي ، فهو لا يعدو عن كونه تأجيلاً وتأخيراً ومماطلة في تنفيذ المطلوب ، وقد عرف بأنه ((التأجيل المتعمد لبعض الأعمال الهامة وواجب القيام بها بحيث يصبح ذلك التأجيل عادة))^(٥) ، وقد عرفه بعضهم بأنه ((فن مواكبة الأمس والعيش فيه))^(٦) ، وقد كان المضللون على مر العصور يلجأون إلى التسويف دون مبرر أو مقتضى ، وذلك من خلال الطلبات المتكررة بزيادة الآيات ، والوعود الكاذبة بالإيمان ، فيكون كلامهم

(١) الحجاج ، كريستيان بلانتان ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، دار سيناترا ، تونس ، (د. ط) ، ٢٠١٠ : ٣٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٤٧١/١ .

(٣) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٤٣٦ (سوف) .

(٤) لسان العرب : ٦٥/١١ (سوف) .

(٥) دع التسويف وابدأ العمل ، د. جيمس آر. شيرمان ، ترجمة : مُحَمَّد طه علي ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ : ١١ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة .

((تسويفاً واستخدماً لعنصر الزمن والوقت))^(١) ، بهدف التلاعب على الآخرين ، واستدراجهم وتضليلهم ، فالتسويف عند المضللين ميل عقلائي مقصود لاكتساب الوقت والمماثلة ، لأحداث أثر الإقناع والتضليل . ومن أمثلة ما سوف به المضللون ليضلوا به قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢)

كان المضللون في كل مرة يختلقون المعاذير ، ويضعون الشروط لإيمانهم ، ولم يكن غرضهم الوصول إلى الحقّ أبداً ، بل كان الهدف الأساس اكتساب الوقت والزمن ، وهومن باب المكابرة والعناد ، ودليلاً على فساد حالهم إذ إنهم لا يعدون ما شاهدوه من الرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) من المعجزات القاهرة ؛ لذلك هم يقترحون غيرها من الآيات ، لا لأجل الإيمان كما صرحوا ، بل لغرض التحكم في الرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم) ، والمماثلة أو التسويف^(٣) ، وقد استهلوا كلامهم بالقسم ، و قد ((بالغوا في القسم وأكدوه ما استطاعوا))^(٤) كعادتهم ؛ وذلك لأنّ حجاجهم المغالط بحاجة إلى التدعيم ، لأنّه مبني أساساً على حجج واهية ، وخادعة لذلك فهو بحاجة إلى طاقة إقناعية ، وهذا ما يمنحه القسم للكلام ، ثمّ تلي القسم الحجة الشرطية ﴿ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ ﴾ فهم يشترطون حصول الإيمان بمجيء الآية ، وفي هذا الموضع لم تحدد آية معينة ، فقد وردت لفظة (آية) بصيغة النكرة ليشمل طلبهم آية آية خارقة للعادة تدل على صدق الرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلم)^(٥) ، والنتيجة الظاهرة لطلبهم هي الإيمان ، إلّا أنّ ما يضمرونه من نتيجة مقصودة هو المماثلة والتسويف ، ليوحوا ((للبسطاء من الناس ، بأنهم ممن يبحثون عن

(١) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي : ٨٦ .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٠٩ .

(٣) ينظر : روح المعاني : ٢٥٣/٧ .

(٤) الميزان : ٣٢٩/٧ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٥/٧ .

الحقيقة من خلال البحث عن الدليل ، ولذلك فإنهم يقدمون الاقتراحات التي تطلب من الرسول أن يأتيهم بآية ليؤمنوا بها ، تماماً كأبي إنسان خالص النية ، مفتوح العقل ، فليس بينه وبين الإيمان إلا أن يرى الآية ليؤمن ((^(١)) ، إلا أن الواقع والحقيقة عكس ذلك تماماً ، فقد أقسموا فيما مضى على الهداية ، شريطة أن يُبعث إليهم نذيراً ، وذلك فيما حكاه الله عز وجل عنهم في قوله : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا نُرَادُهُمْ إِلَّا قَوْمًا﴾^(٢) ، فهم يطلبون ويشترطون لغرض التسويف الزمني الذي يخدع بوساطته عقول البسطاء من الناس وتحدث العملية التضليلية ، وحين يفند الله عز وجل حجتهم ، يلجئون إلى حيل أخرى وطلبات تعجيزية بهدف المماطلة أو التسويف ، ويتجلى لنا ذلك في الآيات الكريمة الآتية :

(١) ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)

(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ كَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾^(٤)

(٣) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٥)

(١) تفسير من وحي القرآن : ٢٧٤/٩ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٤٢ .

(٣) سورة يونس : الآية ١٥ .

(٤) سورة القصص : الآية ٤٨ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

إنَّ تعدد المطالب وتنوعها دليل واضح على التسويف والتأجيل المستمر، فالرافضون للدعوة المحمدية لا يسعون للوصول إلى الإيمان ، بل إنَّ جل مساعيهم ألاَّ يؤمن أحد ، فيحاولون جهدهم خداع الناس وتضليلهم ، وما قائمة المطالب التي يقدمونها شيئاً تلو الآخر إلاَّ لتحقيق أهدافهم التضليلية ، فهم لا يطلبون الآيات والمعجزات والدلائل لغاية التصديق والتثبت من صحة الرسالة ، بل ((القضية عندهم أن يسجلوا موقفاً عابثاً))^(١) ، يعكس أثره على ذهن المتلقي ، فحين يخيب مسعاهم فيما عرضوه من حجج ، تستجد مطالب أخرى ، والعملية مستمرة دون توقف ، وفي الآيات السابقة مجموعة من الحجج هدفها المماثلة أو التسويف ، وتشويه صورة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ورسالته ، وهي :

- ائتِ بقرآن غير هذا

- لولا أوتي مثل ما أوتي موسى

- لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية

لم يكن قصد المشركين في الحجج السابقة الرشاد ومعرفة الحق ، وإنَّما قصدهم دفع الاعتراض عليهم ، ورد ما جاء به الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، والاحتيال والتلاعب على الناس ، وهذا هو منطق التسويف أو المماثلة الذي اعتادوا عليه للهرب من التفكير المنطقي الذي يوصل إلى الحق ، إلى طريق الضلالة والتضليل .

(١) تفسير من وحي القرآن : ٢٨٣/١١ .

الخاتمة

الخاتمة

بعد منة الله على عبده بالبحث بين معاني آياته المباركة ، أستعرض أهم النتائج التي تم التوصل إليها ويمكن ايجازها في النقاط الآتية :

(١) نشأ الحجاج بنشأة السفسطائيين الذين كانت جلّ خطاباتهم في الخداع والتضليل ، وبذلك فإن بداية الحجاج كانت تضليلية . وإنّ مفهوم التضليل يتداخل كثيراً مع مفردات هي آليات له كالمغالطة ، والتمويه ، والخداع ، والتلاعب ، وغيرها ، ثمّ حورب من قبل الثالث الفيلسفي (سقراط ، أفلاطون ، أرسطو) ، إلا أنّ دراساتهم كانت عاملاً أساسياً في تطور التضليل والكشف عن حيله ، وطرقه ، وأساليبه ، وكيفية التحرز منها .

(٢) كان للتراث العربي ملامح مهمة في تناول التضليل في الدراسات الفلسفية ، والبلاغية وذلك بفعل آثار الترجمة .

(٣) إنّ الحجاج مفهوم قائم على الإقناع ، قد يكون بعرض الحقائق بأدلتها العلمية والعقلية الخالية من الخداع والكذب فيكون حجاجاً سليماً ، وقد يلجأ إلى المغالطات ، ويتم فيه تشويه الحقائق سواء كلها أو في جزء منها، واعتماد الكذب بكل الطرق المتاحة فيكون الحجاج تضليلياً .

(٤) شكل التنازع ملمحاً رئيساً في التضليل ، بكونه طوراً من الأطوار التي يمر بها الحوار الحجاجي ، وما يميز التنازع في الخطاب التضليلي كونه لا يصل إلى طور ختامي ، ويتوسل بالمغالطات والمخادعات .

(٥) تنوعت الأطراف المضللة في القرآن الكريم على مر العصور التاريخية ، ووظفت سفسطات متنوعة ، كان بعضها متشابهاً ،

والبعض الآخر مستجداً حسب طبيعة المجتمع والظروف والآليات المتاحة .

(٦) وظف المضللون آليات مختلفة تهدف إلى إثبات المعنى وتقويته وترسيخه في ذهن المتلقي .

(٧) إنّ الأساليب البلاغية ليست مجرد زخرفاً لفظياً ، بل أثبتت أنّ الحجاج من وظائفها الرئيسة . وإنّ المضللين قد استعانوا بها لتكون وسيلة لإخفاء كذبهم وإيهام المتلقي .

(٨) تضطلع الأساليب البلاغية بدور حجاجي تضليلي خاصة وإنّها تعتبر مقدمات كبرى تقوي حجاجية القول التضليلي بما تحيل إليه في نهاية الأمر من معنى المعنى والذي بدوره يحيل المخاطب إلى التصديق بمدلول الخطاب .

(٩) اعتمد الخطاب التضليلي على الأساليب اللغوية بالدرجة الأولى دون الاعتماد إلا قليلاً على الأساليب البلاغية .

(١٠) عوّّل المضللون في خطابهم التضليلي كثيراً على الاستفهام ودلالاته المتنوعة ، مثلما اتكّلوا كثيراً على تأكيد الكلام بوسائل التوكيد المختلفة .

(١١) إنّ آلية تعدد الحجج هي الوسيلة الأساسية في بناء الخطاب الحجاجي التضليلي ، أما الآليات البلاغية واللغوية فهي مجرد وسائل للتدعيم .

(١٢) نوع المضللون في طرق عرض الحجج بصورة تجعل من معطيات الحجة أقرب إلى الواقع بما لا يدع مجالاً للمتلقي سوى التصديق والتسليم بها .

(١٣) التنويع بالحجج شكل غطاءً للحجج الضعيفة ؛ وذلك لأنَّ النتائج المتوخاة من الخطاب تعتمد بالأساس على التنويع في طرق عرض الحجج .

(١٤) إنّ الحجج التضليلية كانت حججاً واهية ، لا تستند إلى منطق ، ولا عقل لذلك غلفت بأغلفة متعددة كي تكون مقنعة بطريقة ما ، فتنوعت طرقها ما بين الطريقة اللغوية ، وطريقة الأفعال ، ووظفت أساليب متعددة لإظهار الكلام بالهيئة المناسبة .



المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً: الكتب المطبوعة

- ❖ أبحاث في فلسفة المنطق ، د. حمو النقاري ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط ١ ، ٢٠١٣ .
- ❖ أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي ، طه عبد الله مُحَمَّد السبعائي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية ، عبد العزيز أبو سريع يس حسنين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٩ .
- ❖ أسباب نزول القرآن ، علي بن أحمد الواحدي (ت : ٤٦٨) ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ .
- ❖ إستراتيجيات الحجاج في المناظرة السيّاسية - مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند - ، أنور الجمعاوي ، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر ، (د. ط) ، ٢٠١٣ .
- ❖ استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
- ❖ أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١) ، تحقيق : مُحَمَّد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٨ .
- ❖ أصول الإعلام الإسلامي ، إبراهيم إمام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش (ت : ١٤٠٢) ، دار اليمامة ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٩٩ .
- ❖ الإعلام الإسلامي رسالة وهدف ، سمير جميل راضي ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، (د. ط) ، ١٤١٧ هـ .

- ❖ الإعلام التضييلي دور الدعاية والإعلان الغربية في تشويه صورة الإسلام ، عبد الحليم حمود، مركز الدراسات والترجمة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ البرهان في علوم القرآن ، الإمام بدر الدين مُحمّد بن عبد الله الزركشي (ت : ٧٤٥ هـ) ، تحقيق: أبو الفضل الدميّاطي ، دار الحديث ، القاهرة ، (د. ط) ، ٢٠٠٦ .
- ❖ البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق : حفيّ مُحمّد شرف ، مطبعة الرسالة ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني ، قدور عمران ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢ .
- ❖ بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، بيروت، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- ❖ البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، إريد ، ط ٤ ، ١٩٩٧ .
- ❖ البيان في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د. ط) ، ١٩٩٨ .
- ❖ تاريخ نظريات الحجاج ، فيليب بروتون و جيل جوتييه ، ترجمة : مُحمّد صالح ناحي الغامدي ، مركز النشر العالمي ، السعودية ، ط ١ ، ٢٠١١ .
- ❖ تأويل القرآن العظيم - أنوار التّنزيل وحقائق التّأويل ، مُحمّد أمين شيخو ، تحقيق : عبد القادر يحيى الديراني ، دار نور البشير ، دمشق ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ التّحرير والتّأويل ، مُحمّد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د. ط) ، ١٨٨٤ .
- ❖ تحليل الخطاب السياسي مقارنة لطلاب الدراسات المتقدمة والعليا ، إيزابيلا فيركلاو و نورمان فيركلاو ، ترجمة : عبد الفتاح عمورة ، دار الفرقد ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٦ .

- ❖ تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة - دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم ، محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٣ .
- ❖ التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشية ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
- ❖ التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي (الحركة السفسطائية نموذجاً) ، د. كلود يونان ، منتدى سور الأزيكية ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ تفسير من وحي القرآن ، السيد مُحَمَّد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٨ .
- ❖ تلخيص السفسطة ، أبو الوليد ابن رشد ، تحقيق : مُحَمَّد سليم سالم ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، (د. ط) ، ١٩٧٢ .
- ❖ التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٣٢ .
- ❖ تلخيص منطق ارسطو ، ابن رشد ، تحقيق : جبرار جهامي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ .
- ❖ التنبيهات على ما في التبيان من التموهيات ، أحمد بن عميرة ، تحقيق : أحمد ابن شريفة ، دار النجاح ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩١ .
- ❖ تهذيب اللغة ، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري (ت : ٢٨٢ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، (د. ط) ، ١٩٦٤ .
- ❖ الحجاج ، كريستيان بلانتان ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، دار سيناترا ، تونس ، (د. ط) ، ٢٠١٠ .
- ❖ الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، زكريا السرتي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٤ .
- ❖ الحجاج في الخطابة النبوية ، د. عبد الجليل العشراوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢ .

- ❖ الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ٢ ، ٢٠١١ .
- ❖ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ .
- ❖ الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) ، د. علي الشبعان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ الحجاج والمغالطة ، من الحوار في العقل إلى الحوار في الحوار ، رشيد الراضي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الصنائع ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، أمينة الدهري ، المدراس ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ٢٠١١ .
- ❖ الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة ، د. باسم خيري خضير ، دار نيبور ، ط ١ ، ٢٠١٦ .
- ❖ حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام) ، د. كمال الزماني ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط ١ ، ٢٠١٦ .
- ❖ حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام) ، د. كمال الزماني ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط ١ ، ٢٠١٢ .
- ❖ الحوار في القرآن ، قواعده - أساليبه - معانيه ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٩٦ .
- ❖ خطاب السلطة في القرآن ، رياض العمري ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد ، (د. ط) ، ٢٠١٤ .
- ❖ دراسات منهجية في علم البديع ، د. الشحات محمد أبو ستيت ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
- ❖ دع التسوية وابدأ العمل ، د. جيمس آر. شيرمان ، ترجمة : محمد طه علي ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، الدكتور عبد المحسن بن زين المطيري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ .

- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، مُحمّد الألوسي البغدادي (ت : ١٢٧ هـ) ، عناية وتصحيح : ادارة الطباعة المنيرية ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٤ .
- ❖ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط ٤ ، ١٩٩٣ .
- ❖ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت : ٧٤٩ هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
- ❖ طرق التضليل السياسي ، كلود يونان ، مجد المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ .
- ❖ عقود المرجان في تفسير القرآن ، السيد نعمة الله الجزائري ، إحياء الكتب الإسلامية ، قم المقدسة ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠١٥ .
- ❖ علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، مُحمّد احمد قاسم و محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، ط ١ ، ٢٠٠٣ .
- ❖ عندما نتواصل نغير ، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، . عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د. ط) ، ٢٠٠٦ .
- ❖ العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، عزّ الدين النّاجح ، مكتبة علاء الدّين ، صفاقس ، ط ١ ، ٢٠١١ .
- ❖ في التذوق الجمالي لسورة يوسف ، مُحمّد علي أبو حمدة ، دار البشير ، عمان ، ط ١ ، ١٩٨٥ .

- ❖ في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٦ .
- ❖ في بلاغة الخطاب الأدبي ، بحث في سياسة القول ، عبد الله البهلول ، منتديات سور الأزيكية ، ط ١ ، ٢٠٠٧ .
- ❖ في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، مُحَمّد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ .
- ❖ في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر ، د. عبد الرحمن بودرع ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
- ❖ في حجاج النصّ الشعري ، مُحَمّد عبد الباسط عيد ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د. ط) ، ٢٠١٣ .
- ❖ في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، عبد الله صولة ، سور الأزيكية ، تونس ، ط ١ ، ٢٠١١ .
- ❖ القاموس المحيط ، مجد الدين مُحَمّد الفيروزآبادي (ت : ٨١٧ هـ) ، تحقيق : أنس مُحَمّد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، (د. ط) ، ٢٠٠٨ .
- ❖ القرآن وعلم النفس ، د. مُحَمّد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٧ ، ٢٠٠١ .
- ❖ القصص القرآنية - دراسة ومعطيات وأهداف ، آية الله جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ .
- ❖ الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت : ١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٨ .
- ❖ كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر ، أبو هلال بن عبد الله بن سهل العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : علي مُحَمّد البجاوي و مُحَمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٥٢ .
- ❖ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) ، عناية وتعليق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٩ .

- ❖ لسان العرب ، ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) ، أشرف دار النوادر الكويتية ، (د. ط) ، ٢٠١٠ .
- ❖ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٩٨ .
- ❖ اللغة بين الدلالة والتضليل ، دراسة نقدية على هامش (معنى المعنى) ، د. كيان أحمد حازم يحيى ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الصنائع ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
- ❖ اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، منتديات سور الازبكية ، ط ١ ، ٢٠٠٦ .
- ❖ اللغة والخطاب ، عمر اركان ، دار رؤية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
- ❖ اللغة والمنطق بحث في المفارقات ، د. حسان الباهي ، دار الأمان ، الرباط ، ط ١ ، ٢٠٠٠ .
- ❖ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير (ت : ٦٣٧ هـ) ، تقديم وتعليق : د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانه ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، (د. ت) .
- ❖ المرجعية الإعلامية في الإسلام تأصيل وتشكيل ، طه أحمد الزيدي ، دار النفائس الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ معجم التعريفات ، الشريف الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط ٦ ، ١٤٣٣ هـ .
- ❖ المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، د. أحمد مختار عمر - بمساعدة فريق عمل ، مؤسسة سطور المعرفة ، السعودية ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
- ❖ المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، وزارة التربية والتعليم - مصر ، (د. ط) ١٩٩٤ .
- ❖ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ .

- ❖ معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو - دومنيك منغزو ، ترجمة : عبد القادر المهيري - حمّادي صمّود ، دار سيناترا ، تونس ، (د.ط) ، ٢٠٠٨ .
- ❖ معنى المعنى - دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية ، أوغدن ورتشاردز ، ترجمة : د. كيان أحمد حازم ، دار الكتاب المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
- ❖ المغالطات المنطقية ، عادل مصطفى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ .
- ❖ المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام ، أحمد دعدوش ، منشورات السبيل - دار ناشري للنشر الإلكتروني ، ط ١ ، ٢٠١٤ .
- ❖ مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم ، ط ٣ ، (د.ت) .
- ❖ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت : ٤٢٥ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط ٤ ، ٢٠٠٩ .
- ❖ من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د.ط) ، ٢٠١٤ .
- ❖ منطق أرسطو ، عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ .
- ❖ المنطق عند الفارابي ، أبو نصر الفارابي ، تحقيق : د. رفيق العجم ، دار المشرق ، بيروت ، (د.ط) ، ١٩٨٦ .
- ❖ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) ، تحقيق : مُحمّد حبيب ابن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ .
- ❖ الميزان في تفسير القرآن ، السيد مُحمّد حسين الطباطبائي ، أشرف الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ .
- ❖ نحو اللغة العربية ، مُحمّد أسعد النادري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧ .
- ❖ نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية - من أرسطو إلى لايفوف ومارك جونسون ، د. عبد العزيز لحويدي ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
- ❖ نظريات الحجاج ، جميل حمداوي ، شبكة الألوكة ، (د.ط) ، (د.ت) .

ثالثاً : الرسائل والأطاريح الجامعية

- ❖ أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة " الفرقان " ، بن عيسى عبد القادر بطاهر ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، الأردن ، ١٩٩٠ .
- ❖ أساليب السخرية في البلاغة ، شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، السعودية ، ١٤١٤ هـ .
- ❖ استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي ، فطمة يحيى ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - ، كلية الآداب ، الجزائر ، (د. ت) .
- ❖ الإعلام مقوماته ... ضوابطه ... أساليبه في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) ، آلاء أحمد هشام / مصباح عمار ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، كلية أصول الدين ، غزة ، ٢٠٠٩ .
- ❖ الإقناع في القرآن الكريم دراسة في النمط والاسلوب ، محمد جاسم حنون ، رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار ، كلية الآداب ، العراق ، ٢٠١٤ .
- ❖ آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء نموذجاً) دراسة حجاجية ، هشام بلخير ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٢/٢٠١١ .
- ❖ بلاغة الخطابة وآلياتها التداولية - الخطابة القضائية أنموذجاً - ، عائشة قدوري ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، كلية الآداب واللغات والفنون ، الجزائر ، ٢٠١٣/٢٠١٢ .
- ❖ البنية الحجاجية في ديوان " لا تعتذر عما فعلت " لمحمود درويش - تناول تداولي ، حمداني نسيم ، رسالة ماجستير جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة - ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٤/٢٠١٥ .
- ❖ البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) ، امحمد عرابي ، رسالة ماجستير ، جامعة السانية وهران ، كلية الآداب واللغات والفنون ، الجزائر ، ٢٠٠٩/٢٠٠٨ .

- ❖ البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي ، شيخ امال ، رسالة ماجستير ، جامعة المسيلة ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، الجزائر ، ٢٠١٠/٢٠٠٩ .
- ❖ بنية الخطاب الحجاجي في كلية ودمنة لابن المقفع ، حمدي منصور جودي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مُحمّد خضير - بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٦/٢٠١٥ .
- ❖ بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي ، خديجة محفوظي ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠٠٧/٢٠٠٦ .
- ❖ تجليات الحجاج في الخطاب النبويّ ، دراسة في وسائل الإقناع الأربعون النووية . أنموذجاً ، هشام فرّوم ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠٠٨ . ٢٠٠٩ .
- ❖ الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا) - دراسة لغوية دلالية - ، يوسف عمر لعساكر ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ .
- ❖ الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي . دراسة تقابلية مقارنة، نور الدين بوزناشة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مُحمّد لمين دباغين ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٦/٢٠١٥ .
- ❖ الحجاج في أدب الجاحظ كتاب " البخلاء " أنموذجا ، فتيحة لعلاوي ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٢/٢٠١١ .
- ❖ الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، حسين بوبلوطة ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة - ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠١٠ .
- ❖ الحجاج في النص القرآني " سورة الأنبياء أنموذجا " ، إيمان درنوني ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة - ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٣/٢٠١٢ .

- ❖ الحجاج في خطابات النبي إبراهيم ، سعدية لكلل ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، (د. ت) .
- ❖ الحجاج في شعر النقائص - دراسة تداولية ، مكلي شامة ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، كلية الآداب ، الجزائر ، ٢٠٠٨/٢٠٠٩ .
- ❖ الحجاج في كتاب " المثل السائر " لابن الأثير ، نعيمة يعمرانن ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٢ .
- ❖ الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) ، د. عايد جدّوع حنّون ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، العراق ، ٢٠١٣ .
- ❖ الحجاج في مناظرة الحيدة والحذر ، ليتيمي مراد ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - ، كلية اللغات والآداب ، الجزائر ، ٢٠١٢ .
- ❖ الحجاج في نهج البلاغة الرسائل إختيارا ، رائد مجيد الزيدي ، إطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، العراق ، ٢٠١٣ .
- ❖ حجاج موسى (عليه السلام) في النص القرآني - دراسة تداولية - ، كهينة زموش ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري ، كلية الآداب ، الجزائر ، (د. ت) .
- ❖ الخصومة في القرآن الكريم . دراسة في دلالة البنية التركيبية ، مصطفى حامد يعقوب ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة . كلية التربية ، ٢٠١٢ .
- ❖ الخطاب الحجاجي عند الإمام مُحمّد الغزالي ، مالك عوادي ، رسالة ماجستير ، جامعة مُحمّد خضير بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥/٢٠١٦ .
- ❖ الدعاية والتضليل الإعلامي في الأفلام الأمريكية (دراسة تحليلية) ، مجد نبيل عثمان ، رسالة ماجستير ، جامعة البترا ، كلية الإعلام ، الأردن ، ٢٠١٥ .
- ❖ السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، جملات محمود نايف الجرايدة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية ، كلية التربية ، غزة ، ٢٠١٠ .

❖ لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل دراسة أسلوبية دلالية ، لافي مُحَمَّد محمود زقوت ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠١٠ .

❖ النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين ، إيمان طبشي ، رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١١/٢٠١٠ .

رابعاً : البحوث المنشورة

❖ الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي ، د. عبد الفتاح عبد الغني الهمص ، و د. فايز كمال شلدان ، بحث منشور ، ٢٠٠٨/٢٠٠٠ .

❖ الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج ، مُحَمَّد النويري ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب منوبة.

❖ استراتيجية الخطاب الحجاجي - دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية ، د. بلقاسم دفة ، مجلة المَخْبَر ، الجزائر ، العدد العاشر ، ٢٠١٤ .

❖ استراتيجية المغالطة في حوارات الأذكياء (نماذج من كتاب الأذكياء لابن الجوزي) ، نبيلة بوقرة ، مجلة سياقات ، مصر ، عدد ٥٤ ، أبريل ٢٠١٧ .

❖ الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم ، د. سندس عبد الكريم هادي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العراق ، عدد ٩٧ .

❖ الإعلام الإسلامي دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص ، مُحَمَّد موسى البر ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، عدد ١٠ ، ٢٠٠٥ .

❖ الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار ، نماذج من القرآن والحديث ، د. آمنة بلعلي ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد ٨٩ ، ٢٠٠٣ .

❖ الباتوس : من الخطابة إلى تحليل الخطاب - من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف ، الدكتور حاتم عبيد ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته ، د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ .

- ❖ البلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ، د. عبد الله صولة ،
ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته ، د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب
الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم - سورة الأنبياء نموذجاً - ، عبد الحليم
بن عيسى ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد ١٠٢ ، ٢٠٠٦ .
- ❖ التبكيت ، وأساليبه النحويّة في القرآن الكريم ، سهاد جاسم عباس ، مجلة البحوث
والدراسات الإسلامية ، عدد ٢٧ ، ٢٠١٢ ، العراق .
- ❖ التحليل التداولي والحجاجي للاستعارة ، وليد فرحان ، ضمن : أنطولوجيا المعرفة
اللغوية ، د. مؤيد آل صوينت ، العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط ١ ،
٢٠١٢ .
- ❖ تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط ، الدكتور حسان الباهي ، ضمن :
الحجاج مفهومه ومجالاته ، د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ،
الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ الحجاج : اطره ومنطلقاته وتقنيّاته من خلال ((مصنّف في الحجاج - الخطابة
الجديدة)) لبرلمان وتيتيكاه ، عبد الله صولة ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج
في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، جامعة
الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب منوبة (د. ط) ، (د.
ت) .
- ❖ الحجاج عند أرسطو ، هشام الريفي ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد
الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون
والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب منوبة (د. ط) ، (د. ت) .
- ❖ الحجاج في اللغة ، د. أبو بكر العزاوي ، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته ،
د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ❖ حجاجية المجاز والاستعارة ، د. حسن المودن ، ضمن الحجاج مفهومه
ومجالاته ، د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط ١ ،
٢٠١٠ .

- ❖ السفسطات في المنطقيات المعاصرة ، التوجه التداولي الجدلي نموذجاً ، د. رشيد الراضي ، مجلة فكر ، م ٣٦ ، ع ٤ ، ٢٠٠٨ .
- ❖ الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي ، د. علي أسعد وطفة ، مجلة مدارك ، مؤسسة مدارك للأبحاث والدراسات ، العراق ، ع ١٧ - ١٨ .
- ❖ المتلقي في بلاغة الخداع : " البلاغة السفسطائية أنموذجاً " ، خيرة بن علوة ، مجلة سمات ، الجزائر ، المجلد ٢ ، ٢٠١٤ .
- ❖ المغالطات في ردود منكري الرسائل في القرآن الكريم ، د. أيمن أبو مصطفى ، مجلة سياقات ، مصر ، ع ٥٤ ، أبريل ٢٠١٧ .
- ❖ مفهوم التلقي في الفكر اليوناني القديم ، بخوش علي ، مجلة المخبر ، الجزائر ، عدد ٣ ، ٢٠٠٦ .
- ❖ مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة ، مُحَمَّد سالم الأمين ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، عدد ٣ ، مجلد ٢٨ ، ٢٠٠٠ .
- ❖ من منطق مدرسة بور روبال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليب فيها، حمو النقاري ، ضمن كتاب التحاجج : طبيعته ، مجالاته ، وظائفه ، تنسيق : حمو النقاري ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط ١ ، ٢٠٠٦ .
- ❖ منزلة العواطف في نظريات الحجاج ، د. حاتم عبيد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، عدد ٢ ، المجلد ٤٠ ، ٢٠١١ .
- ❖ النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع ، مُحَمَّد العبد ، مجلة فصول ، مصر ، عدد ٦٠ ، ٢٠٠٢ .
- ❖ نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغزبية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب منوبة .

Abstract

The Qur'an is a source and main source of many studies, The Koran is a source and a basic source of many studies, and whenever the theories are found in the Qur'an, it is not considered a fertile material, since no matter how old the Koran is, the researcher must prepare a strong drink to reach it to safety. The Koran frightens the student and makes him more reluctant to issue Judgments, and impose a lot of caution on him. The Qur'an has transmitted to us the other thought, its dialogues, its arguments, the violation of the rivalry, and the stubbornness of the infidels, the polytheists, the apostates, the misinformation and the falsehoods. This is what needs to be highlighted for its widespread popularity in our present age. In the Holy Quran, a study in the light of the theories of the pilgrims. This is a discussion of the spoken words about the human beings in the Holy Quran, and the research is not subject to the words of Allaah or the Prophets (peace be upon them), because it is identical to reality and does not involve deceit or deceit.

The premise of the study is to search for the concept of disinformation and how it was employed by the misguided in the Holy Quran, and study the sophistries, mechanisms, methods and methods employed in the verses of disinformation.

The research is based on three chapters, preceded by a preface and followed by a conclusion. In the introduction, we address the conceptualization of misleading language and terminology, its roots and the beginning of its inception in the West and the Arabs, and sophistication. The first chapter dealt

Abstract

with the discourse of the polytheists and the believers. The third topic was devoted to the study of the speech of the people of the book. In the fourth section I studied the discourse of the hypocrites.

The second chapter was entitled (The mechanisms of the pilgrims and ways of their work in speech distortion). It divided it into three topics. The first topic dealt with the linguistic mechanisms and their role in deception; the second dealt with rhetorical mechanisms and their role in misleading.

The third chapter is entitled (Speech Impulse: Its Methods and Methods). The first two sections studied the methods of disinformation, and the second, methods of disinformation.

Ministry of Higher education and scientific Research
Thi-Qar University , College of Arts
Arabic Language Department
Higher studies



Rhetoric misinformation In the Holy Quran Study in the light of theories of argument

Athesis

Submitted by the student

Marwa Kareem Haikl ALAbboodi

TO

Council of College Arts

Thi-Qar University

As Partial requirement of fulfillments

Of master Degree In Arabic Language and Literature

Supervised by

Professor doctor

Haider Brizan Sikran

2018/ 1439